من أدب الدّعوة الإسلاميّة

٤

ديوان

أقباس

في مِنهاجِ الدّعوةِ وتوجيهِ الدُّعاةِ

بيان وشعر

عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني

دار القلم

دمشق

الطبعة الأولى
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م



دمشق - حلبوني - ص. ب. : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧
بيروت - ص. ب. : ١١٣/٦٥٠١.

ديوان

أقباس

في منهاج الدعوة وتوجيه الدعاة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الرحيم الرحمن، خلق الإنسان، علّمه البيان، العليّ الأعلى الذي أنزل القرآن، معجزاً بالحقّ والهدى والبيان والبرهان.

والصلاة والسلام على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، من أعطاه الله أحكم أسلوب هادٍ، وأفصح لسان، وآتاه جوامع الكلم وفصل الخطاب، وأهدى تبيان.

والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين ومن اتّبعهم بإحسان.

وبعد: فقد كنت دعوت في كتابي: «مبادىء في الأدب والدعوة» إلى ضرورة استخدام الأدب في الدعوة إلى الله، باعتبار الأدب أحد وسائل التأثير الجمالي في النفس الإنسانية، وأحد وسائل الإعلام الرفيع، وباعتباره سلاحاً بيانيّاً فعّالاً في كثير من الأحيان، واقتداءً بالقرآن العظيم المعجز في بيانه، وبالرّسول الخاتم الذي كان أفصح العرب الذين كانوا أفصح الناس، وكان أعلاهم بياناً، وأقدرهم على التأثير بكلامه البليغ، في كلّ من أنصت إليه، أو استمع إلى حديثه، وتأسّياً بسائر الأنبياء والمرسلين الذين كانوا أبلغ أقوامهم كلاماً، وأعلاهم بياناً وحُجَّةً وتأثيراً.

ولـمّا كان الشعر وجهاً من وجوه البيان الرفيع، جاء في الكلام المنسوب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم:

«إنّ من الشعر لحكمة، وإنّ من البيان لسحراً».

وعملاً بما دعوتُ إليه، واستخداماً لموهبة الشعر التي منحني الله منها طرفاً، فقد كنت أصدرت بتوفيق الله وعونه، ديوان «آمنت بالله» وديوان «ترنيمات إسلامية» في سنة (١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م).

وقد رأيت الحاجة ماسّة إلى تعريف الدّعاة بمنهاج الدعوة إلى الله، وإلى تقديم نماذج من الأساليب البيانية الشعرية في موضوعات الدعوة، فكتبتُ مجموعة من القصائد ضمّنتها ما اهتديت إليه من قواعد وأصول هذا المنهاج، وحركة السير فيه، اقتباساً من القرآن العظيم، ومن هدي الرسول الكريم في قوله وعمله وسيرته. وانتقيتُ ممّا كتبت من شعر في موضوعات الدعوة إلى الله مجموعة من القصائد اعتبرتها نماذج أدبية شعرية، مُلتَزِمة فيها أظنّ حدود قواعد وأصول وحركة سير هذا المنهاج، في مضامينها.

ولذلك قسمت هذا الديوان إلى قسمين:

□ القسم الأول: جمعت فيه قصائد كتبتها حول منهاج الدعوة إلى الله.

□ القسم الثاني: جمعت فيه قصائد كتبتها في موضوعات مختلفة من موضوعات الدعوة، ورأيت أنها مناسبة لتكون نماذج أدبية شعرية، ملتزمة منهاج الدعوة إلى الله، باعتبار مضامينها، أمّا تقويمها الأدبي فهو للنقاد وأهل الذوق الشعري وليس لي.

وقد جعلت هذا القسم مشتملاً على فصلين:

* الفصل الأول: قصائد كتبتها وألقيتها بدمشق، في احتفالات توجيه إسلامي، كان قد أقامها والدي العلاّمة المربّي الداعية المجاهد الشجاع الشيخ حسن حبنّكة الميداني، الذي كانت له جمعية باسم «جمعيّة التوجيه الإسلامي» وكان له معهد شرعي للذكور ومعهد شرعي للإناث باسم: «معهد التوجيه الإسلامي» رحمه الله عزّ وجلّ وأجزل مثوبته، وجعله في عليين مع النّبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

* الفصل الثاني: قصائد كتبتها في ظروف مختلفة أو مناسبات استثارت إلى كتابتها.

أسأل الله العلي القدير أن ينفع به، هدياً، وإرشاداً ولفت نظر، ويُمتع به ذوّاقَ جمالٍ أدبيّ يأخذ بيده تذوّق الجمال الأدبي إلى رؤية الحق والاقتناع بأنه حق، واتّباعه، وإلى رؤية الباطل، والاقتناع بأنه باطل، واجتنابه.

اللهمّ أعزّ دينك، وانصر أولياءك، واصلح أحوال المسلمين، واستعملنا في مراضيك، ووفقنا فيما تستعملنا فيه إلى أفضل عمل يرضيك عنّا، وتمنحنا به رضوانك في الحياة الدنيا وفي الآخرة، إنّك سميع مجيب.

اللّهم سدّد خُطا الدُّعاة إلى سبيلك، حتى يلتزموا منهاج الدعوة الذي هديتَ إليه، ويجنوا ثمرات التزامه في الدنيا تأثيراً في عبادك، وتأليفاً لقلوبهم على دينك، وفي الآخرة ثواباً جزيلاً وأجراً عظيمًا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مكة المكرمة:
أواخر شهر جمادى الآخرة
سنة ١٤٠٥ هجرية

عبدالرحمن حسن حبنّكة الميداني



القسم الأوّل

قصـــائــد
كتبتها ونشرت طائفة منها
حــول منهــاج الــدّعوة

مقـــدّمة

للدعوة إلى الله منهاج ذو قواعد وأصول وحركة سير، هدى الله إليها في كتابه المجيد، وهدت إليها سنّة الرسول ﷺ، في القول والعمل والسيرة العطرة.

وعلى الدعاة إلى الله أن يتّبعوا هذا المنهاج القويم ليجنوا ثمرات أعمالهم يانعاتٍ طيبات، وليغنموا ثواب الله وأجره العظيم في اتّباع منهاج الدعوة الذي رسمه لهم، وليحموا أنفسهم من إحباط العمل بمخالفته، ومن السؤال والحساب والمؤاخذة إذا سلكوا في دعوتهم إلى الله سُبُلاً منفرّة، واتخذوا أساليب غير حكيمة من شأنها أن تصدّ عن سبيل الله، وهم يحسبون أنهم يُحسنُون صنعاً.

وفي هذا القسم طائفة من القصائد أودعتها بأسلوب أدبيّ ما ألهمني الله من قواعد وأصول وحركة سير هذا المنهاج، وقد اقتبستها من القرآن العظيم، وسنة الرسول الكريم ﷺ في قوله وعمله وسيرته، راجياً أن يستفيد منها الدعاة الذين يمارسون الدعوة، والدّارسون الذين يُعِدّون أنفسهم للقيام بواجب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

وإنيّ في بيان هذه الوصايا أنصح نفسي أوّلاً، فأبنائي الطلبة، ثم إخواني على طريق الدعوة إلى الله.

وإنيّ أعلم أن الحقّ لا مجاملة فيه ولا مداهنة، ولكن يعرض بأسلوب حكيم، دون تجريح ولا تشهير، والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل، إنّ ربـيّ على صراط مستقيم.

روى البخاري عن سهل بن سعد أنّ النبـي ﷺ قال لعلي بن أبـي طالب يوم خيبر بعد أن أعطاه الراية:

«انفُذْ على رِسْلك، حتىّ تنزل بساحتهم، ثمّ ادعُهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجُلاً واحداً خير لك من أن يكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعم».

حُمْرُ النَّعم: أكرم أصناف الإبل عند العرب.

وأخرج الطبراني في الكبير عن أبـي رافع، أنّ النبـي ﷺ قال:

«لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت»[1].

(١) أشار السيوطي إلى أنه حديث حسن «في الجامع الصغير».

١

حمَّل الله المسلمين مسؤولية تبليغ دين الله للناس، وسيقدمهم يوم الدين للشهادة على الناس بأنهم قد بلَّغوهم دين الله لهم، ولذلك جعلهم الله عدولاً، أمَّةً وسطاً، فهم بمجموعهم معصومون عن الانحراف الكلّي عن دين الله، وعن التحريف والتغيير فيه.

فالرسول يوم القيامة شهيد على من بلّغ، والمسلمون في كل عصر شهداء على الناس بأنهم قد بلغوهم دين الله لهم، بمقتضى الخيرية والعدالة التي منحهم الله إياها.

دلّ على هذه الحقيقة قول الله عز وجل في سورة (البقرة٢):

﴿وكذلك جعلناكم أمّة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكونَ الرسول عليكم شهيداً﴾ (الآية ١٤٣).

وسطاً: أي عدولاً.

لتكونوا شهداء على الناس: أي لتبلّغوا دين الله للناس كما بلَّغَ الرسول، ولتدعوا إلى سبيل ربكم بالحكمة والموعظة الحسنة كما دعا الرسول، فتكونوا يوم القيامة شهداء على الناس بأنكم بلغتموهم الرسالة، وأديتم إليهم الأمانة، كما يكون الرسول ﷺ شهيداً على من بلّغه مشافهة أو مراسلةً في حياته.

وقول الله عزّ وجل في سورة (آل عمران ٣):

﴿كنتم خير أمّة أخرجت للناس. تأمرون بالمعروف، وتَنهَوْن عن المنكر، وتؤمنون بالله﴾ (الآية ١١٠).

أي: كنتم إذ اجتباكم الله واختاركم واصطفاكم خير أمّةٍ أُخرجت

للناس، فالاجتباء للرسول بالنبوة والرسالة، والاجتباء لأمّة الإجابة المسلمين الذينِ آمنوا بمحمد ﷺ قد كان لحمل رسالته، يبلغون الناس جميعاً، ويدعون إلى سبيل ربهّم بالحكمة والموعظة الحسنة، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

وقد أخرجهم الله من بين الناس لحمل هذه الوظيفة الرّبّانية، وأعطاهم الله هذه الخيرية، بعد أن بين لهم ما يجب أن يتّصفوا به، ليكونوا حقّاً خير أمّةٍ أُخرِجت للناس.

وفي هذه القصيدة بيان لوظيفة التبليغ، والدعوة إلى سبيل الله، التي حمّلها الله المسلمين باعتبارهم أمة الدعوة، وما يجب عليهم في ذلك من دأب وصبر مهما كانت النتائج، وهي بعنوان:

«أمّة الدعوة»

أُمَّـةُ الـدَّعْوَة

أُمَّـةٌ نَحْنُ عُـدُولٌ حِينَمـا نُـدْعَى شُهُـوداً
أَيُّهـا المُسْلِمُ فَانْـظُرْ مَا سَتُـدْلِي مِنْ شَهَادَةْ
بِاجْتِبَاءِ اللَّهِ مَنْ قَدْ أَسْلَمُوا صَانُوا الْعُهُـودَا
لِيَكُـونُـوا شُهَـدَاءَ الْحَقِّ إِذْ يَقْضِي مَعَـادَهْ
سَوْفَ تَأْتِي يَوْمَ عَرْضِ النَّاسِ فِي الْحَشْرِ شَهِيداً
أَيُّهـا الْمُسْلِمُ فَاعْمَـلْ عَمَلاً تَـرْجُو حَصَـادَهْ
أَنْتَ يَـوْمَ الدِّينِ مَسْـؤُولٌ إِذَا كُنْتَ رَشِيـداً
عَنْ دُعَاءِ النَّاسِ أَنْ يَسْعَوْا إلى دَارِ السَّعَادَةْ
إِنَّمـا التَّبْلِيـغُ فَـرْضٌ أَدِّهِ قَـوْلاً سَـدِيـدَا
دُونَ تَحْـرِيفٍ وَتَبْـدِيـلٍ وَنَقْصٍ أَوْ زِيـادَةْ
فَإِذَا اسْتُدْعِيتَ كَيْ تُسْأَلَ فِي الْحَشْرِ فَرِيدا
أَوَ قَدْ بَلَّغْتَ؟ أَوْ جَاهَـدْتَ في اللَّهِ جِهَادَهْ
هَلْ تَرَى أَنَّـكَ قَدْ بَلَّغْتَ. أَوْ كُنْتَ بَعِيـدا
لَمْ تُبَلِّغْ. لَمْ تَكُنْ تَدْعُو إلى اللَّهِ عِبَـادَه؟
أَنْتَ إِنْ لَمْ تَـدْعُ خَلْقَ اللَّهِ لِلْحَقِّ رَشِيـدَا
سَوْف لا تُدْعى بِيَوْمِ الدِّين مَعْ أَهْلِ الشَّهَادَةْ

مكة المكرمة في ١٤٠٥/٦/٢٤ هجرية (١٦ بيتاً)

٢

انتشرت أخطاء وأغاليط في أساليب الدعوة إلى الله، حتى صارت سجايا لكثير من المتصدّين للدعوة الإسلامية، وأساليب متبعة، يقلّد فيها هؤلاء المتصدّون بعضهم بعضاً، وَيَحسبون أنهم يُحسنون فيها صنعاً، وأنهم يؤدون فيها جهاداً في سبيل الله حسناً، مع أنهم يخالفون فيها منهاج الإسلام، وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام، ويسيئونَ للدعوة، وينفرّون كثيراً من الشباب عن الإسلام وهديه، وينصرون عصبيات وأنانيات حزبية لا يرضى عنها الله ولا رسوله.

وقد أقامت عمادة شؤون الطلاب بجامعة أم القرى في أواخر العام الدراسي (١٤٠٢ ــ ١٤٠٣ هجرية) احتفالاً شاركتُ فيه بهذه القصيدة، تبصيراً وتوجيهاً حول منهاج الدعوة إلى الله، فيها توجيه ونقد، فالتوجيه شموع، والنقد دموع، والقلب يتحرّق، وهي بعنوان:

«شموع ودموع»

شمـــوع ودمـــوع

فَخْـرُنَـا جَـامِعَـةٌ فِيهـا الْأَمَـلْ — أُمُّهـا أُمُّ الـسُّـهُـولِ والْـقُـلَلْ
أُمُّهـا أُمُّ الْـقُـرى فـي حَـرَمٍ — آمِـنٍ مُـنْـذُ قُـرُونِـهـا الْأُوَلْ
وَهَـلِ الْأَمْـصَـارُ إلَّا مُـدُنٌ — أُمُّها الْقَـرْيَـةُ يَـا مَنْ قَـدْ عَقَـلْ
بَـكَّـةٌ أُمُّ الْـقُـرَى أَجْـمَـعِـهَـا — وَبِـهَـا أَوَّلُ بُـنْـيَـانٍ حَـصَـلْ
شَمْسُ خَيْرِ الرُّسْلِ مِنْهَا طَلَعَتْ — وَبِهَـا خَيْـرُ كِتَـابٍ قَـدْ نَـزَلْ

○ ○ ○

فَخْـرُنَـا جَـامِعَـةٌ قَـدْ أُسِّسَتْ — في رُبَـا التَّقْـوَى وَفِيهَـا تَكْتَمِـلْ
كُـلُّ كُـلِّيَّـاتِـهَـا دَاعِـيَـةٌ — لِـرِضَـى رَبِّ الْـوَرى عَزَّ وَجَلْ
وَعَلى البـاطِـلِ كُـلُّ حَـامِـلٌ — مِشْعَلَ الْحَقِّ وَسَيْفَ الْعَدْلِ سَلّ
إنَّـمـا الـدَّعْـوَةُ أَبْـوَابٌ وَفِـي — كُـلِّ بابٍ جَيْشُ إيمَـانٍ دَخَـلْ
مَـا تَـنَـافَتْ فِي جِهَـادٍ دَعْـوَةٌ — وَاخْتِصَـاصٌ فَـلِكُـلٍّ مُهـتَبَـلْ[1]
وَلِـكُـلٍّ عَـمَـلٌ يُـصْـلِحُـهُ — وَلَكَمْ قَـدْ دَخَـلَا فِي مُـدَّخَـلْ
وَدُعَـاةُ الشَّـرِّ مَهْـمَـا ابْتَـكَـرُوا — جِيَـلًا أَبْـطَلَهـا الـدَّاعِي الْبَـطَلْ

○ ○ ○

إنَّـمـا الـدَّعْـوَةُ قَـوْلٌ وَعَـمَـلْ — فِي مَـزِيـجٍ كَحَلِيبٍ وَعَـسَـلْ
قُـدْوَةٌ صَـالِـحَـةٌ طَـيِّـبَـةٌ — لَمْ يُخَـالِفْ قَـوْلَهَـا سُوءُ الْعَمَـلْ
هِيَ قَـوْلٌ لَـيِّـنٌ مُـسْـتَـحْـسَـنٌ — يَلْمَسُ الْأَنْفُسَ لَمْسَـاتِ الْـقُبَـلْ

---

(١) مُهْتَبَل: مُغْتَنَم. اهتبلَ الشيء اغتنمه، أخذه بسرعة.

مُـحْـتَـواهُ دُرَرُ الْـعِـلْـمِ الَّـذِي يُعْجِبُ الْفِكْـرَ وَيَخْـلُو مِنْ خَـلَلْ
وَعِـظَاتٌ حَـسَنَـاتٌ غُـمِسَـتْ بِـالنَّـدَىٰ الْحُـلْوِ وَوَرْدِيّ الْأَمَـلْ
رُبَّـمـا تُـلْمِـحُ مِـنْ أَعْـطَافِهَـا بَعْضَ مَا يَقْذِفُ فِي النَّفْسِ الْوَجَلْ(١)
وَحِـوَارٌ مَـنْـطِقِـيٌّ بِـالَّـتِـي هِيَ خَيْـرٌ فِي احْتِجاجٍ وَجَـدَلْ

ο ο ο

لَيْسَـتِ الـدَّعْـوَةُ رَشْقـاً لِلْوَرَى بِكَـلَامٍ مِثْـلِ أَحْجَـارِ الْجَبَـلْ
أَوْ كَـلامـاً مُعْجِبـاً يَـنْـقُـضُـهُ مِنْ ذَوِيـهِ سُـوءُ فِعْـلٍ وَزَلَـلْ
فَـلِسَـانُ الْـفِـعْـلِ أَقْـوى أَثَـراً مِنْ لِسَـانٍ بِبَيَـانِ الْـقَـوْلِ دَلّ
مَـنْ يُـخَـالِـفْ فِـعْـلُهُ أَقْـوَالَـهُ شَـاعِـرٌ أَوْ تَـاجِـرٌ أَوْ مَـا عَقَـلْ

ο ο ο

لَيْسَـتِ الـدَّعْـوَةُ سَبّـاً مُـؤْذِيـاً وَانْـفِعَـالاً ثَـائِـراً لَا يُـحْـتَـمَـلْ
أَوْ ظُنُـونـاً وَارْتِيـابـاً جَـاهِـلاً وَهُـرُوبـاً وانْـصِـرَافـاً بِـعَـجَـلْ
واتِّـهـامَـاتٍ وَذُعْـراً نَـافِـراً نُفْـرَةَ الْـوَحْشِ إذَا خَـافَ وَضَـلّ
أَوْ صِـرَاعـاً آثِـمـاً يَسْـعَى إلـى مَغْنَمٍ مِنْ عَـاجِلِ الـدُّنْيَا الْأَقَـلّ
أَوْ غُلُوّاً وافْـتِـخَـاراً بِـالـتُّـقَـى أَوْ مُـبَـاهَـاةً وَمَـنّـاً بِـالْـعَـمَـلْ
وَاشْتِغَـالاً بِـالصَّغِـيـرات الّـتي تَعْتَنِي بِالشَّكْلِ لَا الْأَمْرِ الْأَجَلّ
أَوْ أَنَـانِـيَـاتِ نَفْسٍ هَـمُّـهَـا أَنْ تَـرَى الْمَجْدَ لَهَا دُونَ جَـدَلْ
أَوْ كَـلامـاً أَدَبِـيّـاً فَـارِغـاً لَـيْسَ فِيهِ غَيْـرُ تَزْيِينِ الْـجُمَـلْ
أَوْ كَـلامـاً عَـاطِفِيّـاً هَـائِـجـاً تَـافِهَ الْمَعْنَى كَمَا يَرْغُـو الْجَمَـلْ
أَوْ تَـهَـاوِيـلَ وَدَجْـلاً خَـادِعـاً بِـتَـعَـاوِيـذَ وسِـحْـرٍ وَحِـيَـلْ
أَو تَـرَانِـيـمَ وَزُهْـداً كَـاذِبـاً وَأَفَـاعِـيـلَ تَـوَارَتْ بِـالْـخَـبَـلْ

---

(١) الوجل: الخوف.

أَوْ خُـرَافَـاتٍ تَـلَـتْـهَـا بِـدَعٌ ... تَحْرِفُ الدِّينَ وَتُغْرِي وَتُـضِـلّ

○ ○ ○

لَيْسَـتِ الـدَّعْـوَةُ كِبْراً مُحْبِـطاً ... عَمَـلَ الـداعِي وَإِنْ فَـاقَ وَجَـلّ
رُبَّ دَاعٍ عُـجْـبُـهُ يَـنْـفُـخُـهُ ... وَلَـكَمْ عُـجْـبٍ تَـمَـطَّى فَـقَـتَـلْ

○ ○ ○

لَـيْسَـتِ الـدَّعْـوَةُ سَبْقـاً لِـلَّذِي ... فِيـهِ وَفْرُ الْمَـالِ أَوْ وَفْـرُ الكَسَـلْ

○ ○ ○

إِنَّـمَـا الـدَّعْـوَةُ فَـهْـمٌ ثَـاقِـبٌ ... لِكَـلاَمِ اللَّهِ ذِي المعْنَى الْـجَلَلْ
واتِّـبَـاعٌ لِـرسُـولِ الـلَّهِ فِـي ... كُـلِّ مَـا قَـالَ وَكُـلِّ مَـا فَعَـلْ
غَيْـرَ مَـا كَـانَتْ لَـهُ خَـالِصَـةً ... خَصَّـهُ الـرَّحْمَنُ فِيـهَـا وَعَـدَلْ

○ ○ ○

إِنَّـمَـا الـدعْـوَةُ كَـدْحٌ دائِـبٌ ... فِـي أَنَـاةٍ لَيْسَ يَعْـرُوهَـا مَـلَلْ
رُوحُهـا الْحِكْمَةُ مَهْمَـا واجَهَتْ ... مِنْ خُصُـومٍ وهْيَ صَبْـرٌ وأَمَـلْ
هِـيَ والْـيَـأْسُ نَـهَـارٌ ودُجَـى ... فَـإِذَا اللَّيْـلُ أَتَى الضَّـوْءُ ارتَحَلْ
كُـلَّمَـا أَقْبَـلَ يَـأْسٌ مِنْ هُـنَـا ... بِـدُجَـاهُ فَـعَـظِـيمٌ مَا أَفَـلْ

○ ○ ○

إِنّمـا الـدَّعْـوَةُ عَـطْفٌ صَادِقٌ ... وَحَـنَـانٌ وَعَـطَاءٌ وَمَـهَـلْ
إِنَّـهَـا بَـذْلٌ وَإِيـثَـارٌ وَكَـمْ ... يُسْعِـدُ الْبَـاذِلَ فِيهَـا مَـا بَـذَلْ
وَتَـآخٍ مَـعَ مَـنْ يَـدْعُـو إِلَى ... مَنْهَـجِ اللَّهِ بِـرَأْيٍ مُحْتَـمَـلْ
إِنَّـهَـا جَـمْـعٌ وَتَـأْلِيفٌ عَـلَى ... سَاحَةِ الإِسلاَمِ مِنْ غَيْرِ دَخَـلْ
إِنَّـهَـا صِـدْقٌ وإِخْـلاَصٌ لِـمَنْ ... هُـوَ يَجْـزِي وَحْـدَهُ عَـزَّ وَجَـلّ
لاَ لِـدُنْيَـا. أَوْ هَـوىً. أَوْ عُصْبَـةٍ ... دُونَ أُخْـرى. أَوْ نِفَـاقٍ أَوْ خَـطَلْ

○ ○ ○

إنّ أَخْـلاَقَ الـرَّسُـولِ الْمُجْتَبى | هِـيَ لِـلدَّاعِـي حُـلِيٌّ وَحُـلَلْ
بِـهُـداهُ أَيُّهَـا الـدَّاعِي اقْـتَـدِهْ | وابْتَغِ الْأُخْـرى. وأَخْلِصْ في الْعَمَلْ
سِـرْ عـلى مِنْـهَـاجِـهِ مُـتَّئِـداً | مُـطْمَئِنّاً ثُمَّ خُـذْ كَـأْسَ الْبَـطَلْ
وَلَـكَ النَّـعْمَـةُ يَـوْمَ الـدِّينِ فِي | جَنَّـةِ الْخُـلْدِ. وَرِضْـوَانٌ أَجَـلّ

مكة المكرمة في ٢٩ رجب ١٤٠٣ هجرية **(٥٥ بيتاً)**



فكرة المعجزات وخوارق العادات، تستولي على مساحة كبيرة من تصورات ووجدانات دعاتنا وشبابنا الإسلاميين، مع أن حكمة الله قد قضت بأن لا ينزّلها أو يمدّ بها إلا بقدر، حتى لا يتكل المؤمنون عليها، فيتهاونوا باتخاذ كامل الأسباب، التي جعلها الله عز وجل من سننه التكوينية الدائمة، التي لا يخرقها إلا نادراً ولحكمة عظيمة.

والقاعدة التي هي الأصل: امتحان الناس ضمن نظام الأسباب. وقد نجم عن الغلط العظيم في هذا الأمر، تورّط الكثيرين بأعْمَالٍ لم يتخذوا لها أسبابها، ظانين أن وعد الله غير مشروط باتخاذها، فلما فشلوا عتب من عتب منهم على ربه، وشكّ من يعبد الله على حرف، وتراشق المتورطون الاتهامات.

ومنشأ ذلك هو الغلط في فهم سنن الله السببية التي لا تُعَاند، وقصورُ الإدراك عن فهم دلالات النصوص المنزّلة، وعدم النظر إليها جميعاً نظرة متدبرة شاملة، والاكتفاء بالنظر إلى بعضها، وأخذ قاعدةٍ عامة شاملة منه.

وهذه القصيدة قد اشتملت على معالجة هذا الموضوع، كنت نشرتها في جريدة «الندوة» بعددها (٧٦٨٢) الصادر في يوم الثلاثاء ١٢ رمضان ١٤٠٤ هجرية، وهي بعنوان:

«سنن الله لا تُعاند»

سُنَن الله لَا تُعاند

مَنْ حَادَ عَنْ سُنَّةِ اللَّهِ الحكيم جَفَا ... نَهْجَ الصَّوَابِ وَضَلَّ السَّعْيَ وَاقْتَرفَا(١)
فَحَسْبُــهُ مِنْ عِقَــابِ اللَّهِ خَيْبَتُــهُ ... وَمَا بِهِ حَـلَّ مِنْ بُؤْسٍ وما أَسِفَـا
وَاللَّهُ يَغْمُــرُهُ فِي فَيْضِ رَحْمَتِـهِ ... إِذَا هُـوَ اسْتَغْفَرَ الـرَّحْمٰنَ واعْتَرَفَـا

○ ○ ○

مَنْ صَـدَّ عَنْ سُنَنٍ لِـلَّهِ ثَـابِتَـةٍ ... وظَنَّ أَنْ سَيُصِيبُ النُّجحَ مَا عَرفَا
فَـطاعَةُ اللَّهِ فِي إِعْـطَاءِ سُنَّتِـهِ ... مَا تَقْتَضِيهِ فَمَنْ لَمْ يَرْعَهَا جَنَفَا(٢)

○ ○ ○

قُولوا لِمَنْ يَبْتَغِي نَيْلَ النَّجاحِ أَفِدْ ... مِنْ كُلِّ تَجْرِبَةٍ مَرَّت لِمَنْ سَلَفَا(٣)
فَكُـلُّ تَجْـرِبَـةٍ مَـرَّتْ بِهَـا عِـظَةٌ ... تُغْنِي السَّفِيهَ وَتُعْطِي ذَا الحِجَا تَرَفَا
مَنْ يَتَّبِعْ سُنَنَ الْبَارِي كَمَا قُدِرَتْ ... وَلَمْ يُعَانِدْ أَصَابَ الدِّينَ والْهَـدَفَا
وَكَانَ مِمَّنْ تُصِيبُ الْحَقَّ حِكْمَتُهُمْ ... وَكَانَ مِمَّنْ سَمَوْا بَيْنَ الْوَرَىٰ حَصَفَا(٤)
فَـرَأْيُهُ وسَبِيلُ الرُّشْـدِ مَا افْتَـرَقَا ... وسَعْيُـهُ وَبُلُوغُ الْقَصْدِ مَـا اخْتَلَفَـا
مَـا زَادَ فهماً وَلَكِنْ نَهجُ خِـطَّتِـهِ ... وَسُنَّــةُ اللَّهِ فِي أَكْــوَانِــه ائتَلَفَــا
وَكَمْ تَـرَىٰ عَبْقَـرِيَّـاً غَــرَّهُ أَمَــلٌ ... وَكَمْ تَـرَىٰ أَلْمَعِيَّاً ضَـلَّ وانْجَـرَفَـا

○ ○ ○

---

(١) اقترف: يقال: اقترفَ الذنب إذا أتاه وفعله.
(٢) جنف: جار مائلاً عن الحق ومنهج الصواب.
(٣) أَفِـدْ: أي استفد.
(٤) الحصَف: جودة العقل، والحصيف جيد العقل المحكم لأمره.

لِلَّهِ فِي كُـلِّ شَيْءٍ سُنَّةٌ قُـدِرَتْ   مَنْ حادَ عَنْ قَصْدِهَا عَنْ قَصْدِهِ انْعَطَفَا
إنْ لم يَخِبْ خَيْبَةً للنَّفسِ مُهْلِكَةً   أَضـاعَ مِنْ سَفَـهٍ أثْمـانَـهُ سَـرَفـا
مَا كَانَ أغْنَاهُ عَنْ طَيْش وعَنْ سَفَهٍ   لَوْ سَارَ فِي سُنَّةِ الْبَارِي وما انْحَرفَا
لَا يَقْتُلُ الْوَحْشَ شَعْرٌ أَنْتَ نَاتِفُـهُ   مِنْ أنْفِـهِ فَدَعِ الْأَوْهَـامَ والْخَـرَفـا

○ ○ ○

أَمَّا الَّذِينَ طَغَوْا فِي أَرْضِنَا وَبَغَـوْا   فَحَسْبُنَا اللَّهُ ـ مَهْمَا أَسْرَفُوا ـ وَكَفَىٰ
وَاللَّهُ يَـأْمُـرُنَـا أَنْ نَـسْـتَـعِـدَّ لَـهُـمْ
من مُـرْهبـات القـوى مـا دكَّ أو عصفـا
وَأَنْ نُـهَـيِّـىءَ أَسْبَـابـاً مُـبَـيَّـنَـةً   فِي سُنَّـةِ اللَّهِ حَتَّىٰ نُدْرِكَ الْهَـدَفَا
ونَسْتَعِيـدَ بِفَضْـلِ اللَّهِ عِـزَّتَنَـا   والسَّبْقَ والْمَجْـدَ والإقْبَال والشَّـرَفَا

○ ○ ○

فَـإِنْ نَتُبْ وَنَعُـدْ مُسْتَغْفِـرِينَ لَـهُ   نَجِدْهُ ذَا رَحْمَةٍ كُبْرَىٰ عَفَا وَشَفَىٰ

مكة المكرمة: غرة رجب ١٤٠٤ هجرية **(٢١ بيتاً)**

٤

كثير من الدعاة لا يعرفون من أسباب الدعوة إلاّ الهيـاج الانفعالي، والخطابة الحماسيّة، والتهويل في الأمور، صغائر كانت أو كبائر، وسوق الناس جميعاً بعصاً واحدة، ولا يحسنون من الوعظ غير أسلوب الترهيب، ولا يرون الدعوة إلى الله إلا وعظاً.

مع أن سنن الله السببيّة كثيرة جدّاً، والوعظ أحد هذه الأسباب، ويسبق الوعظ التعليمُ والإقناع بالحقيقة. والناس أصناف وأنواع، ولكل صنف منهم سبب يلائمه ويؤثر فيه.

وهذه القصيدة تعالج منهاج السببيّة في الدعوة إلى الله. وقد سبق أن نشرت في جريدة «الندوة» بعددها (٧٧٦٦) يوم الاثنين (٢٩) من ذي الحجة (١٤٠٤ هـ) وهي بعنوان:

«منهاج السببية في الدعوة إلى الله»

مِنهاج السببيّة في الدعوة إلى الله

يَا دَاعِيَ اللَّهِ أَتْبِعْ فِي الْهُدَىٰ سَبَباً وَاخْتَرْ لِكُلِّ بَعِيدٍ مَا بِهِ جُلِبَا
فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ الرَّحْمٰنِ خُذْ سَبَباً لِنَفْسِ مَنْ تَرْتَجِي أَنْ يَقْبَلَ الطَّلَبَا

ο ο ο

النَّاسُ فِي الْأَرْضِ أَصْنَافٌ وَكُلٌّ هَوىً فِيهِمْ لَهُ سَبَبٌ تَلْقَاهُ مُحْتَجِبَا
وَمِنْهُمُو عَبْدُ مَا يَهْوَىٰ فَفِكْرَتُهُ والْعَزْمُ والسَّعْيُ كُلٌّ قَدْ نَبَا وَكَبَا

ο ο ο

لَا تَحْسَبِ الْحَقَّ يَكْفِي أَنْ تُطَالِبَهُمْ بِأَنْ يَكُونَ لَهُمْ نَهجاً وَمُطَّلَبَا
وَأَنْ تَقُولَ لهم: أَنْتُمْ عَلىٰ خَطَإٍ والحقُّ عِنْدِي وَإِيمَانٌ بِهِ وَجَبَا
وَمَنْهَجُ الْخَيْرِ مَا أَوْضَحْتُ فِي كَلِمي مَنْ سَار فيما سِوَاهُ ضَلَّ واغْتَرَبَا
وَتَاهَ فِي أَيِّ وَادٍ مُهْلِكٍ وَسَعَىٰ لِبُؤْسِهِ وَعَلىٰ عِرْنِينِهِ انْقَلَبَا
فَكَمْ مِنَ النّاسِ يَدْرِي فَوْقَ مُرْشِدِهِ مَعَالِمَ الْحَقِّ. لَكِنْ رَغْمَ ذَاك أَبَىٰ

ο ο ο

فِي أَنْفُسِ النَّاسِ حَاجَاتٌ مُنَوَّعَةٌ وَيَنْتَقِي ذُو الْهُدَىٰ مِنْ طُعْمِها سَبَباً
أَقْسَىٰ الْوُحُوشِ لَهَا أَشْيَاءُ تُؤْنِسُها بِهَا تُرَوَّضُ حَتَّىٰ تُتْقِنَ اللَّعِبَا
فَتَسْتَجِيبُ لِمَا تُدْعَىٰ لَهُ رَغَباً عُمْراً وَحِيناً تَراهَا أَذْعَنَتْ رَهَبَا

ο ο ο

مَنْ صَدَّهُ الكِبْرُ قَدْ تُدْنِيهِ تَكْرِمَةٌ وَمَنْ جَفَا لِهَوىً لَمْ يَجْفُ إِنْ رَغِبَا
وَكَمْ عَطَاءٍ لِذِي جَاهٍ بِأُمَّتِهِ بِهِ اهْتَدَىٰ قَوْمُهُ واسْتَتْبَعُوا جَلَبَا
وَرُبَّ نَاءٍ لَهُ فِي الْجَاهِ بَعْضُ هَوىً إِنْ تُعْطِهِ مِنْهُ وَافَىٰ مُقْبِلًا خَبَباً
وَكَانَ مَا نَالَهُ مِنْ جَاهِهِ سَبَباً لِرُشْدِهِ فَاهْتَدَىٰ لِلْحَقِّ واقْتَرَبا

وَرُبَّ وَاصِبِ نَفْسٍ سَـادَهُ طَمَـعٌ فَدَاوِه مِنْهُ حَتَّىٰ يَـطْرَحَ الْوَصَبـا[1]
وَصرِّفِ الْأَمْرَ في الْأَسْبَابِ إنْ خَفِيَتْ عَلَيْـكَ مُـوصِلَةٌ واجْهَـدْ بِهـا دَأَبـا

○ ○ ○

مَنْ يَتَّبِعْ مَنْهَجَ الْأَسْبَـابِ مُعْتَمِداً عَلىٰ الْقَدِيرِ وَيَصْبِـرْ يَسْتَفِدْ عَجَبَـا
أَمَّا مَنِ اشْتَدَّ واسْتَعْصَىٰ على سَبَبٍ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ فَدَعْهُ يَصْطَلِي لَهَبَا
لَا تَتَّخِـذْهُ عَـدُوّاً ظَـاهِـراً أَبَـداً حَتَّىٰ يَكُـونَ عَـدُوّاً عَـادِيـاً حَرِبَا[2]
فَإِنْ عَدَا فَاتَّخِذْ ما شِئْتَ مِنْ سَبَبٍ لِـرَدِّ شَـوْكَتِـهِ فِي نَحْـرِهِ قُضُبَـا[3]
فَـإِنْ تَجِدْهُ اسْتَكَـانَتْ نَفْسُهُ رَهَبـاً فَـاسْتَـدْنِـهِ وَتَلَطَّفْ لِلْهُـدَىٰ رَغَبـا

○ ○ ○

إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ أَعْصَابٌ تَشُدُّ بِهَا مَا أَنْتَ تَرْجُو فَخُذْ مِنْ حِيلَةٍ عَصَبَا
مَنْ خَـانَـهُ حَـوْلُـهُ صَـانَتْهُ حِيلَتُهُ وَمَنْ سَعىٰ بَاحِثاً لَمْ يَعْدَمِ السَّبَبَا
الكَيْـدُ يَصْنَعُـهُ ذُو قُـوَّةٍ فَـطِنٌ وَالْمَكْرُ يَمْشِي مَعَ الْأَسْبَابِ مُحْتَجِبَا
فَاجْمَعْ لِكَيْدِكَ مَكْراً ضِـدَّ أَهْلِهِمَا وَزِدْ عَلَيْهِمْ عَسَىٰ أَنْ تَبْلُغَ الـطَّلَبَا
بِسُنَّـةِ اللَّهِ فِي الْأَسْبَـابِ أَجْمَعِهَـا لَتَبْلُغَنْ طَلَبـاً. أَوْ تَـدْفَعَنْ عَـطَبَـا

○ ○ ○

هٰذِي أَسَالِيبُ رُسْلِ اللَّهِ أَجْمَعِهِمْ مَنْ حَادَ عَنْ نَهْجِهَا لَمْ يَلْقَ مَا طَلَبَا
أَجْرِ الْمَحَارِيثَ فِي أَرْضٍ يَقُومُ بِهَا زَرْعٌ وَلَا تُجْرِهَا فِي الْمَوْجِ مُرْتَقِبَا
وَقَـدِّمِ النُّورَ تَهْـدِي فِيه ذا بَصَـرٍ وَخُـذْ بِكَفٍّ كَفِيفٍ لَانَ وانْجَـذَبـا
واطْلُبْ رِضَىٰ اللَّهِ في الْإِرْشَادِ واخْشَ إِذَا طَلَبْتَ دُنْيـا بِـهِ أَنْ تَجْنِيَ النَّصَبـا

تركيا ــ شوك شدرة ــ في ١٧ شوال ١٤٠٤ هجرية **(٣٢ بيتاً)**

---

(١) الوصب: المرض، والواصب المريض.
(٢) حَـرِباً: الْـحَرب الغضبان المندفع للمحاربة.
(٣) قُضباً: جمع قضيب، وهو نوع من السيوف.



٥

التدرج إحدى سنن الله السببيّة، في نظامه التكويني، وإحدى سنن الله التشريعيّة، في تنزيل شريعته لعباده، وهو إحدى سنن الاجتماع البشري التي تخضع لها الظاهرات الاجتماعيّة، بمقتضى سنن الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

فالتعليم يجب أن يسير وفق نظام البناء المتدرج شيئاً فشيئاً، والتربية يجب أن تسير وفق نظام البناء المتدرج شيئاً فشيئاً، وكذلك التوجيه الديني والدعوة إلى الله.

وتكوين الجماعات والأمم يجب أن يسير وفق نظام البناء المتدرج شيئاً فشيئاً.

وهكذا كلُّ بناء أو إنشاء مادّي أو معنوي، يجب أن يسير وفق هذه السُّنة، لأنّها سنة الله التي جعل كُلّ مُكوِّناتِه خاضعةً لها؛ وتركُ سنة التدرج، وابتغاء الطفرة معاندة لسنة الله، وتجاوز لحدودها، وسبب من أسباب الفشل الذي يصاب به العاملون.

وقد عالجت هذه القصيدة سنة التدرج في الدعوة إلى الله، وهي بعنوان:

«سنة التدرج في الدعوة إلى الله»

سنة التدرج في الدعوة إلى الله

نَاشَدْتُكَ اللَّهَ أَنْ لَا تَرْكَبَ الْعَجَلَا ... وَأَنْ تَكُونَ رَشِيداً تَتَّقِي الزَّلَلَا
يَا دَاعِياً لِسَبِيلِ اللَّهِ كُنْ فَطِناً ... واجْعَلْ هُدَاكَ كِتَابَ اللَّهِ والرُّسُلَا
سِرْ بِالتَّدَرُّجِ فِيمَا أَنْتَ تُنْشِئُهُ ... تَكُنْ رَشِيداً وَإِنْ لَمْ تَبْلُغِ الْأَمَلَا

○ ○ ○

اللَّهُ رَبٌّ. وَنَهْجُ الرَّبِّ تَنْشِئَةُ ... عَلَى التَّدَرُّجِ. إِنْ قَوْلاً. وَإِنْ عَمَلَا
الْخَلْقُ يُنْشِئُهُ فِي سُنَّةٍ قُدِرَتْ ... فَرَاقِبِ الْخَلْقَ تَشْهَدْ مُتْقَناً جَلَلَا
قُمِ اشْهَدِ النَّبْتَ. والْأَحْيَاءَ أَجْمَعَهَا ... والسُّحْبَ. والطِّينَ. وَالْأَلْمَاسَ والْجَبَلَا
وَبَاطِنَ الْأَرْضِ. والْأَفْلَاكَ أَجْمَعَهَا ... وَكُلَّ شَيْءٍ عَلِمْنَاهُ. دَنَا وعَلَا

○ ○ ○

هَلْ لِلْفُجَاءَةِ مِنْ أَحْدَاثِهَا مَثَلٌ ... مَنْ ذَا يُقَدِّمُ مِنْ أَحْدَاثِهَا مَثَلَا؟
مَا تَلْقَ مِنْ حَدَثٍ إِلَّا لَهُ سَبَبٌ ... سُبْحَانَ مَنْ رَتَّبَ الْأَسْبَابَ والْعِلَلَا
واللَّهُ أَنْزَلَ آيَاتٍ مُنَجَّمَةً ... مُسَلْسَلَاتِ الْهُدَىٰ. فاسْتَقْرِ مَا نَزَلَا
فَكَانَتِ الْأُمَّةُ الْمُثْلَى بِجُمْلَتِهَا ... مِنْ أَسْفَلِ الْجَمْعِ حَتَّى تَبْلُغَ الْقُلَلَا[١]

○ ○ ○

فَبِالتَّدَرُّجِ تَقْفُو نَهْجَ خَالِقِنَا ... فَتَبْلُغُ الْمُرْتَجَىٰ. أَو تَتَّقِي الْخَطَلا[٢]
لَا يُرْفَعُ السَّقْفُ مَا لَمْ يُبْنَ حَامِلُهُ ... وَلَا بِنَاءَ لِمَنْ لَمْ يُرْسِ مَا حَمَلَا

---

(١) القُلل: جمع قُلَّة، وهي قِمةُ الجبل، وأعلى الرأس.

(٢) الخطل: الخفة والسرعة. والكلام الفاسد الكثير. وخطل السهم ذهابه يميناً وشمالاً بعيداً عن هدفه بسبب السرعة وعدم الأناة.

لَا تَبْنِ إِلَّا إِذَا أَسَّسْتَ رَاسِخَةً مِنَ الْقَواعِدِ واسْتَكْمَلْتَها عَمَلَا

○ ○ ○

وَجَاهِلٍ يَبْتَنِي صَرْحاً عَلَىٰ جُرُفٍ هَلَّا حَمَىٰ جُهْدَهُ لو أَنَّهُ عَقَلَا
فَكَمْ تَسَامَىٰ بِنَاءٌ في شَوَاهِقِهِ فَانْهَارَ مِنْ أُسِّهِ مِنْ بَعْدِ ما اكْتَمَلَا

○ ○ ○

أُسُّ الْأَسَاسِ لِصَرْحِ الدِّينِ مُعْتَقَدٌ فِي الْفِكْرِ وَالْقَلْبِ. لَا تَبْلُو بِهِ خَلَلَا[1]
عُنْوَانُهُ حِينَ يَسْتَوْفِي عَنَاصِرَهُ أَدَقُّ لَفْظٍ مُحِيطٍ يَمْنَعُ الدَّخَلَا[2]
أَلَسْتَ تُبْصِرُ فِي «الإِيمانِ» جَوْهَرَ مَا تَرْجُو الْعَقَائِدُ مِمَّا قَلَّ أَوْ جَزُلَا
عُمْقُ الْفُؤَادِ سَلِيمِ الطَّيِّ مَوْطِنُهُ وَبِالْحَيَاةِ يُمِدُّ الْقَوْلَ والْعَمَلَا
مَضْمُونُهُ فِي مَجَالِ الْفِكْرِ مَعْرِفَةٌ مِنَ الْيَقِينِ الَّذِي فِي الْغَيْبِ قَدْ دَخَلَا
وهُوَ اعْتِرَافٌ إِرَادِيٌّ إِذَا قَبِلَتْ بِهِ الإِرَادَةُ سُلْطَاناً حَلَا وَعَلَا
مُوَجِّهاً. آمِراً بِالْعَدْلِ. مُنْبَعِثاً لِلْخَيْرِ مَهْمَا يَجِدْ لِلْخَيْرِ مُدَّخَلَا[3]
مِنْ جَوْهَرِ الْحَقِّ قَدْ صِيغَتْ أَعِنَّتُهُ بِهَا يُكَفْكِفُ عَنْ أَصْحَابِهِ الزَّلَلَا
الْعِلْمُ بِالْحَقِّ والإِيمَانُ يَتْبَعُهُ أَسَاسُ دِينِكَ. فَابْنِ الدِّينَ مُكْتَمِلَا
مَهْمَا اسْتَقَرَّ لَكَ الإِيمَانُ فَابْنِ عَلَىٰ أَسَاسِهِ أَوَّلَ الإِسْلَامِ. ثُمَّ عَلَىٰ...
ثُمَّ ارْقَ شَيْئاً فَشَيْئاً صَاعِداً دَرَجاً مِنَ الْبِنَاءِ رَصِيناً. واحْذَرِ الْعَجَلَا
فَكَمْ عَجُولٍ كَبَا مِنْ ضَعْفِ رُؤْيَتِهِ وَذِي أَنَاةٍ أَصَابَ الرُّشْدَ والْأَمَلَا

○ ○ ○

مَنْ صَحَّ إِيمَانُهُ أَضْحَى تَصَرُّفُهُ أَشَدَّ حِرْصاً عَلَىٰ مَا بَرَّ أَوْ عَدَلَا
وَكَانَ مَرْكَبُهُ فِي بَحْرِ فِتْنَتِهِ تَقْوَىٰ الْمُهَيْمِنِ مَهْمَا حَلَّ وارْتَحَلَا
قَدْ شَدَّهُ لِنِهَايَاتِ الْهُدَىٰ طَمَعٌ وَصَدَّهُ الْخَوْفُ عَنْ مَهْوَاهُ فَاعْتَدَلَا

---

(١) لا تَبْلُو به خَلَلا: أي لا تكشف به خَلَلا بعد امتحانه واختباره.
(٢) الدَّخَل: فَسَادَ الدَّاخل، ويُطلق على الغدر والمكر والخديعة والعيب غير الظاهر.
(٣) مُدَّخَلا: مَكَاناً يُدْخَلُ مِنْهُ وَلَوْ بِكُلْفَة. أو هو مصدر ميمي من ادّخل على وزن (افتعل).

لِمْ لاَ. وَإِيمَانُهُ يُـرْجِي رَجَاهُ إِلَىٰ   جَنَّاتِ خُلْدٍ. بِهَا السَّعْدُ الذي اكْتَمَلاَ؟

لِمْ لاَ. وَإِيمَـانُـهُ بِـاللَّهِ يَمْنَحُـهُ   فَيْضا مِنَ الْجُودِ مَهْمَا طَبْعُهُ بَخِلاَ؟

بِهِ النَّفِيسَانِ مِنْ نَفْسٍ وَمَا مَلَكَتْ   قَدْ يُبْذَلاَنِ. لِيَرْضَىٰ ذُو نَدىً وَعُلاَ

لِمْ لاَ. وَإِيمَـانُـهُ بِـاللَّهِ يُلْجِمُـهُ   عَنِ الْمَزَلَّات. إِنْ حُبّاً. وَإِنْ وَجَلاَ؟

فَـالْحُبُّ يُخْجِلُهُ حِينـاً. وَيُـطْمِعُـهُ   وَالْخَوْفُ يَرْدَعُهُ أَنْ يَرْكَبَ الْخطَلاَ

لِمْ لاَ. وَإِيمَانُهُ يُعْطِيهِ كُـلَّ رِضىً   عَنِ الْقَضَاءِ. فَيَلْقَاهُ بـ «حَيَّ هَلاَ»؟

أَمَا يَرَىٰ أَنَّ مَـا قَدْ بَـاتَ يَكْرَهُـهُ   قَدْ يَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ مُسْعِداً جَلَلاً؟

وَأَنَّ مَـا بَـاتَ مِنْ دُنْيَـاهُ يَعْشَقُـهُ   لَـرُبَّمَـا كَـانَ شَـرّاً فِتْنَـةً وَبَـلاَ؟

فَفِي الْمَسَرَّاتِ حُسْنُ الشُّكْرِ مِنْهُ تَلاَ   وَفِي الْمَكَارِهِ حُسْنُ الصَّبْرِ مِنْهُ حَلاَ

○ ○ ○

أَقْبَاسُ مِنْ مَعْدِنِ الإِيمَانِ أَقْدَحُهَـا   شِعْراً. وَأَنْثُرُهَا فِي سَمْعِ مَنْ عَقَلاَ

تركيا ــ شوك شدرة في ١٣ شوال ١٤٠٤ هجرية   (٤١ بيتاً)

٦

روى الإمام مسلم عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:

«إنّ الله تعالى رفيق يحبّ الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه».

وفي رواية: «إنّ الله رفيق يحب الرفق في الأمر كلّه».

وروى مسلم عنها أيضاً، أن رسول الله ﷺ قال لها:

«عليكِ بالرِّفقِ، وَإِيّاكِ والعنف والفحش، فإنّ الرفق لا يكون في شيءٍ إلاّ زانه، ولا يُنزعُ من شيءٍ إلاّ شانه».

وروى مسلم عن جرير بن عبدالله البجلي، أنّ النبـي ﷺ قال:

«من يُـحرَمِ الرِّفق يُـحرَمِ الخير كلّه».

أي: يحرم خير العمل الذي استخدم فيه العنف، وانعدم فيه الرِّفق، وذلك لأن أسلوب العنف أسلوب لا يأتي بخير.

وقد كان رسول الله ﷺ في دعوته، وفي أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر رفيقاً، ولم يكن عنيفاً، وكذلك كان أنبياء الله ورسله، وبذلك ملكوا القلوب بالمحبّة، ولَمْ يُطوِّعوا الرّقاب بالإرهاب، إلاّ من ظلم وطغى فإنّه يناله العقاب جزاءً وفاقاً.

ويحلو لبعض الدعاة إلى الله استخدام وسيلة العنف، ومواجهة الناس بالعصا، ووجه منقبض، ولفظ فظ، لأنهم لم يتدرَّبوا على خُلُق الرفق بالناس،

وحسن مؤانستهم ومعاشرتهم، والتودُّد لهم، وامتلاك قلوبهم بالبشر والمحبّة، فينفر الناس منهم، ومن دعوتهم، ومن نصائحهم، ومن أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر. والعنف أسلوب مدخول بسوء خلق وجفاء طبع، إنْ لم يكن دافعه الكبر والعجب بالنفس.

ويزيد الأمر سوءاً حينما يكون هؤلاء جهلة بالدين، يهرفون بما لا يعرفون، ويُفْتُون بما لم يأذن به الله، ويُقدّمون عن الدين صورة سيئة في أقوالهم وأعمالهم.

وهذه القصيدة تعالج منهج الرفق في الدعوة إلى الله، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي بعنوان:

«الرفق في الدعوة إلى الله»

الرفق في الدعوة إلى الله

يَـا دُعَـاةً لِأَقْـوَمِ الـسُّـبُـلِ
مَنْهَـجُ الـرِّفْقِ مَنْهَـجُ الـرُّسُـلِ

○ ○ ○

أَوَّلُ الْأَمْـرِ دَعْـوَةٌ رَفَـلَتْ[1]
وَتَـهَـادَتْ[2] بِـأَبْـدَعِ الْـحُـلَلِ
فِـكْـرَةٌ حَـقٌّ تُـزَيِّـنُـهَـا
حِـكْـمَـةٌ كَـالْـمَـاءِ والْـعَـسَـلِ
فِـكْـرَةٌ فِـيـهَـا أَدِلَّـتُـهَـا
حُـلْوَةٌ فِي الـسَّـمْـعِ والْـمُـقَـلِ[3]
حُـلْوَةٌ فِي الْـفِكْـرِ مَـا لَـمَسَـتْ
مِـنْـهُ إِدْراكـاً بِـلَا ثِـقَـلِ

○ ○ ○

ثُـمَّ تَـأْتِـي بَـعْـدُ مَـوْعِـظَـةٌ
بَـرِئَـتْ مِنْ سَـيِّـىءِ الْـعِـلَلِ
حَـسُـنَـتْ فِي الـنَّـفْسِ رِقَّـتُـهَـا
وازْدَهَـتْ بِـالـنَّـاعِـمِ الْخَضِـلِ[4]
تَـلْمَـسُ الْأَطْـمَـاعَ آوِنَـةً
وَتَـهُـزُّ الْـقَـلْـبَ مِـنْ وَجَـلِ
وَيُـلِـيـنُ الـطَّـبْـعَ سَـلْـسَـلُهَـا
بِـجَـمِـيـلِ الْـقَـوْلِ والْـعَـمَـلِ
كَـمْ تَـرَىٰ عَـاصِـيَـةً طَـاوَعَـتْ
لِـلَطِـيـفٍ لَـيِّـنٍ سَـلْسَـلِ

○ ○ ○

وَمَـنِ اسْـتَـعْـصَـىٰ عَـلَىٰ حِـكْـمَـةٍ
وَعَـلَىٰ الْـمَـوْعِـظَـةِ الْأَمْـثَـلِ
فَـيُـدَاوَىٰ بِـالْـجِـدَالِ الَّـذِي
يُـقْـنِـعُ بِـالْأَجْـلَىٰ وَبِـالْأَعْـقَـلِ

---

(١) رَفَلتِ المرأة: جرت ذيل ثوبها وتبخترت.

(٢) تهادت المرأة: تمايلت في مشيتها.

(٣) المقل: جمع مُقْلَة، وهي شحمة العين التي تجمع السواد والبياض.

(٤) الْخَضِل: الرطب النديّ الذي يرتشف نداه.

لَا يُمَـارَىٰ. بَـلْ يُـدَارَىٰ بِمَـا   يَـزْدَانُ بِـالْأَحْسَـنِ والْأَفْـضَـلِ

○ ○ ○

فَـوْقَ هَـذا كُـلِّهِ أُسْـوَةٌ   تَـأْسِـرُ بِـالْأَكْـرَمِ والْأَجْـمَـلِ
الـصَّـبْـرُ مِـنْ أَوَّلِ أَخْـلَاقِـهَـا   فَـالْعَفْـوُ والصَّفْـحُ عَـنِ الْأَرْذَلِ

○ ○ ○

هَـذَا هُـوَ الـرِّفْقُ فِـأَمْسِـكْ بِـهِ   وَحَـاذِرِ الْـعُـنْـفَ وَلَا تَـجْـهَـلِ
وَتَـابِـعِ الْجَهْـدَ بِحُلْوِ الـرَّجَـا   واسْتَخْـدِمِ الْبَـذْلَ وَلَا تَبْـخَـلِ

○ ○ ○

أَمَّـا مَنِ اسْتَعْصَىٰ فَلَمْ يَسْتَجِبْ   فَـدَعْـهُ لِـلَّهِ الْحَكِيـمِ الْـعَلِيّ
لَا تَشْغَـلِ الْعُمْـرَ بِـهِ وانْتَقِـلْ   لِـغَيْـرِ مُسْتَعْصٍ وَلَا تَـعْـجَـلِ
جَاهِدْ بِمَنْ تَـرْجُو لَـدَيْـهِ الْهُدَىٰ   وَبِـالْعَنِيـدِ الصُّـلْبِ لَا تَحْـفِـلِ
عُـمْـرُكَ مَـحْـدُودٌ فَـأَدْرِكْ بِـهِ   بَعْضَ الْأَمَـانِي وانْتَهِـزْ واعْقِـلِ
ثُـمَّ عَـلَىٰ الـلَّهِ تَـوَكَّـلْ إِذَا   جِئْتَ مِنَ الْأَسْبَـابِ بِـالْأَكْمَـلِ
لَنْ يَعْـدَمَ الْـمَـرْءُ نَجَـاحـاً إِذَا   سَـارَ عَلَىٰ النَّهْـجِ وَلَمْ يَعْـدِلِ
مَـنْ يَبْـتَـغِ الـلَّهَ وَرِضْـوَانَـهُ   فِي سَعْيِـهِ يَغْـمُـرْهُ بِـالْأَجْـزَلِ
بِشَـرْطِ أَنْ يَـلْزَمَ فِـي سَـعْـيِـهِ   حُـدُودَ مَـا بَيَّنَ فِـي الْمُـنْـزَلِ
أَمَّـا مَـنِ اخْـتَـارَ بِـآرَائِـهِ   غَـيْـرَ سَبِيـلِ اللَّهِ فَـلْيَـفْـشَـلِ

تركيا ـ شوك شدرة ـ في ١٤ شوال ١٤٠٤ هجرية   **(٢٦ بيتاً)**

٧

خاطب الله الذين آمنوا بقوله في سورة (الأحزاب ٣٣):

﴿لقد كان لكم في رسولِ الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ (الآية ٢١).

وخاطبهم بقوله عزّ وجلّ في سورة (الممتحنة ٦٠):

﴿قد كانت لكم أسوةٌ حسنة في إبراهيم والذين معه إذْ قالوا لقومهم: إنّا بُرَءَاءُ مِنْكُمْ وَمِمّا تَعْبدُون من دون الله. كَفَرْنَا بِكم. وَبَدَا بَيْنَنَا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده، إلاّ قولَ إبراهيم لأبيه لأستغفرنَّ لك وَمَا أَمْلِكُ لَكَ من الله من شيء. ربَّنا عليكَ تَوكَّلْنَا وإليكَ أنبنا وإليك المصير * ربّنا لا تجعلنا فتنةً للذين كفروا. واغفر لنا. ربَّنا، إنّكَ أنت العزيز الحكيم * لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر. ومَنْ يَتَولَّ فإنّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الحميد﴾ (الآيات ٤ ــ ٦).

وأنّبَ اللَّهُ عُلَماءَ بَني إسرائيل ودُعاتهم بقوله عزّ وجلّ في سورة (البقرة ٢):

﴿أَتأمُرون النّاس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتابَ أفلا تعقلون؟﴾ (الآية ٤٤)

فالمفروض في الداعي إلى الله أن يكون في أعماله وأخلاقه قُدوةً حسنة.

ولذلك جعل الله أنبياءه ورسله أسوة حسنة كاملة بالعصمة، مع أنهم قد كانوا أسوة حسنة بمقتضى الاصطفاء.

حتى الرسول محمد ﷺ قد أمره الله بأن يقتدي بهُدَىٰ الرُّسل الذين جاءوا من قبله، فقال له في سورة (الأنعام ٦):

﴿أولئك الذين هدىٰ الله، فبهداهُم اقتدِه. قل: لَا أسألكم عليه أجراً. إنْ هو إلّا ذكرى لِلْعَالَمِين﴾ (الآية ٩٠).

فالداعي إلى الله مسؤول عن الاقتداء بالرسول ﷺ، ليكون هو قدوة حسنة لمن يدعوهم.

أمَّا أن يأمر بالتقوى ويكون من أهل المعاصي الظاهرة، ويأمر بالبرّ ويكون من أبعد الناس عن أفعال البرّ، ويأمر بالخلق الحسن ويكون سَيّىء الأخلاق فإنّ دعوته تكون مهنة غير مؤثرة في نفوس من يدعوهم.

وكذلك أُمَّة الدعوة، يجب أن تكون قدوة حسنة فيما تدعو الناس إليه.

وليس كذلك كثير من المتصدين للدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وليس كذلك واقع حال الأمة الإسلامية المفروض فيها أن تكون أُمّة الدعوة، لذلك كان حال المسلمين لا يشجع الشعوب غير المسلمة على الدخول في الإسلام، مع أنّ واجب المسلمين أن يكونوا شهداء لله على الناس في التبليغ، وفي تقديم القدوة الحسنة لهم.

وهذه القصيدة تعالج القدوة الحسنة التي يجب أن يتحلّىٰ بها الداعي إلى الله، والآمر بالمعروف الناهي عن المنكر.

نُشِرت في جريدة الندوة بتاريخ ٦ محرم ١٤٠٥ هجرية وهي بعنوان:

«القدوة الحسنة»

القدوة الحسنة

أَيُّها الدّاعي اسْتَقِمْ. ولْتَكُنْ ... قُدْوَةً لِلنَّاسِ مُسْتَحْسَنَهْ

فَإذَا كُنْتَ لَهُمْ أُسْوَةً ... كُلُّ فِعْلٍ تَنْتَقِي أَحْسَنَهْ

فَمَجْلِسٌ يُغْنِيكَ عَنْ دَعْوَةٍ ... فِي كَلَامٍ أَشْهُراً أَوْ سَنَهْ

وَمَثَلٌ حَيٌّ لَهُ جَاذِبٌ ... يَفْعَلُ مَا لَا تَفْعَلُ الْأَلْسِنَهْ

أَفْعَالُهُ السَّوْسَنُ فِي رَوْضِهِ ... مَنْ مَرَّ فِيهِ يَقْتَطِفْ سَوْسَنَهْ

يُثِيرُ فِي النَّاظِرِ إِعْجَابَهُ ... فَيَشْتَهِي تَقْلِيدَ ما اسْتَحْسَنَهْ

وَرُبَّما تَدْفَعُهُ غِبْطَةٌ ... وَرُبَّما تَأْسِرُهُ مُحْسِنَهْ

لِذَا اصْطَفَى اللَّهُ لَنَا رُسْلَهُ ... حَتَّىٰ يَكُونُوا «أُسْوَةً حَسَنَه»

تركيا، شوك شدرة، في ١٥ شوال ١٤٠٤ هجرية — (٨ أبيات)

٨

خاطب الله رسوله محمّداً ﷺ بقوله عزّ وجلَّ في سورة (النحل ١٦):
﴿ادْعُ إلى سبيل رَبّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن. إنّ ربّك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ (الآية ١٢٥).

ويلحق بالرسول في هذا الخطاب الدعاة من أمّته إلى سبيل الله.

والحكمة في الدعوة تقتضي معالجة كلّ مدعوّ بما يلائمه، وبالوسيلة الأكثر تأثيراً على نفسه، ممّا هو مأذون به شرعاً.

ومعرفة الوسيلة التي تقتضيها الحكمة، تستلزم معرفة طبائع الناس، وخصائص الأفراد والجماعات والأقوام والشعوب، وتستوجب دراسات نفسية نظرية وميدانية، واختبارات تجريبية.

فالداعي الحكيم يؤلف الله عليه القلوب، ويجمع عليه النفوس، ويصلح به مفسدين، ويهدي به ضالين، «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً».

أمّا المحروم من الحكمة، فضرره في الدعوة إلى سبيل الله أكثر من نفعه، وربّما كان منفّراً، وفتّاناً عَنْ دين الله.

والناس أصناف شتى، فلكل شعب صفات وسمات متميزة ينفرد بها عن الشعوب الأخرى، ولكل فرد صفات وسمات متميزة ينفرد بها عن الأفراد الآخرين.

ومع اختلاف طبائع الشعوب والأفراد، يمكن تصنيف الناس في أصناف،

ويمكن بالتأمل والاختبار والتجربة وملاحظة النتائج، وسبر تجربة الوسائل، التعرّف على الوسائل الأكثر نفعاً في معالجة كلّ صنف.

على أنّ الحكيم يجب أن يكون دائم الملاحظة، سريع التكيُّف، لمعالجة الأفراد من الصنف الواحد، بموجب فروقهم الفردية، واختيار الوسيلة الأكثر نفعاً وتأثيراً.

ولا يتحقق ذلك إلّا بالتعلّم والتدريب الطويل، مع ضرورة وجود أصل الاستعداد الفطري، فبعض الناس من العسير عليه أن يقهر طبعه ويكون حكيمًا، وهذا من الخير له أن لا يتصدى لدعوة ذات نطاق واسع.

وقد عالجت هذه القصيدة توجيه الداعي لأن يكون حكيماً في دعوته، وهي بعنوان:

«الداعي الحكيم»

الداعي الحكيم

يَا دَاعِياً بَعْضَ مَنْ تَدْعُو تُقَرِّبُهُ ... وَسِيلَةٌ. وَسِوَاهُ قَدْ تُبَعِّدُهُ
تَظُنُّ أَنَّكَ تَهْدِيهِ وَتُصْلِحُهُ ... لَكِنَّ أُسْلُوبَكَ الْمَأْفُونَ يُفْسِدُه[1]

○ ○ ○

لَا تَحْسَبِ النَّاسَ أَمْثَالاً مُطَبَّقَةً ... عِلَاجُ إِصْلَاحِهِمْ أَمْرٌ تُحَدِّدُهُ
وَمَا أَفَادَكَ حِيناً خِلْتَهُ سَبَباً ... يُفِيدُ فِي كُلِّ أَمْرٍ أَنْتَ تَقْصِدُهُ
فَإِنْ أَهَنْتَ وَأَكْرَمْتَ امْرءاً فَغَدا ... لَدَيْكَ طِبْقَ الَّذِي تَرْجُو وتَرْصُدُهُ
فَلَا تَقُلْ: هُوَ ذَا أَرْجَىٰ وَسَائِلِنَا ... فَأَنْتَ لِلنَّاسِ كُلِّ النَّاسِ تُرْصِدُهُ[2]
لَكَمْ فَتًى إِنْ رَأَىٰ أَدْنَىٰ الْإِهَانَةِ لَمْ ... يَصْبِرْ عَلَيْكَ. وَلَوْ أَقْبَلْتَ تَرْفِدُهُ[3]

○ ○ ○

طَبَائِعُ النَّاسِ أَنْوَاعٌ مُقَسَّمَةٌ ... وَكُلُّ قِسْمٍ لَهُ هَدْيٌ يُسَدِّدُهُ
إِنَّ الْحَكِيمَ يَرَىٰ الْأَسْبَابَ أَجْمَعَهَا ... فَيَصْطَفِي مَا بِهِ يُصْطَادُ مَقْصِدُهُ

○ ○ ○

أَمَا الْعَصَا فَاتَّخِذْ مِنْ دُونِهَا حُجُباً ... تُخَالُ مِنْهَا لِمَنْ يُرْجَىٰ تَوَدُّدُهُ
لَا تَطْلُبِ الْوُدَّ بِالْإِرْهَابِ تُعْلِنُهُ ... الْوُدُّ كَالطَّيْرِ خَوْفُ الْقَنْصِ يُشْرِدُهُ[4]
رَأَيْتُ فِي النَّاسِ مَنْ بِالْعَقْلِ تُقْنِعُهُ ... وَيَنْتَهِي بِبَيَانَاتٍ تَرَدُّدُهُ

---

(١) المأفون: فَاسد الرأي.
(٢) تُرْصِدُه: تُعِدُّه، يُقَالُ: أَرْصَد له كذا إذَا أعدَّه له.
(٣) تَرْفِدُه: تعطيه وتمنحه.
(٤) يُشْرِدُه: يطرده وينفّره، مثل يُشَرِّده بالتضعيف.

حَصَافَةُ الْفِكْرِ تُغْنِيهِ فَتَجْذِبُهُ ... لِلْحَقِّ. وَالنَّاسُ بِالإِنْصَافِ تَحْمَدُهُ
وَبَعْضُهُمْ بَابُهُ فِي رُكْنِ مَطْمَعِهِ ... مُفَتَّحٌ لاِقْتِنَاصِ النَّفْعِ مُوصَدُهُ[1]
فَابْذُلْ لَهُ يَنْفَتِحْ مِنْ بَابِ مَطْمَعِهِ ... وَادْخُلْ إِلَيْهِ لَعَلَّ الْجُودَ يُرْشِدُهُ
وَرُبَّ صُلْبٍ يَدُ التَّرْهِيبِ تَعْطِفُهُ ... فَيَغْتَدِي مِثْلَ ذِي لِينٍ تَشَدُّدُهُ

○ ○ ○

فَكُنْ حَكِيماً وَضَعْ لِلشَّيْءِ مُصْلِحَهُ ... فَحِكْمَةُ الْمَرْءِ أَسْمَىٰ مَا يُمَجِّدُهُ
مَنْ يُؤْتَ حِكْمَتَهُ نَالَ النَّجَاحَ بِهَا ... حَصَادُهَا خَيْرُ مَا يَجْنِي وَيَحْصُدُهُ
وَكُلُّ ذِي عَبْقَرِيَّاتٍ مُمَيَّزَةٍ ... وَعَامِلٍ كَادِحٍ فِي النَّاسِ يَحْسُدُهُ
الْعَزْمُ وَالْحِكْمَةُ الْمَرْجُوُّ طَائِرُهَا ... مِلاَكُ قَصْدِكَ. وَالرَّحْمٰنُ يُوجِدُهُ

مكة المكرمة، في ٢٢ ربيع الأول ١٤٠٥ هجرية **(٢٠ بيتاً)**

(١) مُوصَدُه: أي مُغلقه، يقال: أوصد الباب إذا أطبقه وأغلقه.

٩

يتصوّر بعض أصحاب النظر السطحيّ القريب أنّ الدّاعي إلى الله، إذا لم يظفر ظفراً مَادّيّاً ضدّ الطغاة البغاة في الأرض، كان مهزوماً، ولم يحقّق الله له مطلوبه.

مع أنّ الحقيقة التي يراها أهل البصيرة، وتنكشف للنّاسِ جميعاً بعد حين، أنّ مبادىء الطغاة هي التي تنهزم في نفوس الجماهير، ومبادىء الدعاة المضطهدين، أو الذين استشهدوا في سبيل دعوتهم هي التي تنتصر في نفوس الجماهير، وتكون لها الغلبة والسلطان.

وتتساقط عروش الطغاة بعد حين، وتنتشر دعوة الدعاة الذين اضطهدوا أو استشهدوا، وتكون هي المستولية على عروش القلوب والنفوس.

والدعاة إلى سبيل الله يجب أن يكون همُّهم انتصار الدعوة، لا انتصار أنفسهم وجنودهم على جبابرة الأرض.

فإن جعلوا هذا هدفهم الأسمى كانوا مخلصين في دعوتهم حقّاً، وهداهم هذا إلى التزام منهج الله، وأخذ الأمور كلّها بالحكمة.

ثم إذا علم الله بحكمته أنه إذا نصرهم نصراً مادّيّاً على عدوّهم أقاموا دينه حقّاً، نصرهم النصر المادّي الذي يحبّون، وجعل لهم التمكين في الأرض، ومكّن لهم دينهم الذي ارتضىٰ لهم.

أمّا إذا علم أنهم ليسوا أهلاً لذلك، فإنه يحجب عنهم النصر الماديّ الذي يحبون، ويقضي بانتصار دينه ولو بعد حين، وبإظهاره على الدين كله، ولو كره الكافرون.

وهذه القصيدة تصحح مفاهيم بعض الدعاة الذين يظنون أن استشهاد الدعاة هزيمة للدعوة، وتبين أنّ انتصار الدعوة ولو بعد حين أعظم وأجلّ من انتصار الداعي انتصاراً ماديّاً، وهي بعنوان:

«انتصار الدعوة وظهورها أعظم من ظفر الداعي»

انتصار الدعوة وظهورها أعظم من ظفر الداعي

يَـا دَاعِيَ اللَّهِ للدَّاعِيـنَ أَسْبَـابُ ... وَدُونَ أَنْفُسِ كُـلِّ النَّاسِ أَبْـوَابُ

مِنْهَا الرَّفِيقُ الّـذِي هَانَتْ مَفَـاتِحُهُ ... وَبَعْضُهَـا دُونَـهُ شَـوْكٌ وَحُجَّـابُ

○ ○ ○

نَفْسٌ كَبَيْتٍ. وَنَفْسٌ قَـرْيَةٌ وَحِمىً ... أَوْ قَلْعَةٌ سَمَقَتْ. مِنْ دُونِهَا غَابُ

وَبَعْضُهَـا مُـدُنٌ تَـاهَ الْغَـرِيبُ بِهَـا ... وَبَعْضُهَـا وَاحَةٌ. والنَّـاسُ أَضْرَابُ

○ ○ ○

فَإِنْ تُرِدْ دَعْـوَةً فَاجْمَـعْ لَهَا عُـدَداً ... مِنْ كُلِّ صِنْفٍ. وَلَا تُقْعِدْكَ أَتْعَابُ

وَمَنْ تَكُنْ نَفْسُهُ كَالْحِصْنِ مُمْتَنِعاً ... فَـاحْتَلْ إِليـهِ. ولِلْمُحْتَالِ أَسْبَـابُ

○ ○ ○

إِنْ تَلْتَزِمْ بِهُدَىٰ رَبِّ الْأَنَـامِ تَجِدْ ... نَصْـراً. وَلَا يَنْفَـعُ الْكُفَّـارَ أَرْبَـابُ

يُمْدِدْكَ رَبُّكَ بِـالْعَوْنِ الْخَفِيِّ وَإِنْ ... لَمْ تَحْتَسِبْهُ. وَبَعْضُ الْعَوْنِ إِرْهَابُ

النَّصْـرُ يَأْتِي لِمَـا تَدْعُـو إِلَيْهِ وَإِنْ ... كُنْتَ الشَّهِيدَ. وَإِنْ يَصْلِبْكَ غَلَّابُ

فَرُبَّ دَاعٍ شَهِيدُ الْحَقِّ. حِينَ قَضَى ... قَـامَتْ لَهُ دَوْلَـةٌ. وانْقَـادَ مُـرْتَـابُ

○ ○ ○

وَدَوْلَـةٍ مُذْ هَـوَتْ طَارَتْ مَـذَاهِبُهَا ... فَمَا لَهَـا فِي بَقَايَا الْغُنْمِ أَسْلَابُ

○ ○ ○

تَـدْبِيرُ رَبِّـكَ بِاللُّطْفِ الْخَفِيِّ لَـهُ ... سُـرَاهُ سِـرّاً. وَلِـلْآثَـارِ إِعْـرَابُ[1]

---

(١) إعراب: إبانة وإظهار.

وَرُبَّمـا جَـاءَتِ الْأَمْـدَادُ ظَـاهِـرَةً   وَشَـدَّ أَزْرَكَ أَنْـصَـارٌ وَأَصْحَـابُ

○ ○ ○

فَكُنْ مَعَ اللَّهِ بِالْحُبِّ الْعَظِيمِ وَلَا   تَيْأَسْ وَتَـأْسَ. فَلِلرَّحْمٰنِ أَحْبَابُ
هُمُـو أَشَـدُّ بَـلَاءً فِي تَـرَحُّلِهِمْ   لَكِنَّهُمْ أَسْعَـدُ الـرَّاضِينَ إِنْ آبُـوا
وَكُنْ مَعَ اللَّهِ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ وَلَا   تَعْجَلْ وَتُوهِنْكَ مِنْ ذِي الْعَضِّ أَنْيَابُ
وَاطْلُبْ أُجُـورَكَ عِنْدَ اللَّهِ خَـالِـدَةً   فَلِلدُّنَى وَمَتَـاعِ الْأَرْضِ طُـلَّابُ

○ ○ ○

هٰـذِي مَعَـالِمُ لِلدَّاعِينَ أَقْبِـسُهَـا   مِمَّنْ هُمُـو أُسْوَةٌ لِلنَّـاسِ أَقْطَابُ
الرُّسْلُ والصَّحْبُ. ثُمَّ الْمُقْتَدُونَ بِهِمْ   وَكُـلُّ مَنْ نَهْرُهُ فِي الـدَّهْرِ مُنسَابُ

مكة المكرمة، في ٢١ ربيع الأول ١٤٠٥ هجرية   (١٩ بيتاً)

١٠

من قواعد الدعوة إلى سبيل الله توجيه العناية، للمقبل طالب الهداية، وعدم إيثار المعرضين المستكبرين في الأرض بالاهتمام، طمعاً بانضمام قوتهم إلى الإسلام، وانتصاره بهم، فالمقبل طالب الهداية ولو كان فقيراً أو ضعيفاً هو إنسان له حقّ السبق في مجال التزكية، فلا يجوز الاستهانة بحقه هذا، وإيثار غيره عليه، لا سيما حينما يكون غيره معرضاً مستكبراً. والمقبل طالب الهداية غنيمة يجب الإسراع بصيدها وتجنيدها، ولم يصل حتى قطع شوطاً طويلاً. وهو أيضاً مقبل باندفاع ذاتي، فهو أحرى أن يكون ظهيراً نصيراً، وقوّة ثابتة راسخة، وجندياً صادقاً من جنود الإسلام.

هذه القاعدة قد دلّت عليها قصة عبدالله بن أم مكتوم مع رسول الله ﷺ.

روى الطبري بسنده عن ابن عباس قال: بينا رسول الله ﷺ يناجي عتبة بن ربيعة، وأبا جهل بن هشام، والعبّاس بن عبدالمطلب، وكان يتصدّى لهم كثيراً، ويحرص على أن يؤمنوا، فأقبل إليه رجل أعمى، يقال له: عبدالله ابن أم مكتوم، يمشي وهو يناجيهم، فجعل عبدالله يستقرىء النبيّ ﷺ آية من القرآن، وقال: يا رسول الله علّمني مما علمك الله، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، وعبس في وجهه وتولى، وكره كلامه، وأقبل على الآخرين، فلما قضى رسول الله ﷺ، وأخذ ينقلب إلى أهله، أمسك الله بعض بصره، ثمّ خفق برأسه، ثم أنزل الله:

﴿عبس وتولىّ. أن جاءه الأعمى. وما يُدريك لعلّه يزّكى. أويذّكّرُ فَتنتفعَهُ الذكرى﴾.

فلماً نزل فيه أكرمه رسول الله ﷺ وكلّمه، وقال له: «ما حاجتك؟ هل تريد من شيء؟» وإذا ذهب من عنده قال له: «هل لك حاجة في شيء؟». انتهى.

وكان يقول له إذا جاء إليه: «مرحباً بمن عاتبني به ربـي». واستخلفه على المدينة مرتين، في غزوتين غزاهما.

وهذه القصيدة تعالج هذه القاعدة، وهي بعنوان:

«من قواعد الدعوة توجيه العناية لطالب الهداية»

من قواعد الدعوة
توجيه العناية لطالب الهداية

هَـدْيُ رَبِّ الْـوَرَى لِأَكْـرَمِ بَـرٍّ   خُـذْهُ يَـا دَعِيـاً لِـخَيْـرٍ وَبِـرِّ
عَلَّمَ اللَّهُ: أَنَّ مَـنْ جَـاءَ يَسْعَىٰ   يَتَـزَكَّىٰ. فَهْـوَ الْجَـدِيـرُ بِبِشْـرِ
فَتَـحَ الْقَـلْبَ لِلْهُـدَىٰ فَـتَصَـيَّـدْ   قَـلْبَـهُ مُـؤْنِسـاً بِـعِـلْمٍ وَذِكْـرِ
لَا تَـظُنَّ الْـغَنِـيَّ أَحْـرَىٰ وَأَوْلَـىٰ   مِنْـهُ بِالْهَـدْيِ. تَـرْتَجِي شَـدَّ أَزْرِ
هَـؤُلَاءِ الْأَعْـلَوْنَ إِنْ لَمْ يَلِينُـوا   مِنْ قُلُوبٍ. ظَلُّوا بِنَـزْعَـةِ كِـبْـرِ
إِنْ أَجَـابُوا مِنْ بَعْـدِ جَهْدٍ جَهِيدٍ   فَسَـيَبْـقَـوْنَ بَـيْـنَ مَـدٍّ وَجَـزْرِ
بَيْـدَ أَنَّ الْعُشَّـاقَ لِلْحَقِّ مَهْـمَـا   ضَعُفُوا فِي الْوَرَى فَـهُـمْ أَهْلُ نَصْرِ
هُمْ بِنَاةُ الشُّعُوبِ فِي كُلِّ أَرْضٍ   وَجُنُـودُ الـدُّعَـاةِ فِي كُـلِّ عَصْـرِ
وَإِذَا مَـا تَـكَـاثَـرُوا وَتَـلَاقَـوْا   عَـظُمُـوا فِي عُيُـونِ قَـادَةِ كُفْـرِ
فَتَـرَىٰ الْجَـاحِـدَ الْمُحَـارِبَ بِـالْأَمْسِ وَلِيّـاً يُـطِيـعُ مِنْ غَيْـرِ قَسْـرِ
وَإِذَا لَـمْ يُـطِعْ وَظَـلَّ عَـنِـيـداً   فَسَيَـأْوِي لِـمَلْجَـإٍ أَوْ لِـجُـحْـرِ
يَتَـوَارَىٰ كَيْـلَا يُـصَـادِمَ جَيْـشـاً   صَـارَ ذَا قُـوَّةٍ وَبَـأْسٍ وَقَـهْـرِ

○ ○ ○

قَـائِدُ الْفَيْلَقِ الْعَـرَمْرَمِ فِي «الْأَحْـزَابِ» وَافَىٰ فِي «الْفَتْحِ» طَـالِبَ سِتْرِ[1]
مُسْلِمَـاً رَاضِيـاً بِـحِـفْظٍ وَأَمْـنٍ   وَسَـعِيـداً إِذْ نَـالَ لَفْـظَةَ فَخْـرِ

○ ○ ○

(١) هو أبو سفيان بن حرب.

فَتَعَلَّمْ صَيْـدَ الْقُلُوبِ بِـرِفْقٍ وَتَلَطَّفْ فِي كُـلِّ نَـهْيٍ وَأَمْـرِ
مَنْ يُجِبْ دَعْـوَةَ الْهُدَىٰ بِـارْتِيَاحٍ فَتَصَيَّـدْهُ واحْتَضِنْـهُ بِحِجْـرِ
وَإِذَا مَـا أَبَـىٰ عَـلَيْـكَ زَعِـيمٌ فَـتَـرَبَّصْ بِـهِ. بِـرِفْقٍ وَحِـذْرِ
لاَ تُـوَاجِهْـهُ بـالْعَـدَاوَةِ مَـا لَمْ يَـأْتِ مِنْ أَمْـرِهِ بِكَيْـدٍ وَمَكْـرِ

○ ○ ○

عِلْمُ رَبِّي وَهَـدْيُهُ خَيْـرُ هَدْيٍ فَـاتَّبِعْـهُ تَفُـزْ بِـأَعْـظَمِ أَجْـرِ
كُـلُّ رَأْيٍ سِـوَاهُ ظَـنٌّ ضَعِـيفٌ يَتَهَـاوَىٰ لَدَيْـكَ مِنْ بَعْـدِ خُبْـرِ[1]

مكة المكرمة في ٢٠ ربيع الثاني ١٤٠٥ هجرية **(٢٠ بيتاً)**

(١) الخُبْر: بضم الخاء وسكون الباء الاختبار والتجربة. والعلم المستند إلى ذلك.

١١

انحرافات وأخطاء كثيرة، فقد المسلمون بسببها مركز القيادة والسيادة، داخل معظم بلدانهم، حتى قفز إلى هذا المركز أعداؤهم وأعداء دينهم.

وطريق العودة إلى مركز القيادة والسيادة طويل، وله نظام سببيّ لا بدّ من الأخذ به لتحقيق الهدف المنشود، فاللّه عزّ وجل قد نظم كونه وفق قوانين الأسباب والمسبَّبات، ومن ذلك الظاهرات الاجتماعية، وثمرات الأعمال الإنسانية.

وهذه القصيدة قد تعرّضت لبيانٍ شعري حول الانحرافات والأخطاء التي كانت الأسباب التي فقد بها المسلمون مركز القيادة والسيادة، وحول طريق العودة. وقد وضعت لها عنوان: «**معالم على طريق العودة**»

وأشير إلى أننّي حذفت هنا المقطع الأوّل منها، عسىٰ أن أنشره في مناسبة ملائمة له، فالغرض هنا بيان منهاج الدعوة وتوجيه الدعاة.

معالم على طريق العودة

يَـا أُمَّـةَ الْحَقِّ والإيمَـانِ والـرَّشَـدِ ... أَمَا كَفَتْكِ عِـظَاتُ الْحَاضِـرِ النَّكِدِ
تَـرَكْتِ مِنْهَـاجَ دِينِ اللَّهِ مُعْـرِضَـةً ... فَمَسَّكِ الضَّنْكُ في ذُلٍّ وَفِي بَدَدِ

○ ○ ○

أَنْتِ الَّتِي كُنْتِ أَبْطَنْتِ[1] الْعُدَاةَ وَقَدْ ... نَسِيتِ أَنَّ عُدُوَّ الْأَمْسِ حَرْبُ غَدِ
مُنَافِقُ الْيَوْمِ . قَـدْ تُغْرِيـكِ بَسْمَتُهُ ... لَكِنَّهـا بَسْمَـةٌ تُنْبِيـكِ عَنْ حَسَـدِ
تُنْبِيكِ عَنْ حَشْدِ حِقْدٍ في الْفُؤَادِ لَهُ ... مِنْ زُورِ قَوْلٍ وَفِعْلٍ مَكْرُ مُحْتَشِدِ

○ ○ ○

لَمَّـا تَتَوَّجْتِ بِـالْإِسْـلَامِ مَـا فَتِئَتْ ... نُجُومُ عِزِّكِ تَرْقَى الدَّهْرَ فِي صُعُد[2]
جَحَافِلُ الْحَقِّ تَعْـدُو مِنْكِ فَـاتِحَةً ... فِي الشَّرْقِ والْغَرْبِ فَتْحَ الْفِكْرِ والْعُدَدِ[3]
لَدَيْكِ نُورَانِ: نُورُ الْهَدْيِ يَصْحَبُهُ ... نُورٌ مِنَ الْبَأْسِ يَفْرِي مُظْلِمَ الزَّرَدِ[4]

○ ○ ○

وَمُذْ تَهَاوَنْتِ بِالدِّينِ الْحَنِيفِ غَـدَا ... إِشْـرَاقُ مَجْدِكِ يَهْـوِي غَيْـرَ مُتَّقِـدِ
وَقَامَ فِي أَرْضِكِ الْبَاغُونَ يَصْحَبُهُمْ ... قَتْـلٌ. وَمَكْرٌ. وَإِيثَـارٌ لِكـلِّ رَدِي
وَحَبْلُهُمْ فِي دِيَـارِ الْكُفْـرِ مُنْعَقِـدٌ ... وَظَهْرُهُمْ فِي دِيَارِ الْكُفْـرِ ذُو سَنَدِ

○ ○ ○

---

(١) أبطنت العداة: أي جعلتهم بطانة لك. تقول: أبطنتُ الرجلَ إذا جعلته من خواصك، وصاحب سرّك.

(٢) صُعُد: جمع صُعود، وهي الطريق الصاعدة.

(٣) الجحافل: الجيوش. العُدَد: جمع عُدة، وهي الأسلحة.

(٤) الزَّرد: حلقات الدرع.

أَمَّـا مَعَـادُكِ لِلْعَـلْيَـاءِ مُشْـرِقَـةً فَـرَهْنُ سَعْيٍ بِـدِينِ اللَّهِ مُنْعَقِـدِ
مُـقَيَّـدٍ بِـصِـرَاطِ اللَّهِ لَـيْسَ لَـهُ هَوىً يَمِيلُ بِمَنْحَـاهُ عَنِ الْجَدَدِ[1]

○ ○ ○

لَا يَـرْفَـعُ الصَّـرحَ أَفْـرَادٌ مُبَعْثَـرَةٌ حَتَّىٰ يَكُونُوا ذَوِي بَأْسٍ ذَوِي عَدَدِ
كُفْءَ النُّهوضِ بِرَفْعِ الصَّرحِ تَجْمَعُهُمْ قِيـادَةٌ تَمْزِجُ الإِخْـلَاصَ بـالـرَّشَـدِ
مَـا هَمُّهَـا طَلَبُ الـدُّنْيَا وَزِينَتِهَـا وَلَا الْعُلُوُّ وَنَيْـلُ الْمَجْـدِ فِي الْبَلَدِ

○ ○ ○

مَلَامِحُ الضَّوْءِ لَاحَتْ فِي السَّمَاءِ فَهَلْ هَذَا الَّذِي لَاحَ نُـورٌ مُؤْذِنٌ بِغَـدِ؟
اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي الْغَيْبِ مِنْ حَدَثٍ وَكُـلُّ آتٍ يُبِيحُ الـظَّنَّ للرَّصَـدِ[2]
وَاللَّهُ عَلَّمَـنَـا أَنْ لَا يَـدُومَ أَسَى وَلَا تَـدُومَ شَـدِيـدَاتٌ عَلَىٰ أَحَـدِ
وَنَـظْرَةُ الْمَـرْءِ لِـلْأَسْبَابِ تَجْعَلُهُ يَـظُنُّ مَا سَوْفَ يَأْتِي ظَنَّ مُعْتَقِـدِ
ثُمَّ الْحَـوَادِثُ تَـأْتِي وَفْقَ خِبْـرَتِـهِ وَسُنَّـةُ اللَّهِ فِيهَـا خَيْـرُ مُسْتَنَـدِ
وَمَنْ يُجَاهِدْ بِأَسْبَابِ الْحَـوادِثِ لَا يَعْدَمْ نَتَائِجَهـا فِي الْغَيِّ والرَّشَـدِ

○ ○ ○

يَـا طَـالِبـاً قِمَمَـا أَتْبِـعْ لَهَـا سَبَـاً يَكْفِي لِتَبْلُغَهَـا مَـعْ صَبْـرِ مُجْتَهِـدِ
مَنْ عَاشَ بِالْوَهْمِ يَرْجُو نَيْلَ طِلْبَتِهِ مِنْ غَيْرِ أَسْبَابِهـا أَفْضَىٰ إِلَىٰ كَمَدِ
وَضَيَّعَ الْعُمْرَ فِي أَحْلَامِ صَحْوَتِـهِ وَلَمْ يُصِبْ غَيْرَ فَيْضِ الْحُزْنِ والنَّكَدِ

○ ○ ○

لِلْحَيِّ حَظٌّ مِنَ الـدُّنْيـا سَيَبْلُغُـهُ بِكَسْبِـهِ وَقَضَـاءِ الْـوَاحِـدِ الصَّمَـدِ
أَمَّا النَّصِيبُ مِـنَ الْأُخْرَىٰ فَمُرْتَبِطٌ بِسَعْيِـهِ. وَبِفَضْلِ اللَّهِ فِي الْمَـدَدِ

---

(١) الْجَدَد: المستوي من الْأَرْض التي ليس فيها رمل ولا اختلاف. والطريق المستوية التي لا حَدَب فيها ولا وُعُوثة.
(٢) الرصد: المترصدون.

يَا طَالِباً مَنْزِلَ الْفِرْدَوْسِ خُذْ سَبباً إِلَيْـهِ مِنْ مُـرْضِيَـاتِ اللَّهِ واجْتَهِـدِ
لَا تَقْتَصِدْ فِي سِبَاقِ الْخَيْرِ مُتَّكِلاً مَنَـازِلُ السَّبْقِ لَا تَسْعَىٰ لِمُقْتَصِـدِ

○ ○ ○

مَنْ لَمْ يُرِدْ مِنْ بَنِي الإِنْسَانِ نَهجَ هُدىً فِي عَيْشِهِ. ظَلَّ فِيمَا ضَلَّ مِنْ جُدَدِ[1]
كُـلُّ ابْـنِ آدَمَ مَـوْدُوعٌ أَمَـانَتَـهُ يَخْتَارُ مَا شَاءَ فِيهَا غَيْرَ ذِي صَفَدِ[2]
لَكِنَّـهُ يَـوْمَ يَـأْتِي لِلْحِسَـابِ يَـرَىٰ كَشْفَ الْحِسَابِ دَقِيقَ الْحَصْرِ والْعَدَدِ
مَا طَارَ مِنْ طَـائِرِ الْأَعْمَـالِ يَلْزَمُهُ حَتَّىٰ يُدَانَ. لُزُومَ الـظِّلِّ لِلْجَسَدِ
مَـا ظَنُّـهُ هَيِّنـاً يَـوْمَ الْبَـلَاءِ وَلَمْ يُهِمَّـهُ أَمْرُهُ يَـوْمَ الْجَـزَا يَجِـدِ
وَلَا تَضَـامُنَ بَيْنَ النَّـاسِ يَـوْمَئِذٍ كُـلٌّ يُحَاسَبُ فَـرْداً غَيْـرَ مُعْتَضِـدِ
وَكُـلُّ مُتَّبِـعٍ فِي الإِثْمِ مُـنْفَـرِدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ. فَلَمْ يَنْقُصْ وَلَمْ يَزِدِ
مَنْ ضَـلَّ مُتَّبِعاً فَهْـوَ الْمُرِيـدُ وَقَدْ دَعَاهُ دَاعِي الْهُدَىٰ حِيناً وَلَمْ يُرِدِ

○ ○ ○

وَمَـنْ يَكُـنْ هَمُّـهُ إِنْقَـاذَ أُمَّتِـهِ فَصَـدْرُ أَسْبَابِـهِ تَـأْلِيفُ مُتَّحِـدِ
صـرحُ الْجَمَاعَةِ تَبْنِيهِ الْجَمَاعَةُ فِي تَعَـاوُنٍ صَـادِقٍ. لَا جَهْـدُ مُنْفَـرِدِ
قَـدْ يَعْمَلُ الْفَـرْدُ فِي تَبْصِيرِ أُمَّتِـهِ وَفِي قِيَـادَتِهَـا سَعْيـاً إِلى صُعُـدِ
لَكِنَّـهُ لَـيْسَ يَبْـنِي وَحْـدَهُ أَبَـدَاً أَمْجَـادَهَـا دُونَ أَجْنَـادٍ يَـدٍ بِيَـدِ
لَمْ تَصْنَعِ الْمُعْجِزَاتُ النَّاسَ بَلْ كَشَفَتْ صِرَاطَهُمْ. فَمَنِ اسْتَهْدَىٰ الصِّرَاطَ هُدِي
عصاً لموسَىٰ لَهَا فِي الْبَحْرِ آيَتُهَا وَفِي الْحِجَارَةِ. لَا فِي كَافِرٍ جحِدِ
وَنَفْخُ عِيسَىٰ أَحَالَ الطِّينَ طَيْرَ رُبَا[3] لَكِنَّـهُ لَمْ يُحَـوِّلْ سُـوءَ مُعْتَقَـدِ

○ ○ ○

---

(١) الْجُدَد: الطرق والسبل.
(٢) الصَّفد: القيد.
(٣) رُبَا: جمع ربوة وهي ما ارتفع من الأرض.

يَا بَانِيَ الصَّرْحِ جَمْعَ مُـؤْمِنِينَ، لَهُمْ ... جِـدٌّ وَصَبْـرٌ. وَتَـابِـعْ سَيْـرَ مُتَّئِدِ
واطْلُبْ رِضَا اللّـهِ فِيما أَنْتَ تُنشِئُهُ ... والْزَمْ أَوَامِرَهُ. واحْذَرْ مِنَ الصَّيَدِ[1]
أَمَّـا الْمُنَافِقُ فَـاحْـذَرْ مَكْـرَهُ أَبَـداً ... فَـإِنَّهُ إن يُصَـادِفْ فُـرْصَـةً يَصِـدِ
هٰـذِي نَصَائِـحُ إنْ طَبَّقْتَهَـا فَعَسَىٰ ... أَنْ يَكْمَلُ الصَّرْحُ فِي أَحْقَابِهِ الْجُـدُدِ
مَا وَقْتُ عُمْرِكَ مِقْدَارُ التَّمَامِ فَخُذْ ... مِنْ عُمْرِ آتٍ مِنَ الْأَحْفَادِ وَالْـوَلَدِ

تركيا ـ شوك شدرة في ٢٧ شوال ١٤٠٤ هجرية (٤٩ بيتاً)

(١) الصَّيَد: الكبر والعجب بالنفس.

١٢

يغفُل بعض الدّعاة عن واجبهم في الدعوة، وهو التبليغ والتذكير، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، والإنذار بعقاب الله، ويظنون أنّ من مهماتهم تحويل النّاس عن الكفر إلى الإيمان، وعن اتّباع الباطل إلى اتّباع الحقّ، وعن سلوك سبيل الشرّ إلى سلوك سبيل الخير، وهذا أمر لم يجعله الله من مهمّات رسله، ولم يكلّفهم إيّاه، ولم يختره لنفسه، بعد أن قضت حكمته بأن يجعل الناس مختارين، ممتحنين في ظروف الحياة الدنيا، لا مجبورين، ولا مُكْرَهين.

والنصوص القرآنية أكدّت لرسول الله هذه الحقيقة في سبعة عشر نصّاً في آيات مكية ومدنية.

ويضيق صدر بعض الدّعاة إذا لم يستجب لهم إلا قليل مع أن ثوابهم عند الله عظيم.

وفي هذه القصيدة بيان لمهمة الدعاة، وأنّ وظيفتهم التبليغ، والهداية، والتذكير، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، والإنذار بعقاب الله، والصبر في معالجة الناس، وعدم أخذ الناس بالإكراه والإجبار، وهي بعنوان:

«مهمّة الداعي إلى الله»

«مُهمّة الدّاعي إلى الله»

أَيُّهـا الـدَّاعِـي إلىٰ الله ادَّكِـرْ ... أَنْتَ حَمَّـالُ بَيَـانٍ لِلْبَشَـرْ
لَيْسَ مِنْ شَـأْنِـكَ إكْـرَاهُ الْـوَرَىٰ ... إنَّمـا يَكْفِيـكَ تَـوْجِيـهُ النُّـذُرْ
لَا تَقُلْ: جَاهَدْتُ فِي النَّاسِ فَلَمْ ... يَسْتَجِبْ مِنْهُمْ سِوَى بِضْعِ نَفَرْ
كَـمْ نَبِـيٍّ حَـظُّهُ مِـنْ قَـوْمِـهِ ... أَنْجُمٌ مِثْـلُ الثُّـرَيَّـا دُونَ عَشْـرْ
إنْ هَدَىٰ الرَّحْمٰنُ شَخْصاً واحداً ... بِـكَ خَيْـرٌ لَـكَ مِنْ بَحْـرِ دُرَرْ
وَهْـوَ خَيْـرٌ لَـكَ عِنْدَ اللَّـهِ مِنْ ... مَـا بَـدا للشَّمْسِ أَوْ نُـورِ الْقَمَـرْ
فَـابْذُلِ الْجَهْـدَ بِـإِخْـلَاصٍ وَلَا ... تَـأْسَ مَـا عَـانَـدَ جَافٍ أَوْ هَجَـرْ
إنمـا الْأَجْـرُ عَلَىٰ الْجَـهْـدِ فَـلَا ... يَنْقُصُ الْأَجْـرُ إذَا الْجَمْعُ كَفَـرْ

○ ○ ○

عَـمَـلُ الـدَّاعِيـنَ تَبْلِيـغٌ لِـمَـا ... جَـاءَ مِنْ حَقٍّ وَهَـدْيٍ فِي السُّـوَرْ
ولِهَـدْيِ الْمُـصْـطَفَىٰ مِـنْ رَبِّـهِ ... خَيْـرِ خَلْقِ اللَّـهِ دَاعِينَـا الْأَغَـرّ
ثُـمَّ تَـذْكِيـرٌ وَنُـصْـحٌ بـالَّـتِي ... تَعْـطِفُ الْأَنْفُسَ حتَّى تُـسْتَجَـرّ
وَعِـظَاتٌ صَـالِـحَـاتٌ شُحِـنَـتْ ... بِحِسَـانٍ مِـنْ نَفِيسَـاتِ الْـعِبَـرْ
وَرَفِـيقٌ مِـنْ جِـدَالٍ بـالَّـتِي ... هِيَ خَيْـرٌ وهْـيَ أَسْمَىٰ وَأَبَـرّ
أَنْتَ لَا تَمْلِكُ أَنْ تُجْبِـرَ مَـنْ ... رَفَضَ الـدَّعْـوَةَ مِنْ بَعْـدِ النُّـذُرْ
كُـلُّ مَـسْـؤُولٍ دَرَى وَاجِـبَـهُ ... هُـوَ بَيْنَ الْكُفْـرِ والإيمـانِ حُـرّ
فَـإذَا اخْـتَـارَ سَبِيـلَ الْغيِّ فَلْـ ... يَـتَـحَـمَّـلْ وِزْرَهُ إذْ لَا وَزَرْ[1]

○ ○ ○

---

(١) الْوَزَر: الملْجأ.

إنَّ نُوحاً قَدْ دَعَا النَّاسَ زُهَا ... أَلْفِ عَامٍ فِي قَطِيعٍ كَالْبَقَرْ
بِنَهَارٍ. وَبِلَيْلٍ قَدْ دَعَا ... وَأَسَرَّ الْقَوْلَ حِيناً وَجَهَرْ
فَإذَا جُودِلَ أَوْفَىٰ جَدَلاً ... فِي رَفِيقِ الْقَوْلِ. فِي أَسْمَىٰ الْفِكَرْ
ثُمَّ إنَّ اللَّهَ قَدْ أَيْأَسَهُ ... فَدَعَاهُ لِانْتِصَارٍ فَانْتَصَرْ
أَرْسَلَ الطُّوفَانَ لِلْكُفَّارِ إذْ ... صَانَ مَنْ آمَنَ فِي ذَاتِ دُسُرْ

○ ○ ○

أَيُّهَا الدَّاعِي ادْعُ لِلَّهِ عَلَى ... وَاضِحٍ مِنْ أَمْرِ رَبِّي واصْطَبِرْ
وَإذَا طَالَ بِكَ الْأَمْرُ وَلَمْ ... يَسْتَجِبْ إلَّا قَلِيلٌ فَانْتَظِرْ
حَسْبُكَ اللَّهُ فَمَا أَنْتَ بِذِي ... سَطْوَةٍ يَمْلِكُ سُلْطَانَ الْقَدَرْ
أَنْتَ دَاعٍ لِمَنِ اخْتَارَ هُدىً ... واتَّقَىٰ اللَّهَ وَأَصْغَىٰ وَادَّكَرْ
مَنْ يُطِعْ. مَنْ جَاءَ مُخْتَاراً عَلَى ... وَاضِحٍ مِنْ دِينِهِ. لَا مَنْ قُسِرْ
هٰذِهِ حِكْمَةُ رَبِّي فِي الْوَرَىٰ ... لَوْ أَرَادَ الْجَبْرَ فِي الدِّينِ جَبَرْ
حِكْمَةُ اللَّهِ امْتِحَانٌ فَلْيُرِدْ ... مَنْ يَشَا مَا شَاء مِنْ خَيْرٍ وشَرّ
ثُمَّ يَجْزِي اللَّهُ فِي دَارِ الْجَزَا ... بِنَعِيمٍ. أَوْ عَذَابٍ فِي سَقَرْ

مكة المكرمة: في ١٤٠٥/٦/٢٤ هجرية ... (٢٩ بيتاً)



القسم الثاني

قصــائــد
كتبتها في موضوعات مختلفة
من موضوعات الدعوة

وفيه فصلان:

□ الفصل الأول: قصائد كتبتها وألقيتها بدمشق في احتفالات توجيه إسلامي، كان قد أقامها والدي العلاّمة المربّي الشيخ حسن حبنّكة الميداني، رحمه الله عز وجل وأجزَلَ مثوبته.

□ الفصل الثاني: قصائد كتبتها في ظروف مختلفة.

الفصل الأوّل

قصائد كتبتها في موضوعات من موضوعات الدعوة، وألقيتها بدمشق، في احتفالات توجيه إسلامي، كان قد أقامها والدي العلّامة المـرَبي المجاهد الشيخ حسن حبنّكة الميداني، رحمه الله عزّ وجلّ وأجزَلَ مثوبته.

مقــدمــة

كان أبـي رحمه الله يقيم احتفالاتٍ توجيهية، يقدّم فيها النموذج النافع الصالح، الخالي من البدع، يجدد فيها ذكريات أيام الرسول ﷺ.

وكانت هذه الاحتفالات التوجيهية تشتمل على خطابات، ومحاضرات، ومواعظ، وقصائد شعرية، ومدائح نبوية، تتضمن بيان محـاسن الإسلام، وأخلاق الرسول ﷺ وصفوة أصحابه رضوان الله عليهم، وعرض صورٍ رائعات من أيام المسلمين الأولى وبطولاتهم، ومعالجة مشكلات قائمة معاصرة، والتنبيه على انحرافات المسلمين المعاصرين عن صراط الإسلام، وبيان أنها السبب في تمزقهم وضعفهم وتسلّط أعدائهم عليهم، وكانت لهذه الاحتفالات آثار نافعة جداً في الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتجميع شباب المسلمين على الخير.

وكان أبـي رحمه الله يحرص على أن يدفع طلابه وتلاميذه وأبناءه للمشاركة في إحياء هذه الاحتفالات بخطاباتهم المرتجلة أو المكتوبة، ويدفع من لديه منهم موهبة شعرية أن يقدّم قصيدة شعرية من نظمه، وكنت واحداً من هؤلاء.

وكان عضد أبـي الأيمن في الإعداد والتدبير عمي الشيخ صادق حبنّكة الميداني، والشيخ حسين خطاب.

وكان أبـي في أول أمره مع طلابه يكتب لهم الخطب والكلمات، وينظم أو ينتقي في الأكثر لهم القصائد الجيدة، ويدرّبهم على إلقائها، ثم يأمرهم بإلقائها

في الاحتفالات، تدريباً لهم على مواجهة الجماهير، ومخاطبتهم ونصحهم بجرأة وحكمة وأدب.

ثم كان يوجّه لهم النقد بعد الاحتفالات، فلا يدع كبيراً ولا صغيراً منهم دون أن يتابعه بالنقد، وكان لا يسامح بأيّ لحن في العربية، أو أيّ خطأ في آية أوحديث، وكان يحاسب على الأداء، وطريقة مخاطبة الناس بما يفهمـون، وبالأسلوب الحكيم المؤثر غير المنفّر، فإذا اشتد الخطيب في غير محلّ الشدّة نبّهه، وإذا أطال من غير داعٍ للإطالة عاتبه، وإذا قدّم فكرة غير صحيحة صححها له، وهكذا إلى سائر وجوه النقد، ولكن دون تثبيط للهمة، فتخرج بذلك عدد من طلابه الخطباء.

وكان من عادتي في كثير من هذه الاحتفالات إلقاء قصيدة، وكنت في الغالب أنظمها لها خصّيصىٰ، وأتعرّض فيها إشارةً أو تصريحاً لأحداث قائمة.

وفي هذا القسم طائفة من هذه القصائد.

١٣

خرج المستعمر الفرنسي من سورية، وجاء حكم وطني، واجتمع المجلس النيابـي الوطني وأراد وضع دستور للبلاد، وطالب علماء المسلمين بأن يكون دين الدولة الإسلام.

وقام جدلٌ في هذه الأثناء حول وضع الأقليات غير المسلمة في البلاد، وحول اقتباس قانون البلاد من القوانين المدنية الأوروبية.

وكان الاستعمار الفرنسي قد احتال على البلاد فألغى مادة: «دين الدولة الإسلام» ووضع بدلها مادة: «دين رئيس الدولة الإسلام».

وكان أكثر أعضاء المجلس النيابـي المنتخبين من خريجي المدرسة العلمانية الأوروبية، والمتأثرين بالغزو الفكري الوافد.

وفي هذه الأثناء انطلق خطباء المساجد المثقفون، يطالبون الحكومة وأعضاء المجلس النيابـي، بوضع مادة «دين الدولة الإسلام» في الدستور، وكان لأبـي رحمه الله خطابات نارية حول هذا الموضوع، كما بثّ طلابه في المساجد يطالبون بذلك ويحرّكون جماهير المسلمين للضغط على الحكومة والمجلس النيابـي، لوضع هذه المادة في دستور الدولة.

وكثر الأخذ والرّدّ، وقرّرت الحكومة الوطنية عدم الالتفات إلى هـذا الطلب، وإيقاف كلّ تحرّك في هـذا الشأن، ووجّهت أنصـارها لإسكـات الأصوات المطالبة.

وفي هذه الأثناء أملى والدي الشيخ حسن رحمه الله تعالى في يوم جمعة على طلابه خطبةً نارية، وكلفهم أن يتوزعوا على المساجد الكبيرة في دمشق، ويلقوها

عقب صلاة الجمعة، تحريكاً لجماهير المسلمين، حتى يضغطوا على الحكومة والمجلس النيابي، لوضع مادة: «دين الدولة الإسلام» في الدستور.

وفي احتفالٍ توجيهي كبير أقامه أبي رحمه الله في حي الميدان بدمشق، شرح فيه خطباء الحفل من طلابه مطلب جماهير المسلمين، وضرورة وضع مادة «دين الدولة الإسلام» في صلب الدستور، وكان من الخطباء: «الشيخ حسين خطاب ـ شيخ قراء الشام فيما بعد» و«الشيخ كريم راجح» وآخرون، وكنت أحد هؤلاء الخطباء فيه، وقد ألقيتُ فيه هذه القصيدة، وهي بعنوان:

«الشمس والإسلام جديدان دائمًا»

والقصيدة هنا معدّلة ومنقحة.

الشمس والإسلام جديدان دائمًا

لِلرَّسُولِ الْمُخْتَارِ فَيْضُ جَنَانِي   فَلَقَدْ عَيَّ فِي الْبَيَانِ لِسَانِي
إِنَّ ذِكْرَىٰ شُرُوقِ شَمْسٍ هُدَاهُ   سِفْرُ هَدْيٍ إِلَىٰ بَنِي الْإِنْسَانِ
ذِكْرَيَاتُ التَّارِيخِ تَجْدِيدُ مَاضٍ   كُلَّمَا مَرَّ حَاضِرٌ مِنْ زَمَانِ
مِيزَةُ الذِّكْرَيَاتِ جَمْعُكَ فِيهَا   مَاضِيَاتِ الآنَاتِ فِي كُلِّ آنِ
فَلِذِكْرَىٰ شُرُوقِ شَمْسٍ هُدَاهُ   نَفَحَاتٌ تَفِيضُ مِنْ إِيمَانِ
هِيَ ذِكْرَىٰ الْهُدَىٰ لِكُلِّ تَقِيٍّ   لَا لِأُنْسٍ بِمُتْقَنَاتِ الْأَغَانِي
هِيَ ذِكْرَىٰ الْخُلُودِ فِي عَالَمِ الْمَجْدِ وَذِكْرَىٰ الأَبْطَالِ والشُّجْعَانِ
هِيَ ذِكْرَىٰ لِلتَّضْحِيَاتِ ولِلصَّبْرِ وَذِكْرَىٰ الْإِخَاءِ والْإِحْسَانِ
هِيَ ذِكْرَىٰ حَضَارَةٍ عَمَّتِ الكَوْنَ وَذِكْرَىٰ النِّظَامِ والْإِتْقَانِ
هِيَ ذِكْرَىٰ دِينٍ تَنَزَّلَ وَحْياً   لِرَسُولِ الْهُدَىٰ مِنَ الدَّيَّانِ
عَرَفَ النَّاسُ فِيهِ أَنَّ كِيَانَ الْحَقِّ فِي الْحُكْمِ ثَلَّ كُلَّ كِيَانِ

○ ○ ○

مَوْلِدُ الشَّمْسِ لِلْأَنَامِ بَيَانٌ   فِي الْحَضَارَاتِ فَاقَ كُلَّ بَيَانِ
كَانَ هَدْياً لِيَقْظَةٍ وَنُهُوضٍ   من خَبَالٍ فِي عَالَمٍ وَسْنَانِ
ذِكْرَيَاتٌ مِنْهُ أَضَاءَتْ شُعُورِي   وَعَرَانِي مِنْ سِرِّهَا مَا عَرَانِي
هَتَفَتْ بِي وَلَمْ تَكُنْ هَتَفَتْ بِي   صَامِتَاتٌ حَوْلِي بِكُلِّ مَكَانِ
هَلْ سَمِعْتُمْ مَعِي الْجَمَادَ يُنَادِي؟   هَلْ سَمِعْتُمْ مَعِي نِدَاءَ الزَّمَانِ؟
أَوَ مَا وَشْوَشَ النَّسِيمُ وَدَوَّىٰ الرِّيحُ بَيْنَ الْهِضَابِ والْأَغْصَانِ؟
أَوَ لَمْ يَكْتُبِ الشُّعَاعُ عَلَىٰ الْكَوْ   نِ سُطُورَ الْهُدَىٰ بِكُلِّ لِسَانِ؟

أَوَ لَمْ تَفْهَمُوا حَدِيثاً طَوِيلاً بَيْنَ طَرْفَيْنِ فِي النُّجُومِ الرَّوَانِي؟
أَوَ مَا رَدَّدَ الْحَمَامُ عَلَىٰ الْغُصْنِ نَشِيداً مُؤَثِّرَ الأَلْحَانِ؟
إِنَّهَا أَفْصَحَتْ بِمَعْنَىً بَلِيغٍ نَافِذٍ لِلْقُلُوبِ وَالأَذْهَانِ
أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: حِينَ هَجَرْتُمْ دِينَ هَذَا الرَّسُولِ مِنْ عَدْنَانِ
قَذَفَتْكُمْ أَيْدِي الشَّتَاتِ وَأَلْقَتْ كُلَّ شِلْوٍ مِنْكُمْ بِشَرِّ مَكَانِ
لَنْ تَنَالُوا الذُّرَىٰ ذُرَىٰ الْمَجْدِ حَتَّى تُجْمِعُوا أَمْرَكُمْ عَلَىٰ الْقُرْآنِ
لَنْ تُعِيدُوا الْمَجْدَ الْعَظِيمَ وَأَنْتُمْ فِي مَعَاصِي أَوَامِرِ الدَّيَّانِ
لَنْ تَعُودُوا إِلَى ذُرَاكُم وأَنْتُمْ قَدْ هَجَرْتُمْ خَلاَئِقَ الشُّجْعَانِ
إِنَّ لِلْمَجْدِ فِي الْوَرَىٰ صَهَوَاتٍ صَانَهَا اللَّهُ عَنْ رُكُوبِ الْجَبَانِ

○ ○ ○

أَيْنَ مِنَّا أَخْلاَقُنَا وَالْمَزَايَا؟! أين مِنَّا فَضَائِلُ الإِيمَانِ؟!
قَدْ هَجَرْنَا عَوَامِلَ الْمَجْدِ فِينَا وانْخَدَعْنَا مَنِ الْحَيَاةِ بِفَانِ
واسْتَخَفَّتْ نُفُوسُنَا بِالْمَعَالِي وانْشَغَلْنَا بِلَذَّةِ الأَبْدَانِ
وَطَرَحْنَا قِيَادَنَا لِهَوَانَا وَرَضِينَا مِنَ الْهَوَىٰ بِالْهَوَانِ
مَنْ يُسَلِّمْ قِيَادَهُ لِهَوَاهُ أَسْلَمَتْهُ الأَهْوَاءُ لِلشَّيْطَانِ

○ ○ ○

قَدْ نَبَذْنَا مَا كَانَ سِرَّ قُوَانَا فَحُرِمْنَا مِنْ عِصْمَةِ الرَّحْمَنِ
مَا عَصَيْنَا الرَّحمنَ إِلاَّ دَهَتْنَا عَادِيَاتُ الأَعْدَاءِ بِالْخُسْرانِ

○ ○ ○

مَا لِقَلْبِي إِذَا تَذَكَّرَ مَجْداً وَارِفَ الظِّلِّ جَدَّ في الْخَفَقَانِ؟
يَوْمَ كُنَّا نَقُولُ فِي الشَّرْقِ قَوْلاً فَتَرَىٰ الْغَرْبَ خَرَّ لِلأَذْقَانِ
يَوْمَ كُنَّا السَّادَاتِ فِي كُلِّ أَرْضٍ لاَ نُبَالِي طَوَارِىءَ الْمَلَوَانِ[1]

---

(١) الملوان: الليل والنهار.

قَـدْ مَلَكْنَـا وَمَـا مَلَكْنَـا بِبَغْيٍ وَحَكَمْنَـا بِـرَحْمَـةٍ وَحَنَـانِ
وَفَتَحْنَـا دُنْيَـا ظَـلَامٍ وَخَـوْفٍ بِسِـلَاحَيْنِ مِنْ هُـدىً وَأَمَـانِ

○ ○ ○

مَـا لِعَيْنَـيَّ كُلَّمَـا مَـرَّ حُلْمٌ بَـاسِمُ الثَّغْـرِ جَادَتَـا بِـالْجُمَانِ؟
فَـاقِـدُ الْمَجْـدِ حَـالِمٌ بِمَعَـادٍ هُـوَ نَـهْبُ الآمَـالِ والْأَشْـجَانِ

○ ○ ○

وَطَنِي أَنْتَ أَنفُسٌ طَـاهِـرَاتٌ وَقُـلُوبٌ كَـبِـيرَةُ الْـعِرْفَـانِ
وَطَـنِي أَنْـتَ أُمَّـةٌ وَحَّـدَتْـهَـا يَـدُ رَبِّي مِنْ سَـالِفِ الْأَزْمَـانِ
وَطَـنِـي أَنْـتَ قُـوَّةٌ وَثَـبَـاتٌ وَعُـقُـولٌ عَـظِيمَـةُ الـرُّجْحَـانِ
وَطَـنِـي أَنْـتَ عِـزَّةٌ وَإِبَـاءٌ أَنْتَ حِصْـنٌ مُـمَـنَّـعُ الْبُـنْـيَـانِ
أَنْتَ دِيـنٌ وَأَنْـتَ دُنْـيَـا رَخَـاءٍ أَنْتَ حُكْمٌ بِـالْعَـدْلِ والإِحْسَـانِ
لَـكَ سُـلْطَانُ عِـزَّةٍ وَكَـمَـالٍ فَاقَ فِي الْأَرْضِ كُلَّ ذِي سُلْطَانِ

○ ○ ○

وَطَـنِـي لَا أَرَاكَ حَـوْلِـي وَإِنِّـي لَـمْ أُغَـادِرْ أَرْضِـي لِأَيِّ مَـكَـانِ
نَحْنُ فِي أَرْضِنَـا غَـرِيبُـونَ أَشْفِقْ بِغَـرِيبٍ فِي أَرْضِـهِ كَمْ يُعَـانِي
أَوْجَـعُ الْغُـرْبَتَيْنِ مَـا نَحْنُ فِيـهِ وَعَـلَيْنَـا الـضِّـدَّانِ يَجْـتَـمِـعَـانِ

○ ○ ○

قَدْ غَزَتْنَا الْأَفْكَارُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ وَقَـبِـلْنَـا زُيُـوفَـهَـا بِـافْـتِـتَـانِ
وَجَعَلْنَـا الـتَّـقْـلِيـدَ خُـطَّةَ رُشْـدٍ وَهْيَ فِي النَّاسِ خُطَّةُ الْعُمْيَانِ
كَيْفَ نَجْـرِي وَرَاءَ كُـلِّ جَـدِيـدٍ دُونَ فَـحْصٍ وَدُونَـمَـا تِـبْـيَـانِ
أَوَ لَـوْ قَـادَنَـا إِلَى تَهْلُكَـاتٍ؟! أَوَ لَـوْ قَـادَنَـا إِلَى النِّيـرَانِ؟!
واتِّبَـاعُ الْجَـدِيـدِ فِي كُـلِّ شَيْءٍ سَبَبُ الْخَسْفِ أَوْ سَبِيـلُ الْهَوَانِ
رُبَّ أَمْـرٍ مِنَ الْقَـدِيـمِ عَـظِيمٌ صَـانَـهُ عَـن بـلىً جِـدَّتَـانِ

هَا هِيَ الشَّمْسُ كَوْكَبُ قَدُمَ الْعَهْدُ عَلَيْهِ فَأَبْدِلُوهُ بِثَانِ
إِنَّ دِينَ الإِسْلاَمِ دِينٌ قَدِيمٌ وَجَدِيدٌ مَا جُدِّدَ الْمَلَوَانِ

○ ○ ○

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ شُدُّوا عُرَاكُمْ وَأَعِيدُوا الرَّشَادَ لِلرُّبَّانِ
واسْتَعِيدُوا هُدَاكُمُوا واسْتَمِدُّوا نَصَّ دُسْتُورِكُمْ مِنَ الْقُرْآنِ
مَا لَكُمْ مُسْعِدٌ وَلاَ لِسِوَاكُمْ غَيْرُ دِينِ الإِسْلاَمِ والتِّبْيَانِ
أَيْنَ مَا نَظَّمَ الْوَرَىٰ بِهَواهُمْ مِنْ نِظَامِ الْمُهَيْمِنِ الدَّيَّانِ
إِنَّهُ الْفَاطِرُ الْحَكِيمُ عَلِيمٌ بِالَّذِي فِيهِ مُسْعِدُ الإِنسانِ
خَالِقُ الكَوْنِ وَالْحَيَاةِ جَمِيعاً وَخَبِيرُ النُّفُوسِ فِي الأَزْمَانِ

○ ○ ○

صَاحَ فِي النَّاسِ صائِحُونَ وَأَحْقِرْ بِنِدَاءٍ نَادَىٰ إِلَىٰ الْخُسْرَانِ
طَعَنُوا الدِّينَ فِي الصَّمِيمِ فَقَالُوا: الدِّينُ شَيْءٌ وَالْحُكْمُ شَيْءٌ ثَانِ
رَكِبُوا مَرْكَبَ الْهَوَىٰ فَتَمَادَوْا وتَصَدَّوْا بِالْبَغْيِ والْعُدْوَانِ
إِنْ يَكُونُوا فِينَا عَمِينَ فَقَدِّمْ لَهُمُو رَحْمَةً عَصَا الْعُمْيَانِ
أَوْ يَكُونُوا عَنْ دِينِهِمْ قَدْ تَعَامَوْا فَاتَّخِذْهَا لَهُمْ عَصَا الْعِصْيَانِ
قَلَّدُوا الْغَرْبَ وَهْوَ أَنْصَرُ لِلْبَاطِلِ مِنْهُمْ لِلْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ
دَوْلَةٌ دِينُهَا عَلَىٰ سَنَنِ الْكُفْرِ سَتُمْنَىٰ بِإِمْرَةِ الشَّيْطَانِ

○ ○ ○

يَا بُنَاةَ الأَمْجَادِ هَلاَّ بُعِثْتُمْ لِتُعِيدُوا الثَّبَاتَ لِلأَرْكَانِ
هَيَّا قُومُوا وَصَيِّرُوا كُلَّ شَيْءٍ قُوَّةً لِلْوَغَىٰ وَبَأْسِ الطِّعَانِ
أَنْتُمو قُدْتُمو الْجُيُوشَ أَعَاصِيرَ فَطَارَتْ زَوَابِعُ الْفُرْسَانِ
فَدَمُ الْكُفْرِ كَالسَّحَابَةِ مَطْلُولٌ بِبَرْقَيْ مُهَنَّدٍ وَيَمَانِي

○ ○ ○

لَيْتَ هَـذَا الـزَّمَانَ كَـرَّ رُجُـوعـاً فَـرَأَيْنَـا الْإِسْـلَامَ دِينَ الْأَمَـانِ
وَرَأَيْنَـاهُ حَـاكِمـاً عَـبْقَـرِيّـاً بِـهُـدىً نُـورُهُ مِنَ الْـفُـرْقَـانِ

○ ○ ○

إِنَّ دِيـنَ الْإِسْـلَامِ دِينٌ عَـظِيمٌ جُـمِّـعَـتْ فِيـهِ زُبْـدَةُ الْأَدْيَـانِ
فَـارْفَعُـوا رَأْسَكُمْ بِـهِ فِي الْبَـرَايَـا وَأَعِـزُّوهُ بِـالْـقَـنَـا والـسِّـنَـانِ

دمشق في ١٣٦٩/٣/١٨ هجرية (٧٩ بيتاً)

١٤

ظروف هذه القصيدة كظُروف سابقتها «الشمس والإسـلام جديـدان دائمًا».

فقد نظمت وألقيت بعدها وفي الظرف نفسه، ظـرف مطالبـة علماء المسلمين في سورية الحكومة والمجلس النيابـيّ الوطني بوضع مادّة «دين الدولة الإسلام» في صلب الدستور.

وقد ألقيتها في احتفـال توجيهي كبـير، بحـيّ الميدان، ثم في عـدة احتفالات أخرى.

وهي هنا معدّلة ومنقحة بعض الشيء، وهي بعنوان:

«دين دولتنا الإسلام»

دين دولتنا الإسلام

نَغَمَـاتٌ لَـهَـا الـدُّنَى أَصْـدَاءُ   رَدَّدَتْـهَـا الْأَمْـلَاكُ فَـالْأَنْـبِـيَـاءُ

هِيَ فِي بَـاطِنِ الْحَيَـاةِ حَيَـاةٌ   وَهْيَ فِي بَـاطِنِ الضِّيَـاءِ ضِيَـاءُ

صَـاغَهَا اللَّهُ شَمْسَ دِينٍ وَهَـدْيٍ   فَهْيَ فِينـا الـرِّسَـالَـةُ الْبَيْضَـاءُ

أَشْـرَقَتْ فِي الْيَتِيمِ خَيْـرِ الْبَـرَايَا   وَمِـنَ الْـيُـتْـمِ دُرَّةٌ حَـسْـنَـاءُ

وَمِـنَ الْـيُـتْـمِ رَاحِـمٌ عَـبْـقَـرِيٌّ   جَبَـلٌ دُونَ سَفْـحِـهِ الـرُّحَمَـاءُ

وَمِـنَ الْـيُـتْـمِ قَـائِـدٌ أَلْـمَـعِـيٌّ   قَـدْ تَهَـاوَىٰ مِنْ دُونِـهِ الْعُـظَمَـاءُ

وَمِـنَ الْيُتْمِ سَـيِّـدٌ قَـدْ تَسَـاوَىٰ   عِـنْـدَهُ الْأَعْـجَـمِيُّ والْـفُـصَـحَـاءُ

قَـدْ تَسَـاوَى لَـدَيْـهِ فِي أَيِّ حَقٍّ   أَقْـرَبُ النَّـاسِ مِنْـهُ والْـبُـعَـدَاءُ

لَـوْ جَنَتْ بِنْتُـهُ الْحَبِيبَـةُ مَـا كَـا   نَ لَـهَـا مِـيـزَةٌ وَلَا إِعْـفَـاءُ

هَكَـذَا الْعَـدْلُ وَالنِّـظَامُ فَمَـاذَا   مِثْـلُ هَـذَا قَـدْ نَـظَّمَ الْحُكَمَـاءُ؟

○ ○ ○

يَا حَبِيبِي عَلَيْكَ مِنْ فَيْضِ رَبِّي   صَـلَوَاتٌ مُـبَـارَكَـاتٌ وِضَـاءُ

أَوَ لَمْ يَـأْتِـكَ الْيَهُـودِيُّ يَسْتَقْـضِيـكَ مَـا لَـمْ يَحِـنْ عَلَيْـهِ الْـقَضَـاءُ

شَـدَّ مِنْ صَدْرِكَ الرَّحِيبِ وَنَـادَىٰ   بِـمَـقَـالٍ عُـنْـوَانُـهُ الافْـتِـرَاءُ

لَمْ يَكُنْ مِنْـكَ يَـا رَسُـولُ سِـوَىٰ الصَّفْـحِ. وَإِلَّا تَـفَضُّـلٌ وَسَخَـاءُ

هَكَـذَا اللِّينُ والسَّمَـاحَـةُ فِي شِرْ   عَـةِ طَـهَ فَلْيَعْـلَمِ الْجُـهَـلَاءُ

○ ○ ○

قَـدْ حَبَاكَ الـرَّحْمَنُ خُلْقاً عَـظِيماً   دُهِـشَتْ مِـنْ كَمَـالِـهِ الْـعُقَـلَاءُ

إِنْ يُجَـزِّئْـهُ رَبُّنَـا فِي الْبَـرَايَـا   كَـانَ مِنْـهُ الْأَخْيَـارُ والْـحُلَمَـاءُ

أنتَ بِالله قَدْ صَنعْتَ بُدُوراً   حَسَدَتْ أرْضَنا عَلَيْهَا السَّمَاءُ

هُمْ صِحَابٌ وَخِيرَةٌ وَدُعَاةٌ   وَتُقَاةٌ وَقَادَةٌ حُنَفَاءُ

صَنَعُوا دَوْلَةً بِهَا الْعَدْلُ والشُّو   رَىٰ وَفِيهَا الأَمِيرُ والْخُلَفَاءُ

حِينَمَا تَصْلُحُ النُّفُوسُ وَتَحْمِي   قَادَةَ الشَّعْبِ شِرْعَةٌ بَيْضَاءُ

يَصْلُحُ الْحُكْمُ. والأَسَامِي سَوَاءٌ   فَالْمُسَمَّىٰ الْمَرْجُوُّ لاَ الأَسْمَاءُ

أسَّسُوا دَوْلَةً هِيَ الدَّوْحَةُ الكُبْرَىٰ وَمِنْهَا الأَنْوَارُ والأَنْوَاءُ

سَاقُهَا امْتَدَّ فِي الْحِجَازِ وَكُلُّ الأَرْضِ مِنْ مَدِّ ظِلِّهَا أَفْيَاءُ

○ ○ ○

أنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ قَدْ صِرْتَ بِالإِسْلاَمِ بَدْراً تَعْنُو لَهُ الْعَلْيَاءُ

أَوَمَا كُنْتَ أكْثَرَ النَّاسِ بُؤْساً   وَلَدَيْكَ الإِمَارَةُ الْقَعْسَاءُ؟![1]

أَوَمَا قَدْ وَهَبْتَ نَوْمَكَ لِلْبَا   ئِسِ حَتَّى ارْتَمَتْ بِكَ الْبَأْسَاءُ

رُبَّمَا يُحْزِنُ الْكَرِيمَ وَيُضْنِيهِ كَرِيمَانِ عَدْلُهُ والْوَفَاءُ

دِينُهُ قَدْ حَبَاهُ رِقَّةَ قَلْبٍ   مَعَ عَزْمٍ دَانَتْ لَهُ الأَقْوِيَاءُ

أَوَلَمْ يَشْفِ سَيْفُكَ الْحُرُّ قَوْماً   صَرَعَتْهُمْ ضَلاَلَةٌ عَمْيَاءُ

لَيْسَ يَخْفَىٰ الْهُدَىٰ ولكنْ نُفُوسٌ   طِبُّ أَدْوَائِهَا قَناً سَمْرَاءُ

دَاءُ بَعْضِ النُّفُوسِ ضَرْبَةُ سَيْفٍ   وَنُفُوسٌ لَهَا السُّيُوفُ دَوَاءُ

○ ○ ○

دَارَ فِينا الزَّمَانُ دَوْرَةَ سُوءٍ   فَإِذَا الْعَيْنُ كُلُّهَا أَقْذَاءُ

جَثَمَتْ فَوْقَنَا الْحَوَالِكُ حَتَّىٰ   قِيلَ: لاَ شَكَّ نَكْبَةٌ سَوْدَاءُ

خُلُقٌ ضَائِعٌ وَدِينٌ جَرِيحٌ   وَبِلاَدٌ حَزِينَةٌ أَشْلاَءُ

نَلْمَسُ الْمَجْدَ فِي ظَلاَمٍ كَثِيفٍ   لَمْسَ أَوْهَامِ شِعْرِهَا الشُّعَراءُ

مَزَّقَتْنَا الأَهْوَاءُ كَالثَّوْبِ لَمَّا   عَصَفَتْهُ عَوَاصِفٌ هَوْجَاءُ

---

(١) الْقَعْساء: ذات العزّ الثابت.

هَـا هُنَا عُصْبَـةٌ وَذَلِكَ حِـزْبٌ   جَمَعَتْـهُ الْأَوَاصِـرُ الشَّنْعَـاءُ
إِنَّ هٰذِي الْأَحْزَابَ تَفْتِـكُ فِينَا   وَمِنَ الْفَـتْـكِ فُـرْقَـةٌ وَعِـدَاءُ
إِنَّ شَـرَّ الْأَحْزَابِ شَـرٌّ عَـظِيمٌ   فَـهْيَ دَاءٌ. وَنَـكْـبَـةٌ. وَبَـلَاءُ
وَسَبِيـلُ الْأَعْـدَاءِ سَهْـلٌ إِلَيْـهَـا   وَلَكَمْ يَـخْتَفِي بِـهَـا الْأَعْـدَاءُ
مُنْتَمِي الْحِزْبِ حِزْبُهُ كُلُّ شَيْءٍ   وَسِـوَىٰ حِـزْبِـهِ وَرَاءُ وَرَاءُ
هُـوَ لِلْحِزْبِ سَيْفُـهُ الْمُتَصَـدِّي   أَوْ رَكُـوبٌ ذَلِـيـلَـةٌ بَـلْـهَـاءُ
مَبْدَأُ الْحِزْبِ بِالنُّفُوسِ يُفَـدَّىٰ   وَعُـرَىٰ الـدِّينِ مَـا لَهَـا أَوْلِيَـاءُ
يَـا لِهَذَا الْعَجِيبِ مِنْ أَمْرِ قَـوْمِي   عَجَبـاً كَمْ تَفِيضُ مِنْـهُ الـدِّمَـاءُ

○ ○ ○

يَـا خَـلِيلِي أَمِـدَّنِـي بِـدِمَـاءٍ   فَيْضُ عَيْنَيَّ نَبْعَـةٌ حَـمْـرَاءُ
زَعَـمُـوا الـدِّينَ لِلْعِبَـادَةِ لَا لِلنُّـظْمِ وَهْيَ الْجَـهَـالَـةُ الْجَـهْـلَاءُ
لَـوْ كَفَـاهُمْ أَنْ يَجْهَلُوا لَكَفَـوْنَـا   مَـا ادَّعَـوْهُ بِـأَنَّـهُـمْ عُـلَـمَـاءُ
قِيـلَ: إِنَّ الْعَمَىٰ يُضِـلُّ. فَقُلْنَـا   أَوْ تُـضِـلُّ الْبَـصِـيـرَةُ الْحَـوْلَاءُ
مَنْ تُـرَىٰ نَـظَّمَ الْمَعَـايِشَ لَمَّـا   عَظُمَ الْجَهْلُ فِي الْوَرَىٰ وَالْعِدَاءُ؟
مَنْ تُـرَىٰ طَهَّـرَ النُّفُـوسَ اللَّوَاتِي   أَفْسَـدَتْهَـا الْقَبَـائِـحُ النَّكْـرَاءُ؟
مَـنْ تُـرَىٰ أَلَّفَ الْقُلُوبَ عَـلَىٰ الْحُبِّ وَكَـانَتْ شَتَّىٰ بِـهَـا الْأَهْـوَاءُ؟

○ ○ ○

زَعَـمَ النَّـاسُ أَنَّـهُـمْ خَـوَّفُـونَـا   حِينَ قَـالُـوا: رَجْعِيَّـةٌ حَـمْـقَـاءُ
نُصِبَ الْفَـخُّ لِلطُّيُـورِ وَنَـادَوْا   هَـا هُنَا رَوْضَـةُ النَّدَىٰ الْغَنَّـاءُ
بَعَثُوا الْمُغْرِيَـاتِ فِي كُـلِّ أُفْقٍ   وَمِنَ الـطَّيْـرِ عَـرْشُـهُ الْعَـلْيَـاءُ
فَـإِذَا بَـعْـضُـهَـا تَـرَاجَـعَ لِـلْأُفْـقِ وَقِـسْـمٌ قَـدْ قَـادَهُ الْإِغْـرَاءُ
قَـدَّمَتْهُ سَفَـاهَـةُ الـرَّأْيِ صَيْداً   عُـدَّةُ الصَّيْـدِ خُـدْعَـةٌ وَدَهَـاءُ
أَفَكَـانَ الـرَّجْعِيُّ أَفْضَـلَ رَأْيـاً   أَمْ أُنَـاسٌ دَهَـتْهُـمُـو الـدَّهْيَـاءُ
أَنَـا أَرْضَىٰ الـرُّجُـوعَ فَلْيَشْتُمُـونِي   بِـرُجُـوعٍ فِيـهِ الْهُـدَىٰ والْعَـلَاءُ

لَا دَهَانِي تَقَدُّمٌ لِهَلَاكٍ بَلْ حَمَتْنِي رَجْعِيَّةٌ وَإِبَاءُ
بِئْسَ رَأْياً ذَاكَ التَّقَدُّمُ فِينَا وَلَنِعْمَتْ رُجْعَىٰ هِيَ اسْتِعْلَاءُ

○ ○ ○

نَفِدَ الصَّبْرُ بَيْدَ أَنِّيَ أَرْضَىٰ قِلَّةَ الصَّبْرِ حِينَ يَحْلُو الْمَضَاءُ
إِنَّ صَبْراً عَلَىٰ الْهَوَانِ مَلِيًّا لَسَبِيلٌ يَخْتَارُهُ الْجُبَنَاءُ
فَقُلِ الْحَقَّ مَا يَضُرُّكَ أَنْ تَسْتَكَّ مِنْهُ مَسَامِعٌ بَلْهَاءُ
وَامْلَإِ الْكَوْنَ بِالنِّدَاءِ فَمَا لَمْ تَعِهِ الْأَرْضُ قَدْ وَعَتْهُ السَّمَاءُ
إِنَّ فِينَا لَأَنفساً تَتَسَامَىٰ فَيَجُوزُ الدُّنَىٰ بِهَا اسْتَشْرَاءُ
إِنَّنَا أُمَّةُ الْجِهَادِ لِيَرْضَىٰ رَبُّنَا اللَّهُ. هَمُّنَا الْعَلْيَاءُ
أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ هُبُّوا بِعَزْمٍ بِجِهَادٍ مَا دُونَهُ اسْتِخْذَاءُ
إِنَّ هٰذِي أَمَانَةَ الدِّينِ فِيكُمْ أَفَأَنْتُمْ حُمَاتُهُ الْأُمَنَاءُ؟
أَوَلَيْسَ الْقُرْآنُ أَقْوَمَ قِيلاً وَنِظَاماً مِمَّا يُرَىٰ وَيُشَاءُ
إِنْ أَرَادُوا فِينَا رَشَاداً وَعَدْلاً وَرَخَاءً فَبِالْكِتَابِ اسْتَضَاءُوا
أَوْ أَرَادُوا فِينَا انْحِلَالاً وَفَوْضَىٰ فَلَنَا فِي حَيَاتِنَا مَا نَشَاءُ
نَأْخُذُ الْمَالَ عَنْوَةً وَنُرِيقُ الدَّمَ ظُلْماً. وَهَكَذَا الْأَقْوِيَاءُ
أَنَا أَوْ أَنْتَ لَيْسَ يَضْبِطُ نَفْسَيْنَا نِظَامٌ تَخْتَارُهُ الْأَهْوَاءُ
إِنَّمَا يَضْبِطُ الْعَوَالِمَ دِينٌ فِيهِ لِلنَّفْسِ رَهْبَةٌ وَرَجَاءُ

○ ○ ○

أَعْلِنُوهَا: «فَدِينُ دَوْلَتِنَا الْإِسْلَامُ» يَا قَوْمِ لَيْسَ عَنْهُ الْتِوَاءُ
إِنَّ هٰذِي جَزِيرَةَ الْعُرْبِ عَصْمَاءُ. وَفِيهَا شَرِيعَةٌ عَصْمَاءُ
فَلْيَكِدْ كَيْدَهُ الْعَدُوُّ سَيَبْقَىٰ بِحِمَىٰ اللَّهِ أَمْنُنَا وَالرَّخَاءُ

دمشق، في ١٥/٤/١٣٦٩ هجرية (٧٨ بيتاً)



١٥

في قلّة من المدارس الشرعية، وضعفٍ في الدراسات الدينية، وخلوّ المدارس الحكومية الرسميّة من الدراسة الدينية، بتأثير الاستعمار الفـرنسي لسورية، بدأ والدي رحمه الله يؤسس مدرسته الشرعية الخاصّة منذ بداية شبابه، وكانت في أول أمرها حلقات من طلاب العلم، الذين لهم أعمال يتكسبون منها، أو لهم مِهَنٌ وصناعات يتعلمونها على أربابها من الصناع عُمّالاً تحت أيديهم، كعَادة جيل ذلك العهد.

وكانت هذه الحلقات تُحدَّد لها أوقات الصباح والمساء، قبل أن يذهب المنتظمون فيها إلى أعمالهم، وبعد أن يرجعوا منها، كوقت ما بعد صلاة الفجر إلى الضحى، ووقت ما بين العشاءين، ووقت ما بعد العشاء.

وكان مركز نشاط أبـي رحمه الله جامع منجك في حي الميدان من أحياء دمشق، حيث سَكَنُ عائلتِهِ، وقد اتخذ له في هذا الجامع غرفة للتعلّم والتعليم والإقامة، كعادة معظم أهل العلم وطلابه المتفرغين له، إذْ كانت لهم غرف في المساجد التي تجاور مساكنهم، أو تقع في أحْيائهم.

ثم رغب بعض طلاب هذه الحلقات في الانقطاع عن عمله في كسب المال ليتفرّغ لدراسة علوم الدين واللغة العربية، وما يرتبط بها من علوم، فكان من أوائلهم عمي شقيق أبي الشيخ صادق حبنكة الميداني الذي لم يلتحق أصلاً بعمل تكسّبي، ثم الشيخ حسين خطاب «شيخ قراء الشام فيما بعد» وقد كان صانع دولات نحاسية، فحفظ كتاب الله وهو عامل في هذه الصناعة، ودون الرابعة عشرة من عمره، ومنهم الشيخ نعيم شقير، والشيخ خيرو ياسين، والشيخ

محمد الفرا، ثم الشيخ محمد خير العلبي، والشيخ مصطفى سعيد الخن (دكتور في الشريعة من الأزهر فيما بعد)، وتتابع بعدهم الطلاب المتفرغون للدراسة.

فترك هؤلاء أعمالهم أو لم يكن لهم أعمال أصلاً، ولزموا الجامع، ليواظبوا على حضور الدروس النهارية على الشيخ، ثم رأوا أنّ نومهم في بيوتهم قد يفوت عليهم حضور دروس الصباح والمساء والليل، فصاروا ينامون في الجامع مثل أهل الصفة.

فسعىٰ الوالد رحمه الله لبناءِ غرف لهم على أروقة الجامع من الخشب واللّبن والطين.

فمدّ بعض المحسنين يد المساعدة، فاشتُريتِ الأَخشاب وبعض وسائل البناء البدائية، وحضر بعض العمال الذين يحضرون دروس الموعظة العامة ودروس الصباح والمساء، فساهموا في أعمال البناء بأجور يسيرة، وهم فقراء، وكان جدّي والد أبي رحمهما الله تعالى له همة عالية، وممارسات في أعمال البناء، وله تقوىٰ ورغبة في الخير، فأخذ يعمل في بناء غرف الطلبة بيده، واشترك الطلبة أنفسهم في أعمال البناء كُلٌّ منهم على قدر خبرته، فتمّ بذلك بناء غرفة كبيرة للشيخ وغرف صغرى للطلاب المنقطعين للدراسة.

وكلّما زاد عدد هؤلاء الطلاب المتفرغين للدراسة، دعت الحاجة لبناء غرف أخرى على أروقة الجامع، حتى صارت بالفعل مدرسة داخلية، لها كلّ وسائلها، ولكن بصورةمتواضعة ليس عليها أي مظهر من مظاهر النعمة والرفاهية.

وكانت نفقات هذه المدرسة تجمع من المحسنين، فقد انتدب بعض أهل الخير والتقوى، من الذين يحضرون دروس الوالد الليلية والصباحية، ودروس الموعظة، فكوّنوا لجنة لجمع التبرعات من التجار وغيرهم من المحسنين، وكان منهم المرحوم الحاج عيد البحرة، والحاج عوض البغا، والحاج عبدالغني الشربجي. والسّادة: عبدالجليل الشيخ سالم، شفيق حالول، توفيق الشربجي، وغيرهم.

وقسّم الشيخ الوالد رحمه الله طلاب هذه المدرسة الداخلية الشرعية إلى حلقات، وجعل مهمة تعليم الطلاب المستجدين على قدماء طلبة الحلقات الأولى، مع استمرار حضورهم في حلقات الشيخ الوالد التي يقرؤون فيها الكتب الكبرى.

وكان صغار الطلبة الموزعون في الحلقات يحضرون بعض حلقات الشيخ أيضاً، في غير مواعيد دروسهم المقررة، التي يتلقونها على مشايخهم من تلاميذ الشيخ، وكنت ممّن تعلّم على تلاميذ أبـي، ثمّ صرت أستاذ حلقاتٍ من دوني.

وقد أفاد هذا الأسلوب جدّاً في تكوين أساتذة يعلّمون طلابهم، ويتلقون على شيخهم في الوقت نفسه، ويحضرون بعض الدروس مع طلابهم على الشيخ في دروس جامعة.

ثـمّ رأى الوالد رحمه الله أن يجعلها مدرسة نظامية مرخصة رسميّاً، وأطلق عليها اسم «معهد التوجيه الإسلامي»، وأسس لها جمعية باسم «جمعية التوجيه الإسلامي».

وألهم الله محسنين ثريّين شريكين في الأعمال التجارية، أن يقوما على نفقتهما ببناء الرواق الشرقي من الجامع بناء حديثاً بالأسمنت المسلّـح، لائقاً بمدرسة شبه نظامية، وكان أبـي متشوّفاً لهذا العمل، ويتحدّث به، ويتمنّـى أن يتمكّن من بنائه، فقام هذان المحسنان رحمهما الله تعالى ببنائه على نفقتهما، وهما: المرحوم «سلطان العجمي» والمرحوم «عزّت الدبس» وهما من أهل حيّ الميدان، ولكن جمعا ثرواتهما من خارج البلاد العربية، بصبر وكفاح، وقد شجعهما على هذا العمل الخيري الحاج عبدالغني الشربجي أحد أعضاء جمعية التوجيـه الإسلامي، ومن تلاميذ الوالد ومحبّيه، وكانت له صلة بالحاج سلطان العجمي.

وبعد أن تم البناء، رأى الوالد رحمه الله، وإخوانه أعضاء الجمعيّة، إقامة احتفالٍ فيه تكريماً للمحسنين، وإشادةً ببناء المدارس الشرعية، وتشجيعاً لأهل الخير والبـرّ، أن يساهموا في بناء المدارس وتمويلها والإنفاق عليها.

وقد تـمّ ترتيب الاحتفال على أن يشترك فيه عدد من الخطباء من تلاميذ الوالد، وكنت واحداً منهم، وقد أعددت له قصيدة مناسبة لموضوعه، وألقيتها فيه فعلاً.

وكان ذلك في سنة ١٣٧٠ هجرية و ١٩٥٠ ميلادية.

وهي هذه القصيدة، وهي بعنوان:

«بمناسبة الاحتفال ببناء معهد التوجيه الإسلامي في جامع منجك»

بمناسبة الاحتفال ببناء معهد التوجيه الإسلامي في جامع منجك

عَجَبٌ لِلنُّجُومِ فَوْقَ الْهِضَابِ وَغَرِيبٌ تَسْيَارُهَا فِي الرِّحَابِ
خَلِّيَا سَاحَةَ الطَّرِيقِ فَهَذَا مَوْكِبُ الْأُفْقِ دَافِعاً فِي الشِّعَاب
مَوْكِبُ الْأَنْجُمِ الرَّفِيعَةِ يَحْتَثُّ مَطَايَاهُ دُونَ هٰذِي الرَّوَابِي
لِلْعَظِيمِ الْعَظِيمِ لِلْكَوْكَبِ السَّارِي وَلَكِنْ عَلَىٰ أَدِيمِ التُّرَابِ
كَوْكَبٌ يَفْعَلُ الَّذِي يَفْعَلُ النَّاسُ وَيَبْنِي فِي الْأَرْضِ يَا لِلعُجَابِ
كَوْكَبٌ مِنْ بَنِي مَعَدِّ بْنِ عَدْنَا نَ وَأَكْرِم بِخِيرَةِ الْأَنْسَابِ
يَحْمِلُ اللَّبْنَ صَدْرُهُ وهْوَ يَسْعَىٰ فَوْقَ حَرِّ الرِّمَالِ دُونَ اكْتِئَابِ

○ ○ ○

يَا رَسُولَ الْهُدَىٰ وَيَا سَيِّدَ النَّاسِ تَرَفَّقْ. نَكْفِيكَ كُلَّ طِلَابِ
يَا حَبِيباً مَا ذَلِكَ اللَّبِنُ الْقَا سِي عَلَىٰ صَدْرِكَ الرَّفِيعِ الْجَنَابِ؟!
أَفَتَبْنِي دَاراً لِتَسْكُنَ فِيهَا أَفَتَبْنِي نَوَادِيَ الْأَصْحَابِ؟!
لَيْسَ دَاراً وَلَا نَدِيّاً وَلَكِنْ مَسْجِدٌ لِلْجِبَاهِ وَالْأَلْبَابِ
مَجْمَعٌ لِلْهُدَىٰ وَمَعْهَدُ تَهْذِيبٍ وَعِلْمٍ وَمِنْبَرٌ لِخِطَابِ
ذَاكَ مَا طَأْطَأَتْ نُجُومُ السَّمَاوَاتِ. وَأَحْنَتْ لَهُ إِلَىٰ الْأَعْتَابِ

○ ○ ○

رُوحُ هٰذِي الْحَيَاةِ عِلْمٌ كِتَابُ اللَّهِ رُشْدُ الْأَسْلَافِ والْأَعْقَابِ
إِنَّ كُوخاً في الْأَرْضِ زَيَّنَهُ الْعِلْمُ كَبَدْرٍ أَضَاءَ كُلَّ الرِّحَابِ

○ ○ ○

أَيْنَ عِلْمُ السَّمَـاءِ وَالَهْفَ نَفْسِي لَا تَكُفِّي يَـا عَيْنُ عَنْ تَسْكَـابِ
إِنَّ عِلْمَ الْقُـرْآنِ وَالـدِّيـنِ فِينَـا فِي ضَيـاعٍ وفِي ضَنًى واغْتِـرَابِ
كُـلُّ عِـلْمٍ لَـهُ تَخَصُّصُ قَـوْمٌ غَـيْـرَ عِـلْمِ الْأَخْـلَاقِ والآدَابِ
غَيْـرَ عِلْمِ السَّمـاءِ عِلْمِ كِتَابِ اللَّهِ فَصْـلِ الْهُـدَىٰ وَفَصْلِ الْخِـطَابِ
هُـوَ عَقْـلُ الْعُلُومِ مَهْمَـا تَـرَقَّتْ وَهْـيَ مِـنْ دُونِـهِ أَدَاةُ خَـرَابِ
فَـازْدِيَـادُ الْـعُلُومِ دُونَ رَشَـادٍ كَـازْدِيَادِ الْقُـوَىٰ لِـذِئْبِ الْغَـابِ

○ ○ ○

كُـتُبٌ خُطَّ فَـوْقَـهَا: قَـيِّمَـاتٌ وَعَـلَىٰ جِلْدِهَـا غِـلَافُ تُـرَابِي
نَـاطِقَـاتٌ بِخَـافِتٍ مِنْ أَنِيـنٍ إِنَّ نُـورِي وَقِيمَتِي عِلْمُ مَا بِي
إِنَّ كَنْـزَ الْعُلُومِ بَيْنَ دُفُـوفِ الْكُتْبِ فَـقْـرُ الْهُـدَىٰ لَـدَىٰ الْحُسَّـابِ
إِنَّـهـا فِي رُفُـوفِـهَـا تَتَشَـاكَىٰ أَلَمَ السِّجْنِ أَوْ جَـفَـا الْأَحْبَـابِ
أَسْـطُرٌ كُـنَّ مُشْـبِـهَـاتِ سَـوَادِ الْـعَيْـنِ تَـبْيَضُّ مِـنْ أَسـىً واكْـتِئَـابِ
يَـا كِتَابَ الْهُـدَىٰ وسِفْرَ الْمَعَـالِي يَـا حَبِيسَ الـرُّفُـوفِ وَالْأَبْـوَابِ
دَمْعَتِي مَـا تَـزَالُ تَنْـزِفُ حُـزْنـاً أَوْ أُلَاقِـيـكَ بُـغْـيَـةَ الـطُّلَّابِ
مَـا لَـهُمْ يَـعْشَـقُـونَ بَـارِقَـةَ الْقِـشْـرِ فَـتُنْسِـيـهِـمُـو نَـفِيسَ الـلُّبَـابِ
هَجَـرُوا مَـوْرِداً خِضَـمّـاً فُـرَاتـاً وَتَـغَنَّـوْا بِـجَـرْعَـةٍ مِنْ شَـرَابِ

○ ○ ○

كُـتُبَ الـدِّيـنِ قَـدْ أَظَلَّكِ يَـوْمٌ أَنْتِ مِنْـهُ مَـقْـطُوعَـةُ الْأَسْبَـابِ
أَنْتِ فِي مُتْحَفِ الْأُولَىٰ سَبَقُـونَـا فِي قَـدِيمِ الْعُصُـورِ والْأَحْقَـابِ
مَـعَ جِنْتٍ وَذَاتِ نَـقْشٍ قَـدِيمٍ حَـفِـظُوهَـا لِـنَـظْرَةِ الْإِعْـجَابِ
بَـيْنَمـا أَنْتِ أَنْـجُمٌ مُـزْهِـرَاتٌ تَـزْدَهِي دَائِمـاً بِنُـورِ الشَّبَـابِ
قَـبَسٌ أَنْـتِ لَا تُـؤَثِّـرُ فِـيـهِ هَـائِجَاتٌ مِنَ الـرِّيَاحِ الْغِضَـابِ
حَفِـظَتْـهُ الْأَبْطَالُ مِنْ كُـلِّ سُـوءٍ وَحَمَتْـهُ مِـنْ عُصْبَـةِ الْأَوْشَـابِ

قَدْ حَسِبْنَاكِ شِبْتِ لَمَّا خَرِفْنَا ... وَسَبَتْنَا الْأَيَامُ غَضَّ الْإِهَابِ

○ ○ ○

أَيْنَ مَنْ شَادَ لِلشَّرِيعَةِ حِصْناً ... عَبْقَرِيَّ الْأَوْتَادِ والْأَسْبَابِ

يَرْجِعُ الطَّرْفُ عَنْ مَدَاهُ حَسِيراً ... لَمْ يُطَاوِلْهُ. بَلْهَ جُنْحِ العُقَابِ

نَاطِحَاتُ السَّحَابِ لَوْ أَبْصَرَتْهُ ... أَبْصَرَتْ فِيهِ هَازِئاً بِالسَّحَابِ

كَسَّرَتْ قَرْنَهَا وَكَانَ قُصَارَىٰ ... مَدِّ هَامَاتِهَا إِلَىٰ الْأَبْوَابِ

أَيْنَ آبَاؤُنَا الَّذِينَ أَقَامُوا ... كُلَّ صَرْحٍ لِلدِّينِ رَحْبِ الْجَنَابِ

بَذَلُوا الْمَالَ مِثْلَمَا يُبْذَلُ الْمَا ... ءُ عَلَىٰ جَانِبِ الْخِضَمِّ الْعُبَابِ

○ ○ ○

قِيلَ: إِنَّ الْأَمْوَالَ مَجْدٌ وعِزٌّ ... وَبَلَاغُ الْمُنَىٰ وَفَكُّ الرِّقَابِ

بَيْدَ أَنَّ الغِنَى بِغَيْرِ غِنَىٰ الْأَنْفُسِ بِالْجُودِ شَرُّ مَا فِي الْمُصَابِ

كَمْ غَنِيٍّ لَا يَحْرُسُ الْجُودُ مَالاً ... عِنْدَهُ. نَفْسُهُ انْطَوَتْ بِعَذَابِ

رُبَّ ذِي جَنَّةٍ تَفِيضُ ثِمَاراً ... وَيَرَاهَا تَخْتَالُ مِنْ إِتْرَابِ

جَاءَهَا فِي صَبَاحِ يَوْمٍ فَأَلْفَىٰ ... كُلَّ رِزْقٍ فِيهَا حُطَامَ الْتِهَابِ

○ ○ ○

حَسْبُنَا اللَّهُ مِنْ أُنَاسٍ سَقَتْهُمْ ... رَاحَةُ الْكَافِرِينَ شَرَّ شَرَابِ

كَانَ مَكْرُ الْغُزَاةِ فِيهِمْ شَنِيعاً ... مُفْسِداً لِلنُّفُوسِ وَالْأَلْبَابِ

فَسَعَوْا نَحْوَ إِرْثِهِمْ ذِي هُدَاهُمْ ... وَعُلَاهُمْ لِدَسِّهِ فِي التُّرَابِ

فَكَأَنَّ الْهَدْيَ الَّذِي نَظَّمَ الْعَا ... لَمَ دَهْراً أُسْطُورَةٌ مِنْ كِذَابِ

وَكَأَنَّ الْغَيْثَ الَّذِي غَمَرَ الْأَرْجَاءَ فِي أَعْصُرٍ خَيَالُ سَحَابِ

وَكَأَنَّ الشَّمْسَ الَّتِي قَدْ مَلَكْنَا ... فِي قَرِيبِ الْعُصُورِ حُلْمُ شَبَابِ

إِنْ يَمَسَّ الْفَسَادُ فِكْرَ ذَوِي الْفِكْرِ فَيَا وَيْلَتَا لِهَذَا الْمُصَابِ

أَشْنَعُ الْغَزْوِ مُفْسِدُ الْفِكْرِ مِنَّا ... فَاحْذَرُوا، واحْرِصُوا عَلىٰ الطُّلَّابِ

○ ○ ○

كَمْ غَيُورِ اللِّسَانِ يَقْطَعُ أَسْبَابَ الْهُدَىٰ نِحْلَةً بِغَيْرِ ثَوابِ

يَدَّعِي الْفَضْلَ وَهْوَ لَا خَيْرَ فِيهِ وَيَسُوقُ النِّعَاجَ لِلْأَنْيَابِ

يَنْدُبُ النَّاسَ لِلْهُدَىٰ وَيُنَادِي نَحْنُ أَهْلُ الْهُدَىٰ وَأَهْلُ الكِتَابِ

فَإِذا جِئْتَ طَالِباً مِنْهُ هَدْياً لَمْ تُصادِفْ غَيْرَ الرَّدَىٰ والكِذَابِ

رُبَّ مَنْ يَدَّعِي هُدىً وَصَوَاباً هُوَ خِلْوٌ مِنَ الْهُدَىٰ والصَّوَابِ

وَمُنَادٍ إِلَىٰ غَدِيرٍ ظِمَاءً عَرَفَ الْحَقُّ فِيهِ غَدْرَ السَّرَابِ

○ ○ ○

لَوْ فَقِهْنَا الْإِسْلَامَ حَقًّا حَمَلْنَا فِي سَبِيلِ الإِسْلَامِ كُلَ الصِّعَابِ

وَأَبَيْنَا لِينَ الزَّرَابِيِّ حَتَّىٰ نَنْسُجَ السُّحْبَ مِثْلَ نَسْجِ الزَّرابِيّ(١)

وَأَبَحْنَا أَكْبَادَنَا لِجِهَادٍ صَادِقِ الْبَأْسِ ثَابِتٍ لِلْحِرَابِ

وَثَبَتْنَا بِحِكْمَةٍ كَالرَّوَاسِي وانْتَفَضْنَا إِلىٰ الْقَنَا والْغِلَابِ

واخْتَصَرْنَا الزَّمَانَ نَحْوَ الْمَعَالِي وَعَدَوْنَا(٢) عَوَادِيَ الإِسْهَابِ

فَاجْتَذَبْنَا نَوَاصِيَ الْأَرْضِ قَسْراً بِالنَّدىٰ والْهُدَىٰ وَكُلِّ شِهَابِ

وَمَلأْنَا الدُّنْيَا نِظَاماً وَعَدْلاً إِذْ مَلأْنَا النُّفُوسَ في الْمِحْرَابِ

فَإِذَا نَحْنُ بَيْنَ حُسْنِ ابْتِدَاءٍ قَدْ ظَفِرْنَا وَبَيْنَ حُسْنِ مَآبِ

○ ○ ○

يَا هُدَاةَ الرِّكَابِ خِطْؤُكُمُو الْيَوْ مَ سَبِيلَ الرَّشَادِ خِطْءُ الرِّكَابِ

لَا تَكُونُوا لَنَا إِذَا حَصْحَصَ الْحَقُّ أُولِي ضَلَّةٍ(٣) وَأَهْلَ خِلَابِ

○ ○ ○

أَيُّهَا النَّاسُ دِينُ أَحْمَدَ حَقٌّ وَصَرِيحٌ فَحَسْبُنَا مَا نُحَابِي

---

(١) الزرابي: النمارق والبُسُط أو كُل ما بُسط واتُّكِىء عليه مفردها زُرْبِي.

(٢) عَدَوْنا: أي تجاوزنا وتعدَّينا.

(٣) ضَلة: حَيْـرَة.

لَـوْ تُـدَارِي أُسْـدُ الشَّـرَىٰ ثَعْلَبَ الـرَّوْضِ تَمَـطَّى لِكَيْـدِهَا فِي الْغَـابِ

○ ○ ○

أَيُّـهَـا الْعَـامِـلُونَ لاَ تَسْـتَكِـينُـوا إِنَّمَـا الضَّعْفُ شِيمَةُ الْمُـرْتَـابِ
إِنْ ضَعُفْتُمْ يَضْعُفْ بِكُمْ جِيلُ قَوْمِي فَهْـوَ فِي الْجِـدِّ وَاهِنُ الأَعْصَابِ
واحْـذَرُوا بَـيْـنَ حِـكْـمَـةٍ وَأَنَـاةٍ أَنْ يَجُـوسَ الْعَـدُوُّ تَحْتَ حِجَابِ

○ ○ ○

أَيُّهَـا الْمُصْلِحُـونَ لاَ تَتَـوانَـوْا فَـالتَّـوَانِي وَسِيـلَةٌ لـلتَّبَـابِ[1]
وَإِذَا الْمُصْلِحُونَ فِي الْقَوْمِ نَـامُوا نَهَضَتْ بَيْنَهُمْ جُيُـوشُ الْـخَـرَابِ

○ ○ ○

إِنّ هٰـذِي قَصِيـدَتِي قَـاسَمَتْنِي بَعْضَ نَفْسِي وَفِكْـرَتِي وَطِلاَبِـي
مَـا عَلَىٰ الْعَـاجِـزِينَ مِثْلِي سِـوَى الْقَـوْلِ فَـذِي عُـدَّتِي وَهَـذَا جِـرَابِـي

دمشق، في سنة ١٣٧٠ هجرية (٨١ بيتاً)

---

(١) التباب: النقص والخسران.



١٦

في سنة ١٣٧٣ هجرية أقام أبـي رحمه الله احتفالاً توجيهياً في مسجده الجامع بحيّ الميدان بدمشق، اشترك في الخطابة فيه عدد من طلابه، منهم المقرىء الجامع للقراءات العشر الشيخ حسـين خطاب، والمقـرىء الجامـع للقراءات العشر الشيخ محمد كريّم راجح، وكلاهما قد جمعا القراءات العشر من طريق الشاطبية والدرة على المقرىء الجامع الشيخ محمد الحلواني، ثم ولده العبقري المقرىء الجامع الشيخ أحمد الحلواني. ومن طريق طيبة النشر على المقرىء الجامع الشيخ عبدالقادر قويدر العربيني.

وكنت أعددت لهذا الاحتفال هذه القصيدة، وألقيتها فيه، وهي بعنوان:

«مشرق شمس الإسلام»

مَشْرِقُ شمسِ الإسْلام

أَمِنْ هَمَسَاتِ الْمَاءِ مَا شُجِنَ الصَّدْرُ ... وَمِنْ وَشْوَشَاتِ النَّحْلِ مَا انْتَحلَ الشِّعْرُ؟

وَلِلنَّهْـرِ سَجْـعٌ لَا يُمَـلُّ سَمَـاعُـهُ ... إذَا كَانَ هَذَا السِّحْرُ لَا عُدِمَ السِّحْرُ

وَسَالَ عَلَىٰ حَصْبَاءِ مُنْحَدَرِ اللِّوَىٰ[1] ... كَسِـرْبِ ظِبَاءٍ رِيعَ يَـدْفَعُـهُ النَّفْـرُ

وَلِلرَّمْـلِ عِنْـدَ الشَّـاطِئَيْنِ حَـدِيثُـهُ ... وَلَكِنْ حَـدِيثُ الرَّمْـلِ أَغْلَبُهُ سِـرُّ

وَضَاقَ وِعَاءُ الطَّيْرِ عَنْ كَتْمِ سِـرِّهِ ... فَـأَذَّنَ فِي الْـوَادِي وَلَذَّ لَهُ النَّشْـرُ

وَأَبْـدَعَ عُـذْرِيُّ النَّسِيمِ مُجُـونَـهُ ... فَصَفَّقَتِ الْأَغْصَانُ وارْتَعَش الطَّيْـرُ

وَحَـدَّثَتِ الرَّيْحَـانَةُ الْـوَرْدَ سَـاعَـةً ... بِأَعْذَبِ نَجْوَىٰ اثْنَيْنِ مَا بِهِمَا حِذْرُ

وَأَغْضَتْ عُيُونُ النَّرْجِسِ الْغَضِّ عَنْهُمَا ... وَأَدْرَكَ مَا فِي الْأَمْرِ فَابْتَسَمَ الزَّهْرُ

وَتَـمَّمَ أَنْـوَاعَ الْـجَمَـالِ مُـغَـرِّدٌ ... بِسِحْرٍ مِنَ الْأَلْحَانِ بَشَّ لَهُ الدَّهْرُ

أَحَـاسِيسُ عِنْدَ الْمُـرْهَفِينَ لَـذِيـذَةٌ ... وَمَا حَدَّهَـا وَصْفٌ وَلَمْ يَعِهَا فِكْـرُ

وَمَـا هِيَ إلَّا مِثْلُ وَمْضِ شُعَـاعَةٍ ... لِمَشْرِقِ شمسِ الْمُصْطَفَىٰ وانْتَهَىٰ الْأَمْرُ

○ ○ ○

أَيَا عَهْدَ إِشْراقِ الْهُدَى فَـاحَ نَشْرُهُ ... فَعَمَّ عَلَىٰ الْأَرْجَاءِ مِنْ عِطْرِهِ عِطْرُ

يُـذَكِّـرُنَـا عَصْـراً لَيَـالِيهِ نَـوَّرَتْ ... بِبِعْثَةِ مَنْ جَاءَ الْهُدَىٰ فِيهِ والطُّهْرُ

أَيَا مَشْرِقاً فِي الْأَرْضِ شَرَّفْتَهَا عَلَىٰ ... سَمَاءٍ سَمَتْ فِيها كَـوَاكِبُهَا الـزُّهْرُ

إِذَا لَمْ يَـرَ الرَّاءُونَ نُـورَ رَسُـولِنَـا ... فَلَا بَزَغَتْ شَمْسٌ وَلَا طَلَعَ الْبَـدْرُ

فَـوَحْيٌ مِنَ الرَّحْمَنِ مَنْبَـعُ هَـدْيِهِ ... وَهَـذا كِـتَـابُ اللَّهِ آيَـاتُـه غُـرُّ

○ ○ ○

---

(١) اللِّوى: مَا الْتوى من الرمل.

يَتِيمَ قُرَيْشٍ يَا أَبَا النَّاسِ دَعْوَةً إِلَىٰ اللَّهِ لَا تَحْزَنْ فَفِي كَفِّكَ النَّصْرُ
وَمَا الْيُتْمُ إِلَّا بَعْضُ مَا أَنْتَ ظَافِرٌ بِـأَنْعُمِهِ. وَالْيُتْمُ يَعْـرِفُـهُ الـدُّرُّ
فَـلَا دَمَعَتْ عَيْنَا يَتِيمٍ مِنَ الْأَسَىٰ لِيَنْهِي الْيَتَامَىٰ. فَالرَّسُولُ لَهُمْ فَخْرُ

○ ○ ○

تَبَارَكْتَ رَبَّ الْعَرْشِ أَرْسَلْتَ أَحْمَداً بِمَا فِيهِ لِلنَّاسِ السَّعَادَةُ وَالْخَيْرُ
أَكَانَ لِزَاماً فِي الْوَرَىٰ أَنَّ مَنْ دَعَا إِلَىٰ اللَّهِ مِنْهُمْ مَسَّهُ الْهُزْءُ وَالنُّكْرُ؟؟
نَعَمْ هُوَ شَأْنُ النَّاسِ فِي كُلِّ أُمَّةٍ وَإِنَّ عَجِيبَ الْأَمْرِ أَنْ يُعْكَسَ الْأَمْرُ
فَصَبْـراً دُعَاةَ اللَّـهِ إِنْ مَسَّكُمْ أَذى وَنَالَكُمُو هُزْءٌ مِنَ النَّاسِ أَوْ ضُرٌّ
فَـإِنَّ رَسُولَ اللَّـهِ أُسْـوَةُ مَنْ دَعَـا بِدَعْوَةِ حَقٍّ فَـالْتَوَىٰ حَـوْلَهُ الْمَكْـرُ

○ ○ ○

رَسُولَ الْهُدَىٰ رِفْقاً بِنَفْسِكَ. إِنَّ مَنْ حَزِنْتَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَصُدَّهُمُـو الْكُفْرُ
جَوَانِحُهُمْ يَغْلِي مِنَ الْبُغْضِ كَيْدُهَا وَأَعْيُنُهُمْ مِنْ غَيْـظِهِمْ بِرَكُ حُمْـرُ
فَدَعْهُمْ. وَلَا تَـذْهَـبْ بِنَفْسِكَ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ إِذَا لَمْ يُغْنِهِمْ فِي الْهُدَى نُذْرُ
أَلَا خَبِّـرُونِي: هَلْ كَمِثْـلِ مُحَمَّدٍ بِرَحْمَتِهِ فِي النَّاسِ. أَوْ وَهِمَ الْفِكْرُ؟

○ ○ ○

رَسُولَ الْهُدَىٰ عَلَّمْتَنَـا كَيْفَ نَرْتَقِي إِلَىٰ ذِرْوَةٍ مَـا مَسَّهَـا أَمَـلٌ بِكْـرُ
وَأَنَّ طَـرِيقَ الْمَجْـدِ وَعْـرٌ وَإِنَّمـا يُـذَلِّلُهُ الْإِيمَـانُ وَالْجِـدُّ وَالصَّبْـرُ
وَهَـذَّبْتَ بِالْخُلُقِ الْكَـرِيمِ خَلَائِقـاً لَكَمْ أَشْقَتِ الدُّنْيَا قَبَائِحُهَا الْكُثْـرُ
فَلَمْ تَرْضَ فِيهَا الذُّلَّ وَالضَّعْفَ وَالضَّنَىٰ[1] وَسَاءَكَ مِنْهَا الظُّلْمُ وَالْبَغْيُ وَالْغَدْرُ
وَهَـلْ يُنْكِرُ النُّـورَ الَّذِي جِئْتَنَـا بِهِ مِنَ اللَّهِ إِلَّا الْجَاهِلُ الْجَاحِدُ الْغُمْرُ[2]؟
حَمَلْتَ لَنَـا الْإِسْـلَامَ دِينـاً وَدَوْلَـةً وَعِلْمـاً وَتَـطْبِيقـاً. وَكُـلٌّ لَـهُ قَـدْرُ

---

(١) الضَّنىٰ: المرض المزمن.
(٢) الغُمْر: الغِر الذي لم يجرب الأمور.

هُوَ الدِّينُ والدُّنْيا. هُوَ الْحَقُّ والْهُدَىٰ ... هُوَ الْمَجْدُ والْعَلْيَا. هُوَ الْخَيْرُ والْبِرُّ
هُوَ الْعَدْلُ والإِحْسَانُ. والصَّبْرُ وَالرِّضَا ... فَلا السُّخْطُ مَوْجُودٌ. وَلَا نَشِبَ الْفَقْرُ
هُوَ السِّلْمُ والْقُرْآنُ. والْحَرْبُ والْقَنا[1] ... هُوَ الْقُوةُ الْعُظْمَى. هُوَ الصِّدْقُ والطُّهْرُ
هُوَ الْجِدُّ فِي الْأَعْمالِ والكَدْحُ فِي الْهُدَىٰ ... هُـو الْبَأْسُ وَالْإِقْدَامُ. والرَّأْيُ والْحِجْرُ
هُوَ الْوَحْدَةُ الكُبْرَىٰ. هُوَ الشَّمْسُ لِلْوَرَىٰ ... بِهِ الْأُمَّةُ الْمُثْلَىٰ. بِهِ الْخِيْرَةُ الْغُرُّ

○ ○ ○

إلَا حَبَّذَا الْإِسْلَامُ أَمْنَـعَ وَحْـدَةٍ ... تَضُمُّ شَتَاتَ النَّاسِ مَا اخْتَلَفَ النَّجْرُ[2]
وَلَا حَبَّذَا مَنْ ضَيَّقَ الْفَضْلَ فِي الْوَرَىٰ ... لَقَدْ ضَاقَ فِيهِ الْعَدْلُ والرَّأْيُ وَالصَّدْرُ

○ ○ ○

إِذَا سَـأَلُـوا عَنِيّ فَـإِنِّـيَ مُسْلِمٌ ... أُفَاخِرُ بِالْإِسْلَامِ مَـالَذَّ لِي الْفَخْـرُ
فَلَا الْعُرْبُ تَحْلُو فِي الْفَخَارِ لِمَنْ دَرَىٰ ... وَلَا غَيْرُهَا يَحْلُو إِذَا صَدَقَ الْخُبْرُ[3]
وَكُـلُّ بِـلَادِ الـلَّهِ أَرْضِي إِذَا انْـتَهَـىٰ ... إِلَىٰ الدِّينِ فِيهَا الْحُكْمُ والنَّهْيُ والْأَمْرُ
وَلَوْ صَارَ ظَهْرُ الْبَحْرِ دُنْيا عَقِيدَتِي ... لَأَصْبَحَتِ الدُّنْيَا لَـدَيَّ هِيَ الْبَحْرُ
وَلَا لَـذَّ لِي فِي الْبَـرِّ أَمْنٌ مُحَبَّبٌ ... وَلَا كَانَ لِي فِيهِ جَمَالٌ وَلَا سِحْرُ
وَلَا مَكَّـةٌ إِذْ ذَاكَ أَرْضٌ رَغِيبَـةٌ ... وَلَا الشَّامُ شَامٌ فِي الْفُـؤَادِ وَلَا مِصْرُ

○ ○ ○

أَرَىٰ النَّـاسَ صِنْفاً مَـاكِـراً مُتَلَوِّنـاً ... وَآخَـرَ غِـرّاً جَـاهِـلاً أَنَّـهُ غِـرُّ
وَأَمَّـا رِجَالُ الْحَقِّ فَـالْحَقُّ فِيهِمُـو ... ضَعِيفٌ تَهَـادَاهُ الْمَطَامِـعُ والْحِـذْرُ
لَقَـدْ وَرِثُـوا مَـا هُمْ عَلَيْـهِ وِرَاثَـةً ... أُولَئِـكَ قَـوْمٌ لَا يُشَـدُّ بِهِمْ أَزْرُ

○ ○ ○

---

(١) القنا: الرِّماح جمع قناة.
(٢) النَّجْر: الأصل.
(٣) الْخُبْر: بضم الخاء اختبار الشيء وامتحانه.

أَخِي دِينُنَـا الْإِسْـلَامُ واللَّـهُ رَبُّنَـا ... وَدُسْتُـورُنَـا نَهْيٌ مِنَ اللَّـهِ أَوْ أَمْـرُ

وَهَـذَا كِتَابُ اللَّـهِ آيَـاتُـهُ الضُّحَىٰ ... إِذَا اسْوَدَّتِ الْأَحْدَاثُ أَوْحَلَكَ الدَّهْرُ

وَقِبْلَتُنَـا الْبَيْتُ الْحَـرَامُ وَفَجْـرُنَـا ... رِسَـالَـةُ عِلْمٍ لَا يُـدَاخِلُهُ شَـرُّ

سِيَاسَتُنَا التَّوْحِيدُ. والْعَـدْلُ حُكْمُنَا ... وَتَـارِيخُنَا أُفْقٌ بِـهِ الْأَنْجُمُ الـزُّهْـرُ

لَنَا الشَّمْسُ أَخْفَتْ كُلَّ نُورٍ بِضَوْئِهَا ... فَطَابَ لَهُ فِي الْأَرْضِ أَنْ يُسْدَلَ السِّتْرُ

دمشق في ١٢/٣/١٣٧٣ هجرية **(٥٥ بيتاً)**



١٧

في احتفالٍ توجيهي لجماهير المسلمين، ضمن الاحتفالات التوجيهية التي كان أبي رحمة الله عليه يقيمها، ويؤازره في إقامتها تلاميذه وإخوانه ومحبّوه، ألقيتُ هذه القصيدة، التي نظمتها لأُلقيها فيه. وهي بعنوان:

«يا أرض مكة»

وقد نالت هذه القصيدة استحساناً، وأخذ منها المنشدون أبياتاً لحنوا بعضها تواشيح، وأنشدوا كثيراً منها قصائد في مناسبات متعدّدة.

وقد أعدت إلقاءها في احتفالات أخرى، وأول احتفال ألقيتها فيه كان في جامع منجك بحيّ الميدان من مدينة دمشق الشام، حيث معهد التوجيه الإسلامي، معهد أبي الشرعي، وذلك في ربيع الأول من سنة **١٣٧٥** هجرية.

وقد نشرت مقطعاً من هذه القصيدة بديواني: «ترنيمات إسلامية» وفيها هنا بعض تعديلات وتنقيحات.

يا أرض مكّةِ

يَا أَرْضَ مَكَّةَ مَا هَذَا النَّدَىٰ الْعَطِرُ مَا ذَلِكَ النُّورُ فِي قُطْرَيْكِ مُنْتَشِرُ؟!
مَا ذَلِكَ السَّعْدُ فِي وَادِيكِ مُنْبَعِثٌ بِطَاحُكِ الْغُبْرُ فِيهَا يَبْسِمُ الْحَجَرُ؟!

○ ○ ○

أُرِيتُ بَطْحَاءَكِ الْقَفْرَاءَ ضَاحِكَةً كَأَنَّ فِيهَا جِنَانَ الْخُلْدِ تَزْدَهِرُ
وَذَلِكَ الْجَبَلُ السَّامِي بِقِمَّتِهِ يُرِيدُ نُطْقاً وَلَكِنْ لَيْسَ يَقْتَدِرُ

○ ○ ○

سَأَلْتُكِ الْحَقَّ. والدُّنْيَا مَعِي سَأَلَتْ هَلْ جَدَّ عِنْدَكِ أَحْدَاثٌ لَهَا خَطَرُ؟

○ ○ ○

إنَّ الَّتِي قَدْ دَعَوْنَاهَا بِآمِنَةٍ تَمَخَّضَتْ عَنْ وَلِيدٍ وَجْهُهُ الْقَمَرُ

○ ○ ○

مُحَمَّدٌ. أَنْتَ مَا أَحْلاَكَ تَسْمِيَةً اللَّهُ سَمَّاكَهَا. والْحَمْدُ مُنْتَظَرُ
اللَّهُ رَبَّاكَ. لاَ تَحْتَاجُ تَرْبِيَةً مِنْ وَالِدٍ. فَبِتَاجِ الْيُتْمِ تَفْتَخِرُ

○ ○ ○

شَبَّ الْفَتَىٰ. وَسَمَتْ فِيهِ خَلاَئِقُهُ قَالُوا: الأَمين. وَقَالُوا: الصَّادِقُ الْخَفِرُ
حَدِيثُهُ الْحَقُّ جَذَّابٌ بِحِكْمَتِهِ مَا السِّحْرُ مِنْ لَفْظِهِ؟! مَا الطَّلُّ؟! مَا الدُّرَرُ؟
الْحَقُّ أَيَّدَهُ. والْخُلْقُ زَيَّنَهُ واللَّهُ بَارَكَهُ. مَا مِثْلُهُ بَشَرُ

○ ○ ○

يَهْفُو لِغَارِ حِرَاءٍ فِي دُجُنَّتِهِ فِي الْغَارِ سِرٌّ لِهَذا الكَوْنِ مُسْتَتِرُ
غَارٌ تَلَمَّسَ فِيهِ الْغَيْبَ مُحْتَجِباً فَعَاشَ فِيهِ اللَّيَالِي وَهُوَ يَفْتَكِرُ

سَعَىٰ إِلَىٰ الْغَيْبِ حتى كَادَ يَلْمَسُهُ ... مِنْ غَيْرِ وَحْيٍ وَكَادَ السِّتْرُ يَنْحَسِرُ
إِذْ ذَاكَ وَافَاهُ جِبْرِيلُ الْأَمِينُ بِهِ ... فَلامَسَ الْغَيْبَ مِنْهُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ

○ ○ ○

عَادَ الرَّسُولُ وَأَلْوَاحُ الْغُيُوبِ عَلَىٰ ... لِسَانِهِ. وَكَلَامُ اللَّهِ يَزْدَهِرُ
هَذَا مِنَ اللَّهِ تَنْزِيلٌ وَمُعْجِزَةٌ ... كُبْرَىٰ. وآيَاتُهُ الْأَحْكَامُ والْعِبَرُ
قَالُوا ــ وَقَدْ دَهِشُوا ــ: سِحْرٌ أَلَمَّ بِهِ ... وَمَا دَرَوْا أَنَّهُمْ فِي رَأْيِهِمْ سُحِرُوا

○ ○ ○

أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَدْنَيْنَ وادْعُهُمُو ... وَاهْجُرْ مِنَ الْقَوْمِ مَنْ لَمْ تُغْنِهِ النُّذُرُ
فَمَا لِعَمَّتِهِ الْقُرْبَىٰ وَلَا ابْنَتِهِ ... بِالْقُرْبِ عَنْ عَمَلِ الْخَيْرَاتِ مُعْتَذَرُ
وَهَذِهِ دَعْوَةُ الرُّسْلِ الكِرَامِ فَذَا ... نُوحٌ وَمَا لِابْنِهِ مَنْجى وَلَا وَزَرُ

○ ○ ○

قَالُوا: مُحَمَّدُ دَعْ أَمْراً أَتَيْتَ بِهِ ... نَمْنَحْكَ مَالَكَ فِيهِ عِنْدَنَا وَطَرُ
أَغْرَوْهُ بِالْمُلْكِ وَالتِّيجَانُ مُغْرِيَةٌ ... لَوْ أَنَّ دَاعِيَهُمْ يَسْعَىٰ لِمَا ذَكَرُوا
فَقَالَ: وَاللَّهِ يَا عَمَّاهُ لَوْ وَضَعُوا ... لِيَ الشَّمْسَ والبَدْرَ مَا أَغْرَتْنِيَ الصُّوَرُ
أَخْطَأْتُمُو فَهْمَ نَفْسِي إِنَّنِي بَشَرٌ ... وَمَا بِنَفْسِي إِلَىٰ أَوْطَارِكُمْ نَظَرُ
آمَالُ نَفْسِي بِهَدْيِ النَّاسِ عَلَّقَهَا ... رَبِّي. وَبِالْخُلْدِ حَيْثُ السَّعْدُ وَالظَّفَرُ

○ ○ ○

الْمُصلِحُونَ أَمَانِيهِمْ خَوَالِدُ إِذْ ... تَفْنَىٰ الْأَمَانِي. وَتَفْنَىٰ الْأَرْضُ وَالْعُصُرُ
الْمُصْلِحُونَ مَتَىٰ مَالُوا لِفَانِيَةٍ ... مَاتُوا. وَلَمْ يَبْقَ مِنْ إِصْلَاحِهِمْ أَثَرُ
والْفَانِيَاتُ لِقَلْبِ الْمَرْءِ قَاتِلَةٌ ... والْمُغْرِيَاتُ عَلَىٰ طُولِ الْمَدىٰ كُثُرُ

○ ○ ○

فِدَاكَ يَا دَاعِيَ الرَّحْمٰنِ أَفْئِدَةٌ ... فِيهَا مِنَ الْحُبِّ والْإِيمَانِ مُسْتَعِرُ
صَحَّحْتَ لِلنَّاسِ أَفْهَاماً مُزَيَّفَةً ... وَجِئْتَهُمْ بِحَيَاةٍ جَوُّهَا عَطِرُ
الْخَيْرُ عِنْدَكَ مَوْفُورٌ لِعَالَمِنَا ... لَا يُنْكِرُ الْفَضْلَ إِلَّا جَاحِدٌ أَشِرُ

حَمَلْتَ لِلْعَالَمِ الأَرْضِيّ مُحْكَمَةً ... لَا رَيْبَ فِيهَا هِيَ الآيَاتُ والسُّوَرُ
فَسَوَّتِ النَّاسَ فِي دُنْيَا مَفَاخِرِهم ... شُعُوبُهُمْ شَرَعٌ إذ كُلُّهُمْ بَشَرُ
لَا فَضْلَ لِلْعُرْبِ مِنْ أَجْلِ الْعُرُوبَةِ. لَا ... عُنْصُرِيَاتِ بَيْنَ النَّاسِ تَفْتَخِرُ
لَا فَضْلَ بِالْجِسْمِ مَا فَاقَتْ مَحَاسِنُهُ ... بِشِرْعَةِ اللَّهِ. لَا بَدْوٌ وَلَا حَضَرُ
الْفَضْلُ بِالْعَمَلِ الْمُرْضِي. وَأَكْرَمُنَا ... عِنْدَ الْمُهَيْمِنِ أَتْقَانَا. فَلَا بَطَرُ[1]

ο ο ο

الْمُسْلِمُ الْحَقُّ دُنْيَا دِينِهِ وَطَنٌ ... سَعَادَةُ الرُّوحِ مِنْ عَلْيَاهُ تَنْهَمِرُ
يَعِيشُ فِي جَوِّهِ جَمَّ الرِّضَا جَذِلاً ... بِمُؤْنِسٍ مَا بِهِ مُرٌّ وَلَا كَدَرُ

ο ο ο

الْمُسْلِمُ الْحُرُّ مِثْلُ الطَّيْرِ مَبْدَؤُهُ ... الأَرْضُ لِلَّهِ أَنَّى طِرْتُ لِي وَطَرُ
فَأَيُّمَا بَلَدٍ فِيهَا هَوَىٰ كَبِدِي ... فَإِنَّهَا وطَنِي بِالْمَجْدِ يَزْدَهِرُ
هٰذا الَّذِي نَشَرَ الإِسْلَامُ رَايَتَهُ ... فِي عَالَمٍ كَانَ بِالْبَغْضَاءِ يَسْتَعِرُ
كَانَتْ لَدَيْنَا تَفَاهَاتٌ مُفَرِّقَةٌ ... كُنَّا بِهَا كَالشَّظَايَا حِينَ تَنْتَثِرُ
عِمَادُهَا عَصَبِيَّاتٌ مُنَوَّعَةٌ ... مِنْ كَاذِبَاتِ الرُّؤَىٰ والْوَهْمِ تَعْتَصِرُ
هَذا بِمُقْلَتِهِ الْعَوْرَاءِ مُفْتَخِرٌ ... وَذَاكَ بِالأُذُنِ الصَّمَّاءِ يَفْتَخِرُ
فَوَحَّدَ اللَّهُ بِالإِسْلَامِ أُمَّتَنَا ... وَالْتَمَّ شَمْلٌ وَجَاءَ النَّصْرُ والظَّفَرُ
فَهَلْ لِوَحْدَةِ هَذَا الدِّينِ مِنْ شَبَهٍ ... فِي عَالَمِ الْحِسِّ إلَّا الشَّمْسُ والْقَمَرُ

ο ο ο

هَذَا الَّذِي قَدْ هَجَرْنَاه لِتَبْهِرَ ... وَاحْزَنَنَا. أَيْنَ مِنَّا السَّمْعُ والْبَصَرُ
قُومُوا بِهَا وَحْدَةً كُبْرَىٰ مُشَبَّكَةً ... الْحَقُّ يَدْعَمُهَا. وَالْمِدْفَعُ الْخَطِرُ
بِالْقُوَّةِ الْحَقُّ تَسْتَعْلِي مَبَادِئُهُ ... وَالحَقُّ مِنْ دُونِهَا فِي صِدْقِهِ نَظَرُ

ο ο ο

---

(١) البطر: الكبر وكفر النعمة والطغيان.

عُلُومُ مَنْ كَفَرُوا جَاءَتْ بِمَا طَعَنَتْ ... أَوْ بِـالَّتِي هِيَ لاَ تُبْقِي وَلاَ تَـذَرُ
خَلَتْ مِنَ الْعُنْصُرِ السَّامِي لِعَـالَمِنَا ... فَـلاَ عَـدَالَـةَ عِنْـدَ النَّـاسِ تُنْتَـظَرُ
إِنَّـا نَعِيشُ حَضَـارَاتٍ مُشَـوَّهَـةً ... وَسِيلَةُ الْعَيْشِ فِيهَـا النَّابُ والظُّفُرُ
أَنْيَابُهَا مِنْ صَوَارِيخِ الرَّدَىٰ صُنِعَتْ ... وَظُفْـرُهَـا بِقُـوَىٰ التَّـدْمِيـرِ يَنْفَجِـرُ

○ ○ ○

قَـدْ كَـانَ لِلْعَـدْلِ أَحْكَامٌ مُـطَبَّقَةٌ ... إِذْ كَانَ يَحْمِيهِ فِينَا الصَّارِمُ الـذَّكَرُ
إِنَّـا عَدَلْنَـا بِهِمْ عَـدْلاً نَتِيـهُ بِـهِ ... لَمَّا مَلَكْنا. وَكَمْ خَانُوا وَكَمْ غَدَرُوا
وَإِنَّهُمْ حِينَ جَـاءَتْنَـا جُمُـوعُهُمُـو ... بِالظُّلْمِ قَدْ حَكَمُوا بِالْفَتْكِ قَدْ أَمَرُوا
واسْتَعْمَـرُونَا فَكَـانَ الْهَدْمُ دَيْـدَنَهُمْ ... وَاسْتَعْبَدُونَا. وَقَالُوا: الْعَبْدُ ؟مُحْتَقَرُ
أَهَـؤُلاَءِ نُـرِيـدُ الْعَـدْلَ عِنْـدَهُمُـو ... وَهُمْ سِوَىٰ السَّلْبِ والْعُدْوَانِ مَا مَهَرُوا
لاَ يُنْقِـذُ الْحَقَّ يَوْماً مِنْ بَـرَاثِنِهِمْ ... إِلاَّ السِّـلاَحُ وَجَيْشٌ بَـأْسُـهُ قَـدَرُ
مَنْ يَنْـذِرِ النَّفْسَ لِلْقَهَّـارِ حَـرَّرَهُ ... نَصْرٌ لَدَيْـهِ. وَحِزْبُ اللَّـهِ مُنْتَصِـرُ

○ ○ ○

نَحْنُ الأُولَىٰ نَرْتَقِي مَجْدَ الذُّرَىٰ أَبَداً ... يَهُونُ فِينَا ضَعِيفُ النَّفْسِ مُنْكَسِـرُ
ويُسْتَـذَلُّ جَبَـانُ النَّفْسِ خَـائِـرُهَـا ... كَـزٌّ بِمَا فِيـهِ قَدْ يُسْتَـدْفَعُ الْخَطَرُ

○ ○ ○

آتٍ مَتَىٰ شَـاءَ رَبِّـي يَـوْمُ عِـزَّتِنَـا ... وَإِنْ تَعَـاسَرَتِ الأَحْـوَالُ وَالْغِيَـرُ[1]
يَـوْمٌ نُعِيدُ بِـهِ حُكْمَ الكِتَـابِ إِلَىٰ ... حَيَـاتِنَـا وَبِـهِ تُسْتَجْمَـعُ الْقُـدَرُ
يَـوْمٌ نُجَمِّـعُ فِيـهِ شَمْـلَ أُمَّتِنَـا ... فَـلاَ يُفَـرِّقُنَـا صَـفْـوٌ وَلاَ كَـدَرُ
وَلاَ يُـفَـرِّقُـنَـا لَـوْنٌ وَلاَ بَـلَدٌ ... وَلاَ يُبَـدِّدُنَـا ضِيـقٌ وَلاَ بَـطَرٌ
وَلاَ تُبَـاعِدُنَـا الأَبْحَـارُ مَـا اتَّسَعَتْ ... الْحُبُّ دَانٍ وَإِنْ شَطَّتْ بِنَا الْجُزُرُ

---

(١) الْغِيَرُ: أحداثُ الدَّهْرِ المتغيرة.

وتُصْبِحُ الدُّوَلُ الكُبْرَى مُسَالِمَةً إذْ يَسْتَجِيبُ لِمَا نَدْعُو بِهِ الْقَدَرُ
ومَكْرُ صِهْيَوْنَ يَسْتَخْذِي لِقُوَّتِنَا وَيَهْزِمُ الْجَمْعَ نَصْرُ اللَّهِ والظَّفَرُ

دمشق في ربيع الأول ١٣٧٥ هجرية (٧٠ بيتاً)

١٨

وفي سنة ١٣٨١ هجرية و١٩٦١م أقام أبي رحمه الله تعالى احتفالاً توجيهياً عاماً، دعا إليه جمهوراً كبيراً من الناس، وكانت الدعوة عامّة كعادته في كلّ الاحتفالات التوجيهية الإسلامية التي كان يقيمها، وقد ضم هذا الاحتفال جمهوراً غفيراً.

تحدّث في هذا الاحتفال عدد من تلاميذ أبي الخطباء، أمثال الشيخ حسين خطاب، والشيخ كريم راجح، والدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.

وكنت واحداً منهم إذ شاركت فيه بإلقاء هذه القصيدة التي كنت أعددتها له، وهي بعنوان:

«محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم»

محمد رسول الله
والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم

الْبَيْتُ والْحَـرَمَانِ هَـزَّهُمَا الـطَّرَبْ ... ونَخِيلُ يَثْرِبَ مَسَّهَا الشَّوْقُ اللَّجِبْ(١)

وَحِـراءُ خَفَّـاقُ الْفُـؤَادِ بِشَـوْقِـهِ ... كَلِفٌ عَلَىٰ وَشَكِ اللِّقَاءِ لِمَنْ يُحِبّ

وَأَقَـامَ حُـرَّاسُ الْعِنَـايَـةِ وَالـرِّضَى ... فِي غَـارِ ثَوْرٍ يَهْـزَؤُون بِمَنْ طَلَبْ

○ ○ ○

لِمَنِ الْبِـلَادُ بِـطُولِهَـا وَبِعَـرْضِهَـا ... لَمَعَتْ ضَوَاحِكُهَا عَلَىٰ حُلَلٍ قُشُبْ(٢)

وَبَـدَتْ بِكُـلِّ غَـرِيبَـةٍ وَعَجِيبَـةٍ ... وسَعَىٰ الْخَلَائِقُ يَسْأَلُونَ عَنِ السَّبَبْ

○ ○ ○

فَـإِذَا الَّـذي أَخْفَـاهُ فِي أَسْتَـارِهِ ... جُودُ الْقَضَاءِ هُوَ النَّبِـيُّ مِنَ الْعَرَبْ

هُـوَ ذَا الْوَلِيـدُ بِبَطْنِ مَكَّـةَ مُشْرِقٌ ... هُـوَ ذَا الْيَتِيمُ حَفِيدُ عَبْـدِالْمُـطَّلِبْ

أَخْـوالُـهُ فِـي يَثْـرِبٍ وَعَـمُـودُهُ ... بِعَمُـودِ إِسْمَـاعِيـلَ مُتَّصِـلُ النَّسَبْ

وَضَعَتْـهُ آمِنَـةُ الـطُّهُـورُ وَمَـا دَرَتْ ... أَنَّ الْـوَلِيدَ هُـوَ الرَّسُـولُ الْمُرْتَقَبْ

○ ○ ○

بَسَمَ الْـوَلِيـدُ مُحَمَّـدٌ فِي مَكَّـةٍ ... فَإِذَا بِقَاعُ الْأَرْضِ يَغْمُرُهَا الطَّرَبْ

أَتَتِ الْمَرَاضِعُ يَنْتَقِينَ ذَوِي الْغِنَىٰ ... فَزَهِدْنَ بِالطِّفْلِ الَّذي فقد النَّشَبْ(٣)

أَمَّـا حَلِيمَـةُ فَهْيَ دُونَ رِفَـاقِهَـا ... جَلَبَتْ بِهِ خِصْبَ الْمَرَابِعِ والْحَلَبْ

---

(١) اللَّجِب: ذو الأصوات المختلطة لكثرته وتحركه.

(٢) قُشُبٌ: جمع قَشِيب وهو الجديد، وقد يطلق على البالي فهو من الأضداد.

(٣) النشب: المال الأصيل من الناطق والصامت.

وَتَـرَعْرَعَ الطِّفْلُ الْيَتِيمُ وَمَـا يَـرَىٰ أُمّـاً تُـداعِبُـهُ وَلاَ يُـدْنِيـهِ أَبْ
لَـكِنَّ رَبَّ النَّـاسِ أَدَّبَـهُ فَيَـا نِعْمَ الْمُـؤَدِّبُ لِلْيَتِيـمِ ونِعْـمَ رَبّ

○ ○ ○

نَشأَ الْفَتىٰ فِي بَطْنِ مَكَّـةَ طَاهِـراً مُتَحلِّيـاً بـالْمَكْـرُمَـاتِ وَبِـالأَدَبْ
أَمْـرُ الْفَتىٰ عَجَبٌ فَلاَ هُـوَ حَافِـلٌ بـالْمُلْهِيَـاتِ ولاَ تَبـذُّلَ أَوَ كَـذِبْ
عَـفٌّ كَـرِيمٌ مَـاجِـدٌ وَمُـهَـذَّبٌ إلْفُ الْفَضَائِلِ لاَ تُزَعْزِعُهُ النُّوَبْ[1]
أَتْـرَابُـهُ يَتَقَلَّبُـونَ مَـعَ الْهَـوَىٰ بَيْنَ الْمَـآثِمِ والْمَـلاَهِي واللَّعِبْ
فَـإذَا رَآهُمْ يَسْقُـطُونَ تَـرَفَّعَـتْ نَفْسٌ بِـهِ أَنفاً إِلَىٰ سَامي الـرُّتَبْ
زَانَتْ فَضَـائِلَهُ الأَمَـانَـةُ والْحِجَا والصِّدْقُ والرَّأْيُ الْمُسَـدَّدُ والأَدَبْ
بَعَثَتْـهُ تَـاجِـرَةُ الْحِجَازِ بِمَـالِهَـا أَكْرِمْ بِمَنْ وَفَدَ الشَّـآمَ وَمَنْ جَلَبْ
وَرَأَتْ بِـهِ الشَّهْمَ الْعَفِيفَ الْمُنْتَقىٰ وَرأَتْ بِهِ الأَمَلَ الْمُـرَجَّىٰ وَالطَّلَبْ
فَسَعَتْ لِخِـطْبَتِـهِ وَكَـانَتْ قَبْلَهُ رَفَضَتْ أَيَادِيَ خَيْرِ سَادَاتِ الْعَرَبْ
فَلَنِعْمَ عَقْـلُ خَدِيجَـةٍ فِي قَـوْمِهَـا وَلَنِعْمَ مَخْطُوبُ الرِّجَالِ وَمَنْ خَطَبْ

○ ○ ○

أَيُّ الشَّبَابِ شَبَابُ أَطْهَرِ مَاجِـدٍ؟! مَا نَدَّ عَنْهُ عَظِيمُ خُلْقٍ أَوْ حَسَبْ[2]
جُمِعَتْ لَـهُ غَـايَـاتُ كُـلِّ فَضِيلَةٍ أَرَأَيْتَ أَعْظَمَ مِنْهُ فَضْلاً أَوْ أَحبّ؟
زَوْجٌ وَمَـا عَـرَفَ النِّسَـاءُ نَظِيـرَهُ بِكَـرِيمِ عِشْـرَتِـهِ وَوُدٍّ أَوْ حَـدَبْ
فَـاقَ الـرِّجَـالَ كَـرامَـةً وَحَصَـافَـةً قُـزُمٌ[3] لَـدَيْـهِ الْعَبْقَـرِيُّـونَ النُّجُبْ
وَسَمَتْ بِهِ النَّفْسُ الرَّفِيعَةُ لِلْعُلاَ[4] وَأَتَىٰ حِـرَاءَ يَهُزُّ أَطْـرَافَ الْحُجُبْ

---

(١) النُّـوَب: جمع نائبة وهي النازلة من حوادث الدهر والمصيبة.
(٢) الْحَسَبُ: يطلق على مَا يَعدُّه الإنسان من مفاخره، وعلى الكرم والديـن والمال ونحو ذلك.
(٣) قُزُم: جَمْعُ قَزَم، ويجمع أيضاً على أقزام.
(٤) الْعُلاَ: جَمْعُ الْعَلْيَاء.

إنْ سَاجِداً لِلَّهِ أَوْ مُتَفَكِّراً   في الكَوْنِ فِي الأَفْلاَكِ عَبْرَ الْمُحْتَجِبْ
فِي الصُّبْحِ. فِي الشَّمْسِ الْمُنِيرَة. في الضُّحَىٰ
فِي الطَّلِّ. فِي النَّوَّارِ[1]. فِي الرَّعْدِ اللَّجِبْ
فِي النَّخْلِ يَسْمُقُ. فِي النَّضِيدِ بِطَلْعِهِ   فِي الذِّئْبِ يَهْجُم. فِي الْقَطِيعِ الْمُضْطَرِبْ
مُتَأَمِّلاً فِي نَفْسِهِ مُتَطَلِّعاً   نَحْوَ الْغُيُوبِ بِقَلْبِهِ السَّامِي الأَرِبْ[2]
فَإِذَا الْغُيُوبُ يُزَاحُ مِنْ أَسْتَارِهَا   سِتْرٌ بَدَا جِبْرِيلُ مِنْهُ واقْتَرَبْ
وَأَتَىٰ إِلَىٰ صَدْرِ الْحَبِيبِ يَضُمُّهُ   ضَمّاً بِهِ شَوْقٌ وإِعْدَادٌ وَحُبّ
أمحمدُ: اقْرأ. وَهْوَ لَيْسَ بِقَارِئٍ   أُمِّيٌّ مَا قَرأَ الْخُطُوطَ وَلاَ كَتَبْ
هُوَ نَفْسُهُ نَامُوسُ عِيسَىٰ قَبْلَهُ   يُوحِي لَهُ آيَاتِ خَاتِمَةِ الكُتُبْ

○ ○ ○

رَجَعَ النَّبِيُّ لِزَوْجِهِ يَحْكِي لَهَا   مَا قَدْ رَأَىٰ وَتَهزُّهُ حُمَّى الرَّهَبْ
أَلْقَتْ عَلَيْهِ دُثُورها وحَنَتْ عَلَىٰ   قَلْبٍ كَبِيرٍ بَيْنَ جَنْبَيْهِ يَجِبْ[3]
قَالَتْ: حَبِيبِي لاَ تَخَفْ واللَّهِ لَنْ   تَخْزَىٰ وَأَنْتَ عَنِ الْمَكَارِمِ لَمْ تَغِبْ
اللَّهُ رَبُّكَ لَنْ يَضُرَّكَ طَارِقٌ   فِي الْغَيْبِ سِرٌّ لِلْبَرِيَّةِ مُرْتَقَبْ

○ ○ ○

وَتَبَاطَأَ الْوَحْيُ الْكَرِيمُ وَشَيَّعُوا   أَنَّ الإِلٰهَ قَلاَهُ. أَوْ عَنْهُ رَغِبْ
واشْتَدَّ شَوْقُ الْمُصْطَفَىٰ حَتَّىٰ عَلاَ   بَعْضَ الشَّوَاهِقِ يَسْتَزِيدُ بِهَا الْقُرَبْ
هُوَ حُبُّهُ لِلَّهِ أَشْعَلَ قَلْبَهُ   شَوْقاً لِوَحْي سَفِيرِهِ لَمَّا احْتَجَبْ
وَالْحُبُّ يَفْتَرِسُ الْقُلُوبَ بِمِخْلَبٍ   فَإِذَا اسْتَبَدَّ بِهِنَّ عَصَّرَهَا وعَبّ

○ ○ ○

---

(١) النَّوَّار: الزهر.
(٢) الأَرِب: البصير العاقل الماهر.
(٣) وَجَب القلْبُ يَجِبُ وجْباً وَوَجِيباً: إذَا خفق.

لَا والضُّحىٰ، مَا كَانَ رَبُّكَ قَالِياً لَكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ حِبُّ نَسْلُ حِبّ

○ ○ ○

قُمْ وَادْعُ لِلدِّينِ الْقَـوِيمِ بِحِكْمَـةٍ مَـا أَنْتَ إلَّا رَحْمَـةٌ لِمَنِ اقْتَـرَبْ
مَا أَنْتَ إلَّا خَاتَمُ الـرُّسُلِ الّـذي عَمَّتْ رِسَـالَتُـهُ الْخَـلَائِقَ والْحِقَبْ

○ ○ ○

أَنْـذِرْ عَشِيرَتَـكَ الْقَرِيبَـةَ واصْـطَبِـرْ مَهْمَا لَقِيتَ مِنَ الْعِدا فَلَكَ الْغَلَبْ
فَلَربَّمـا قَـالُـوا: امْـرُؤٌ ذُو جِنَّـةٍ وَلَـرُبَّمَا اتَّهَمُـوا حَدِيثَـكَ بِالكَـذِبْ
وَلَـرُبَّمَـا زَعَمُـوا بِـأَنَّـكَ سَـاحِـرٌ أَوْ شَاعِرٌ أَوْ أَنْتَ تَـطْمَعُ بـالذَّهَبْ
أَوْ رَاغِـبٌ بِـكَـرِيـمَـةٍ فَتَّـانَـةٍ فِي حُسْنِها أَوْ طَالِبٌ مُلْكَ الْعَرَبْ
وَلَـرُبَّـمَـا أَلْقَـوْا عَلَيْـكَ مِنَ الْأَذىٰ وَرَمَوْا دُرُوبَكَ بِالْحِجَارَةِ وَالْحَـطَبْ
فاصْبِرْ عَلَىٰ ظُلْمِ الْأَقَارِبِ واحْتَمِلْ مِنْ قَوْمِكَ الْأَدْنَيْنِ قَاسِيَةَ الْكُـرَبْ
وَالْجَـأْ إِلَىٰ الْمَـوْلَىٰ بِقَلْبٍ طَـاهِـرٍ فَالنَّصْرُ عُقْبَـىٰ الصَّابِرِينَ عَلَىٰ النُّوَبْ
الصَّبْـرُ خَيْـرُ وَسِيلَةٍ يُجْنَىٰ بِهَـا حُلْوُ النَّجَاحِ كَجَنْيِ عُنْقُودِ الْعِنَبْ

○ ○ ○

أَنْتَ الـرَّسُولُ الْمُصْـطَفَىٰ بِرِسَـالَةٍ تَأْتِي بِأَشْتَـاتِ الشُّعُوبِ إِلَىٰ كَثَبْ
لَا فَضْـلَ فِي أَلْـوَانِهِمْ ولُغَـاتِهِمْ كُـلٌّ لِآدَمَ والتُّـرَابِ وَخَلْقِ رَبّ
الْفَضْلُ فِي الْإِيمَانِ والتَّقْوىٰ وفِي عَمَلٍ بِهِ فِي النَّاسِ تَخْتَلِفُ الرُّتَبْ

○ ○ ○

وَقَفَ النَّبِيُّ عَلَىٰ الصَّفَا وَدَعَا إِلَىٰ دِينِ الْمُهَيْمِنِ لَا لِمَجْدٍ أَوْ نَشَبْ
يَنْبُـوعُ رَحْـمَتِـهِ تَـفَجَّـرَ دَافِـعـاً كَيْ يَهْتَدُوا. كَيْ يَتَّقُوا ذَاتَ اللَّهَبْ
قَدْ كَادَ تَذْهَبُ نَفْسُهُ حِـرْصاً عَلَىٰ إِسْلَامِهِمْ مِمَّـا لَـدَيْـهِ مِنْ حَـدَبْ
هَيَّا اقْبَلُوا دِيناً بِهِ كُلُّ الْهُدَىٰ إِنِّي أُنَـاشِـدُكم بِـإِخْـلَاصٍ وَحُبّ
دِينَـاً بِـهِ لِلنَّـاسِ كـلُّ قَـوِيمَـةٍ وَبِـهِ لِأَدْواءِ الْخَـلَائِقِ كُـلُّ طِبّ

○ ○ ○

مَـا قَـالَ إلاَّ صَـادِقـاً وَمُـبَلِّغـاً ... عَنْ رَبِّهِ. مَا قَطُّ حـرَّفَ أَوْ كَذَبْ
وَلَـرُبَّ آذَانٍ تُـصَمُّ عَـنِ الْهُـدَىٰ ... وَلَـرُبَّ أَجْسَـادٍ تُشَـابِهُهَـا الْخُشُبْ
فَـأَجَابَـهُ الـرَّجُـلُ اللَّئِيمُ أَبُـو لَهَبْ ... تَبَّتْ يَدَاكَ: أَذَا هُوَ الأَمْرُ الْعَجَـبْ؟!
مِنْ أَجْـلِ ذَا جَمَّعْتَنَـا وَدَعَـوْتَنَـا ... هَذَا هُوَ الْعَمَلُ الْهُرَاءُ وَذَا الْكَذِبْ
تَـاللَّـهِ بَـلْ تَبَّتْ يَـدَاكَ أَبَـا لَهَبْ ... وَصَلِيتَهُ يَـا زَوْجَ حَـامِلَةِ الْحَـطَبْ

○ ○ ○

وَسَعَىٰ رَسُـولُ اللَّـهِ يَنْشُـر دِينَـهُ ... جَلْداً صَبُـوراً فِي الْأَذِيَّةِ والنَّصَبْ
عَـادَاهُ أَقْـرَبُ قَـوْمِـهِ وَتَجَمَّعُـوا ... لِقِتَـالِـهِ وَلَكَمْ أُهِينَ وَكَمْ كُـذِبْ
لَا يَبْتَغِي الـدُّنْيَـا وَلَا أَحْسَـابَهَـا ... وَلِـرَبِّـهِ فِي كُـلِّ أَمْـرٍ قَـدْ رَغِبْ
عُـرِضَتْ عَلَيْـهِ عُـرُوشُهَـا فَـأَذَلَّهَـا ... بِـإِبَائِـهِ وأَبَـىٰ الـزَّعَـامَـةَ والـذَّهَبْ
وَإِذَا أَتَـاهُ الْمَـالُ جَـادَ بِـهِ كَمَـا ... صَبَّتْ حُمُـولَتَها فَـافْرَغَتِ السُّحُبْ
النَّفْسُ إِنْ عَظُمَتْ تَصَاغَرَتِ الدُّنَىٰ ... فِي عَيْنِهَا وَبَدَتْ لَهَا مِثْلَ الْحَصَبْ
قَـادَ الكَتَائِبَ لِلْعُـلَا وَبِهَـا امْتَـطَىٰ ... صَهَـوَاتِهَا وَعَفَـا وَلَانَ ومَـا غَضِبْ
نَـصَـرَ الْإِلَـهُ مُـحَـمَّـداً وَأَعَـزَّهُ ... بِالْخِيرَةِ الْأَطْهَـارِ مِنْ عَرَبٍ نُجُبْ
لَمْ يَعْـرِفِ التَّارِيخُ أَكْـرَمَ مَحْتِـداً ... مِنْهُمْ وَلَا أَمْضَىٰ إِذَا حَمَلُوا الْقُضُبْ[1]
هَـزِئُوا بِكُـلِّ كَرِيهَـةٍ نُـدِبُـوا لَهَـا ... فِي اللَّـهِ واسْتَحْلَوْا عَلَىٰ الكُرْهِ الْعَطَبْ[2]
وَفَـدَوْا نَبِيَّهُمُـو بِـكُـلِّ رَغِيبَـةٍ ... وَحَبِيبَةٍ مِنْ أَنْفُسٍ أَوْ مِنْ نَشَبْ[3]
آَسْـوَاؤُهُـمْ تَبَـعٌ لَـهُ فِي أَمْـرِهِ ... أَوْ نَهْيِـهِ لَا يَسْأَلُـونَ عَنِ السَّبَبْ
إِنْ يَـرْغَبُـوا فَـلِأَنَّـهُ هُـوَ رَاغِبٌ ... أَوْ يَغْضَبُـوا فَلِأَنَّـهُ هُوَ قَـدْ غَضِبْ
صُبُرٌ عَلَىٰ خَوْضِ الْمَكَارِهِ أَنْفُسٌ ... لَا تَسْتَكِينُ. وَأَعْـظُمٌ لَا تَضْـطَرِبْ
فَكَـأَنَّهُمْ قِطَعُ الْحَـدِيدِ يَسُوقُهَـا الـــقَدَرُ الْعَظِيمُ فَلَيْسَ يُوهِنُهَا الـرَّهَبْ

---

(١) القُضُبْ: جمع القضيب، وهو السيف اللطيف الدقيق.
(٢) العطب: الهلاك.
(٣) النشب: المال الأصيل من كلّ ناطق وصامت.

إنْ تَلْقَ وَاحِدَهُمْ تَجِدْهُ بِمَسْجِدٍ حَمَلاً وَكاللَّيْثِ الْهَصُورِ إِذَا رَكِبْ
حَرَسُوا رِسَالَةَ رَبِّهِمْ بِنُفُوسِهِمْ فَكَأَنَّهُمْ فَوْقَ الشَّيَاطِينَ الشُّهُبْ
حَمَلُوا بِأيدِيهِمْ وَثَائِقَ نَصْرِهِمْ هِبَةً مِنَ الرَّحْمَنِ أَكْرَمِ مَنْ وَهَبْ
طَلَبُوا النَّوَاصِيَ فَاتِحِينَ بِعَدْلِهِمْ وَيَدُ الْعِنَايَةِ رَافَقَتْهُمْ فِي الطَّلَبْ
فَإِذَا جُيُوشُ عَدُوِّهِمْ بَدَدٌ بِهِمْ وَاللَّهُ أَيَّدَهُمْ بِمَقْضِيِّ الْغَلَبْ
وَإِذَا بِفَارِسَ فِي شَوَامِخِ مُلْكِهَا بَيْتٌ رَمَتْهُ الرِّيحُ مَقْطُوعُ الطُّنُبْ
وَالرُّومُ أَمْسَتْ فِي تَلِيدِ عُرُوشِهَا بَدَداً كَرِيحِ اللَّهِ بَدَّدَتِ الْكُثُبْ[1]
مَا كَانَ مِنْ غَلَبٍ وَنَصْرٍ حَاسِمٍ إِلَّا يَدُ الرَّحْمَنِ عُدَّةُ مَنْ غَلَبْ

○ ○ ○

نَحْنُ الْأُولَى حَمَلُوا الْمَكَارِمَ وَالْهُدَى لِلنَّاسِ بِالْخُلُقِ الْكَرِيمِ وَبِالْأَدَبْ
دُسْتُورُنَا مِنْ رَبِّنَا وَكِتَابُنَا قَوْلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ قُرْآنٌ عَجَبْ
فِيهِ الْبَيَانُ وَفِيهِ غُنْيَةُ كُلِّ مَنْ طَلَبَ السَّعَادَةَ ثُمَّ سَارَ لِمَا طَلَبْ
مَرَّتْ عَلَى الدُّنْيَا مَبَادِئُ جَمَّةٌ وَتَقَلَّبَتْ فِيهَا بِأَثْوَابٍ قُشُبْ
ثُمَّ اسْتَبَانَتْ لِلْعُقُولِ زُيُوفُهَا فَمَضَتْ غُثَاءً لَيْسَ يُمْسِكُهَا سَبَبْ
وَالْفَخْرُ فِي الْإِسْلَامِ أَنَّ كِيَانَهُ أَبَداً بِرَيْعَانِ الشَّبَابِ الْمُلْتَهِبْ
لَكِنَّنَا لَمَّا هَجَرْنَا دِينَنَا شَابَتْ عَزَائِمُنَا وَهَدَّدَنَا الْحَرَبْ[2]
وَتَحَكَّمَ الْبَاغُونَ فِي أَرْجَائِنَا وَتَقَاسَمُوا الْأَشْلَاءَ مِنَّا وَالسَّلَبْ
فَالشَّيْبُ فِي عَزَمَاتِنَا وَكِيَانِنَا وَقُلُوبِنَا وَالدِّينُ شَرْخٌ[3] لم يَشِبْ

دمشق في ربيع الأول ١٣٨١ هجرية **(١٠١ أبيات)**

---

(١) الكُثُب: جمع كثيب، وهو الكوم من الرمل الناعم.
(٢) الحَرب: السّلب، يقالُ: حَرَبهُ حَرَباً إذا سَلَبَهُ ماله.
(٣) الشّرخ: أول الشباب.



١٩

وفي احتفال توجيهي دعا إليه أبي رحمة الله عليه ومغفرته ورضوانه في سنة ١٣٨٢ هجرية و١٩٦٢م تحدّث عدد من تلاميذ أبي الخطباء، وكنت واحداً منهم إذْ أعددت له القصيدة التالية، التي ألقيتها فيه، وهي بعنوان:

«رسول ورسالة ومستجيبون»

رَسُولٌ وَرِسَالَةٌ ومُسْتَجِيبون

سَيِّدُ الْخَلْقِ وَفَخْرُ الْمَشْرِقِ   وَضِيَاءٌ زَانَ وَجْهَ الْأُفُقِ

وَهُدَى النَّاسَ لِأَخْلَاقٍ غُرَرْ

وَلِمَجْدٍ صِينَ فِي كَفِّ الْقَدَرْ

لَمْ يُبَحْ إِلَّا لِسَادَاتٍ دُرَرْ

حَمَلُوا الْقُرْآنَ حَمْلَ الْمُدَّكِرْ

وَمَشَوْا كَالظِّلِّ فِي رَكْبِ النَّبِي

أَشْرَفِ الْخَلْقِ وَخَيْرِ الْعَرَبِ

سَيِّدِ النَّاسِ كَرِيمِ النَّسَبِ

خَاتَمِ الرُّسْلِ عَظِيمِ الْأَدَبِ

مَنْ حَبَاهُ اللَّهُ مِنْ بَيْنِ الْبَشَرْ   أَرْفَعَ الْمَجْدِ وَأَسْمَى الْخُلُقِ

○ ○ ○

يَا رَسُولاً جِئْتَ بِالنُّورِ الْعَظِيمْ   فِي ضِيَاءٍ أَحْرَقَ اللَّيْلَ الْبَهِيمْ

فِي نِظَامٍ بَدَّدَ الشَّرَّ الْجَسِيمْ   وَمَحَا مِنْ أَرْضِنَا الْجَهْلَ الْمُقِيمْ

وَضَلَالَ الرَّأْيِ وَالْفِعْلَ السَّقِيمْ   وَفَسَادَ الْحُكْمِ والْعِزَّ الْأَثِيمْ

وَتَقَالِيدَ كَأَكْوَامِ الْهَشِيمْ   وَحَمَى النَّاسَ مِنَ الظُّلْمِ الْقَدِيمْ

وَنَفَى تَضْلِيلَ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ

○ ○ ○

فَهَفَا الْعَالَمُ نَحْوَ الْمَشْرِقِ   مَصْدَرِ النُّورِ وَنَبْعِ الْفَلَقِ

فِي سِبَاقِ الْعِلْمِ لِلْعِزِّ الْأَغَرّ

لِحَضَارَاتٍ بِهَا مَجْدُ الْبَشَرْ

لِسَلَامٍ وَلِعَدْلٍ مُزْدَهِرْ
لإِخَاءٍ بَيْنَ بَدْوٍ وَحَضَرْ
لامْتِزَاجِ الْعُجْمِ ضِمْنَ الْعَرَبِ
وَحْدَةً تَسْعَىٰ لِأَعْلَىٰ الرُّتَبِ
إِخْوَةً يَجْمَعُهُمْ حُبُّ النَّبِيِّ
فَغَدَا تَارِيخُهُمْ فِي الْحِقَب
وَغَدَتْ أَمْجَادُهُمْ بَيْنَ الْبَشَرْ   مِلْءَ أَكْبَادٍ وَمِلْءَ الْحَدَقِ

○ ○ ○

يَا نَبِيًّا أَنْتَ ذُو الْخُلْقِ الْعَظِيمْ   رَحْمَةٌ لِلنَّاسِ مِنْ رَبٍّ رَحِيمْ
قُمْتَ تَدْعُو لِصِرَاطٍ مسْتَقِيمْ   بِجَمِيلِ الْوَعْظِ والْقَوْلِ الْحَكِيمْ
طُهْرُ نَفْسٍ ضِمْنَهَا قَلْبٌ حَلِيمْ   لِينُ طَبْعٍ دُونَهُ مَرُّ النَّسِيمْ
دُرُّ أَخْلَاقِكَ فِي عِقْدٍ نَظِيمْ   كُلُّ مَا فِيهِ فَرِيدٌ وَكَرِيمْ
طَوَّقَ الإِنْسَانَ بِالْمَجْدِ الْعَظِيمْ

○ ○ ○

رَبُّنَا اخْتَارَكَ فِي حِكْمَتِهِ   لِتَؤُمَّ النَّاسَ فِي شِرعَتِهِ
شِرْعَةِ الإِسْلَامِ دِينِ المرسَلِينْ
جَامِعِ الْخَيْرِ لِكُلِّ الْعَالَمِيْنْ
كُلُّ مَا يَحْوِيهِ حَقٌّ وَيَقِينْ
لَا هَوىً فِيهِ. بَلِ الْعَدْلُ الْمُبِينْ
إِنَّهُ الإِسْلَامُ مُحْيِي الْأُمَمِ
مُكْرِمُ السِّفْرِ بِهِمْ والْقَلَمِ
بَاعِثُ الْعَقْلِ لِفَهْمِ الْحِكَمِ
مُجْزِلُ الْمَجْدِ لِمَاضِي الْهِمَمِ
مَنْ رَأَى الْعِلْمَ سَبِيلَ الْمُؤْمِنِينْ   فَدَرَىٰ الصَّانِعَ مِنْ صَنْعَتِهِ

○ ○ ○

إِنَّـهُ الإِسْـلَامُ حَـقٌّ لَا يَحُـورْ سَامِقُ الْبُرْهَانِ فِي كُلِّ الْعُصُـورْ
نَهَـرٌ يَـدْفُقُ بِـالْخَيْـرِ الْغَـزِيْـرِ رَوْضَـةٌ تَشْـرَحُ بـالنَّفْـحِ الصُّـدُورْ
رُبَّمَـا قَـدْ جَـرَّبَ النَّاسُ الْكَثِيْـرْ مِنْ قَـوَانِينَ عَلَىٰ كَـرِّ الْـدُهُـورْ
فَـإِذَا صَـارُوا إِلَىٰ حَقٍّ خَـطِيْـرِ شَاهَدُوا الإِسْـلَامَ فِي ذَاكَ الْمَصِيرْ
إِنَّـهُ تَنْـزِيـلُ ذِي الْعَـرْشِ الْقَـدِيـرْ

○ ○ ○

يَـا نَـبِـيَّـاً كَـانَ فِـي أُمَّـتِـهِ مِثْـلَ بَـدْرِ التِّمِّ فِي طَـلْعَـتِـهِ
قُـدْتَ جَيْشَ اللَّـهِ جَيْشَ الْمُتَّقِينْ
لِـجِهَـادِ الْكُفْـرِ بَيْنَ الْكَـافِـرِينْ
وَكِفَـاحِ الـظُّلْمِ عِنْـدَ الـظَّالِمِيـنْ
وَإِقَـامِ الْعَـدْلِ بَيْـنَ الْعَـالَـمِيـنْ
وَلِـمَحْـوِ الْجَـهْـلِ بَـيْـنَ الأُمَـمِ
وَلإِيـمَـانٍ بِـرَبِّ الـنَّـسَـمِ
وَلِـتَـوْحِـيـدٍ وَكَـسْـرِ الـصَّـنَـمِ
وَلِـسَحْـقِ الـشَّـرِّ تَـحْـتَ الْـقَـدَمِ
وَلِتَحْـرِيمِ الـرِّبَـا فِي الْمُسْلِمِينْ وَلِـحِفْظِ الـنَّـاسِ مِنْ شِـقْـوَتِـهِ

○ ○ ○

وَلِمَنْعِ النَّاسِ مِنْ شُرْبِ الْخُمُورْ وَلِـطَرْدِ الْفُحْشِ عَنَّـا والْفُجُـورْ
وَلإِبْـعَـادِ الـرَّزَايَـا والـشُّـرُورْ ولِهَـدْمِ العُجْبِ فِينَـا والـغُـرُورْ
وَلِمَنْـعِ الشَّتْمِ والْقَـذْفِ الْحَقِيـرْ وَلِكَشْفِ الْبُـؤْسِ عَـنْ كُلِّ فَقِيـرْ
وَلإِسْعَـافِ ذَوِي الضُّـرِّ الْمَـرِيـرْ وَلِفَـرْضِ الْحَقِّ فِي كُـلِ الأُمُـورْ
وَلِمَـلْءِ الأَرْضِ بـالْعِلْمِ الْمُنِيـرْ

○ ○ ○

تَـاجُ مَـجْـدِ لـلنُّـجُـومِ الْأُوَّلِ   رُفْقَـةِ الْمُخْتَارِ خَيْـرِ الـرُّسُـلِ

قَـادَةِ الـزَّحْفِ إِلَىٰ عَـالِي الْقِمَمْ
سَـادَةِ الْإِصْـلَاحِ مِـنْ بَيْـنَ النَّـسَمْ
كُـلُّ أَهْـلِ الْأَرْضِ قُـرْبىٰ وَرَحِمْ
عِـنْـدَهُمْ مَـا بَيْنَ عُـرْبٍ وَعَـجَـمْ

كُـلُّهُـمْ يُـنْـمَـىٰ لِآدَمَ الْأَبِ
وَهْـوَ بِـالـتُّـرْبِ عَـرِيقُ الـنَّـسَبِ
ثُـمَّ هُمْ لِلتُّـرْبِ فِي الْـمُـرْتَقَبِ
ثُـمَّ هُـمْ لِـلَّـهِ فِي الْـمُـنْـقَـلَبِ

إِنَّـهُ يُـجْـزِي بِـعَـدْلٍ وَكَـرَمْ   زِنَـةَ الْقَـوْلِ وَكُفْءَ الْعَـمَـلِ

○ ○ ○

سَـادَةٌ مِنْ عَـرَبٍ سُمْـرِ الْجُلُودْ   هَـجَرُوا الـدُّنْيَـا لِجَنَّـاتِ الْخُلُودْ
آمَنُـوا بِـالْحَقِّ والْحُكْمِ الـرَّشِيـدْ   فَمَضَوْا كَالشُّهْبِ فِي كُـلِّ الْحُشُودْ
وَأَزَاحُـوا كُـلَّ جَـبَّـارٍ عَنِـيْـدْ   كَمْ سَطَا فِي الْأَرْضِ بِالْقَهْرِ الشَّدِيدْ
سَاقَ مَنْ فِي حُكْمِهِ سَوْقَ الْعَبِيدْ   واسْتَبَـدَّتْ يَـدُهُ فِيمَـا يُـرِيـدْ

وَطَغَىٰ طُغْيَـانَ شَيْـطَانٍ مَـرِيـدْ

○ ○ ○

غَـامَـرُوا فِي كُـلِّ خَطْبٍ جَلَلِ   أَنْجَـبُـوا كُـلَّ عَـظِيمٍ بَـطَلِ

حَـمَلُوا دَعْـوَتَـهُـمْ بَـيْـنَ الْأُمَـمْ
دَعْـوَةَ الْـقُـرْآنِ قُـدْسِيِّ الْـكَـلِمْ
دَعْـوَةَ الـسِّلْمِ إِذَا الْـحَـقُّ حَـكَـمْ
دَعْوَةَ السَّيْفِ إِذَا الشَّرُّ جَثَمْ. أَوْ هَجَمْ

وَسَعَوْا فِي جَمْعِ شَمْلِ الْعَرَبِ
بِكِتَابِ اللَّهِ أَوْ بِالقُضُبِ
بِجَمِيلِ الْهَدْيِ أَوْ بِالْغَلَبِ
بَعْدَ تَمْزِيقٍ مِنَ الْمُغْتَصِبِ
كَانَ فِيهِ الْعُرْبُ نَهْباً لِلأُمَمْ　　مِزَقاً مَقْذُوفَةً فِي الْوَحَلِ

○ ○ ○

فَالْتَقَوْا فِي وَحْدَةٍ تَنْفِي الْحُدُودْ　　قَدْ سَقَاهَا اللَّهُ مِنْ مَاءِ الْخُلُودْ
وَأَقَامُوا دَوْلَةَ الدِّينِ الرَّشِيدْ　　دَوْلَةَ الْقُرْآنِ والْحُكْمِ السَّعِيدْ
دَوْلَةً بَارَكَهَا الرَّبُّ الْمَجِيدْ
وَمَشَوْا فَاكْتَسَحُوا كُلَّ السُّدُودْ　　وَرَمَوْا فِي الْبَحْرِ أَغْلَالَ الْعَبِيدْ
بَعْدَ حُكْمِ الرُّومِ فِي مَاضِي الْعُهُودْ　　بَعْدَ سُلْطَانٍ مِنَ الْفُرْسِ مَدِيدْ
وَعَلَىٰ سُؤْرِهِمَا أَحْبَاشُ سُودْ

○ ○ ○

لَمْ يَقُولُوا: أَنَا مَكِّيٍّ جَلِي　　أَنَا مِنْ يَثْرِبَ فِي عِزٍّ عَلِيّ
أَنَا فِي مَجْدِيَ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنْ
أَنَا مِصْرِيٌّ فَخُورٌ بِالْوَطَنْ
أَنَا مِنْ نَجْدٍ عَرِيقٌ بِالْفِطَنْ
أَنَا مِنْ شَامٍ وَبَغْدَانَ وَمِنْ..
مَا تَعَزَّوْا بِعَزَاءٍ جَاهِلِيْ
مَجْدُهُمْ قَدْ كَانَ بِالْفَضَائِلِ
إِنَّ مَجْدَ الْعِرْقِ مَجْدُ الْجَاهِلِ
فَكُؤُوسُ السَّبْقِ لِلْأَوَائِلِ
إِنَّ دِينَ اللَّهِ قَدْ عَلَّمَهُمْ　　أَنَّ كَسْبَ الْمَجْدِ صَيْدُ الْعَمَلِ

○ ○ ○

هَكَـذَا كَـانَتْ مَفَـاهِيمُ الْعَـرَبْ   حِينَ قَـادُوا جَحْفَلَ الْحَقِّ اللَّجِبْ
حِينَ سَـاسُـوا خَيْرَ سُلْطَانٍ غَلَبْ   ثَـابِتِ الْأَوْتَـادِ مَفْتُـولِ الـطُّنُبْ
رَاسِـخِ الْأَرْكَـانِ مَعْقُـودِ الْقُبَبْ   إِذْ أَقَـامُـوا دَوْلَـةً فِيهَـا الـرَّغَبْ
وَبِـهَـا لِلْمُـعْتَـدِي سَيْفُ رَهَبْ   وَبِـهَـا عَـدْلٌ وَإِنْـصَـافٌ وَحُـبّ
وَأُصُـولُ الْحُكْمِ فِيهَـا شَـرْعُ رَبْ

○ ○ ○

فَتَحُـوا الـدُّنْيَـا بِعَـزْمٍ أَكْمَـلِ   وَبِـفَـضْـلٍ وَبِـخُـلْقٍ أَمْـثَـلِ
وَأَجَـادُوا عَـرْكَ هَـامَـاتِ الـزَّمَـنْ
وَاعْـتَلَوْا صَهْـوَةَ قَـرْنٍ بَعْـدَ قَـرْنْ
وَأَلاَنُـوا كُـلَّ قَـاسٍ لَـمْ يَـلِنْ
وَبِعَـزْمٍ طَـوَّعُـوا أَعْصَـىٰ الْفِتَـنْ
كُـلُّهُـمْ يَـرْقُبُ مَكْـرَ الصَّـائِـلِ
نَـاظِـرِ الْغِـرَّةِ فِي الْـمَعَـاقِـلِ
يَـخْـدَعُ الْـحُـرَّاسَ بِـالتَّـغَـافُـلِ
ثُمَّ يَـرْمِي السَّهْـمَ فِي الْمَقَـاتِـلِ
خَـائِنـاً يَخْـدُمُ بِـالْمَـالِ الْعَفِنْ   غَـايَـةً فِي نَفْسِ عَـادِي الـدُّوَلِ

○ ○ ○

ثُـمَّ دَارَ الـدَّهْـرُ دَوْرَاتِ أَسَـىً   قَـدْ أَحَـاطَتْنَـا بِلَيْـلٍ أَلْيَـلِ
دَاؤُنَـا أَنَّـا تَـرَكْـنَـا دِيـنَـنَـا   وانْـخَـدَعْنَـا بِخَبِيثِ الْـحِيَـلِ
وَاسْـتَجَبْـنَـا لِـخِـدَاعِ الـدُّوَلِ
فِي دِيَـارِ الكُفْرِ مَكْـرٌ مُحْتَجِبْ   رُبَّـمَـا نَـفَّـذَهُ بَـعْضُ الْـعَرَبْ
رُبَّـمَـا أَيَّـدَهُ بَـاغِـي الـذَّهَـبْ   رُبَّـمَـا أَلْقَىٰ عَلَىٰ النَّـارِ الْـحَـطَبْ

رُبَّمَا مَسْجِدُ ضُرٍّ قَدْ نُصِبْ بِيَدِ الإِثْمِ لِغَدْرٍ مُرْتَقَبْ
لِيَسُودَ الكُفْرُ أَقْطَارَ الْعَرَبْ يَا عَبِيدَ الكُفْرِ مِن أَجْلِ الذَّهَبْ
إِنَّ دَاءَ الكُفْرِ مِنْ دَاءِ الْكَلَبْ

دمشق في سنة ١٣٨٢ هجرية (١٢٤ بيتاً)

٢٠

استشرت النزعة القومية المسرفة في البلاد الشامية، وأخذت طريقاً علمانياً، وأعلنت حرباً ظالمة ضدّ طائفةٍ من المبادىء الإسلامية، لا سيما فكرة وحدة الأمة الإسلامية.

ولّما استطاع القوميون الظفر بالسلطة أخذوا ينكّلون بالمستمسكين بمبادئهم الإسلامية.

ورأى دعاة القومية بعد الاستيلاء على السلطة أن القومية فارغة من المحتوى الصالح لأن يكون منهج حياة، أو يكون عقيدة عن الوجود والكون والحياة والنشأة والمصير، فاتجهوا يستوردون المبادىء والمذاهب الفكرية والاجتماعية من الشرق ومن الغرب، ويطاردون الفكر الإسلاميّ والمبادىء الإسلامية بعنف وقسوة وديكتاتورية صارمة، وفي هذه المعركة كان الإسلاميون يناضلون نضالاً فكريّاً لا يملكون معه سلطة ولا سلاحاً، وكانت وسيلتهم مجرّد إقناع الجماهير بالإسلام، وبفساد هذه النزعة القومية المسرفة، حفظاً لهم من التأثر بالوافدات الفكرية المفروضة عليهم.

وفي احتفال توجيهي أقامه أبي رحمة الله عليه سنة ١٣٨٣ هجرية و١٩٦٣م وخطب فيه عدد من تلاميذه، ألقيت هذه القصيدة إذ كنت أعددتها له، وهي بعنوان:

«قومي والإسلام»

قومي والإسلام

قَدْ سَادَ أَمْرٌ خَطِيرُ   تَضِيقُ مِنْهُ الصُّدُورُ
يَسْرِي بِكُلِّ عَجِيبٍ   مِنْ بَاطِلٍ وَيَسِيرُ
مَكْرٌ بِقَوْمِي خَبِيثٌ   وَشَرُّهُ مُسْتَطِيرُ
صَاغَتْهُ أَيْدِي الْأَعَادِي   حَيْثُ الرَّدَى والْفُجُورُ
لِيَعْزِلُوا الدِّينَ عَنَّا   فَلَا يُجِيرَ مُجِيرُ
قَوْمِيَّةٌ صَنَعُوهَا   كَيْ يُفْتَنَ الْمَغْرُورُ
أَرْكَانُهَا بِاخْتِبَارٍ   وَهْمٌ وَزَيْفٌ وزُورُ

○ ○ ○

عُدْ بِالْعُصُورِ لَعَلَّ الْعُصُورَ رَجْعاً تُدُورُ
وَقِفْ بِتَارِيخِ قَوْمِي   فَلِلتَّوارِيخِ نُورُ
وانْظُرْ بِكُلِّ أَنَاةٍ   شِعَارُكَ التَّحْرِيرُ
هَلْ فِي الْعُصُورِ لِقَوْمِي   مَجْدٌ عَظِيمٌ خَطِيرُ؟
قَبْلَ الرَّسُولِ: وَأَوْغِلْ   مَهْمَا تَكِرُّ الْعُصُورُ
واقْرَأْ صَحَائِفَ قَوْمِي   يَزِينُهَا التَّحْبِيرُ
واصْدُقْ حَدِيثَكَ فِيهَا   لَا يَخْدَعَنْكَ غُرُورُ
فَأَكْرَهُ الْأَمْرِ عِنْدِي   تَعَصُّبٌ مَنْكُورُ
وَابْحَثْ سَتَرْجِعُ حَتْماً   والطَّرْفُ مِنْكَ كَسِيرُ

○ ○ ○

قَوْمِي حَيَارَى سُكَارَى   تَقُولُ: كَيْفَ الْمَصِيرُ
تَخَبَّطَ النَّاسَ مَسٌّ   كَمَا ادْلَهَمَّتْ شُرُورُ

أَصْـدَاءُ فِي كُـلِّ سَمْـعٍ كَـأَنَّـهُـنَّ صُـخُـورُ
نَـوْحُ الـثَّـكَـالَـىٰ أَلِـيـمٌ يَـعْـلُوهُ صَـوْتٌ نَـكِـيـرُ
وَنَـابِـحٌ مُـتَـعَـدٍّ وَنَـائِـحٌ مُـسْـتَـجِـيـرُ
وَظَـالِـمٌ مُـسْـتَـبِـدٌّ وَعَـاجِـزٌ مَـذْعُـورُ
والـكُـفْـرُ فَـوْقَ الـرَّوَابِي وَفِـي الـسُّـهُـولِ يَـسِـيـرُ
لَـهُ نُـيُـوبٌ حِـدَادٌ فِـيـهِـنَّ سُـمٌّ كَـثِـيـرُ
أَنْـفَـاسُـهُ يَـتَـلَظَّىٰ شَـهِـيـقُـهَـا والـزَّفِـيـرُ

○ ○ ○

أَيْـنَ الْـقَـطِـيـعُ يَـسِـيـرُ وَمَـا يَـكُـونُ الْـمَـصِـيـرُ
مَـنْ لـلضَّـعِـيفِ ظَـهِـيـراً وَأَيْـنَ يُـلْفَـىٰ الـنَّـصِـيـرُ
دَرَاكِ رَبَّ الْـبَـرَايَـا أَنْـتَ الـرَّحِـيـمُ الْـقَـدِيـرُ
هٰـذِي قَـبَـائِـلُ قَـوْمِي صَـغِـيـرُهَـا وَالْـكَـبِـيـرُ
تَـفَـرُّقٌ واخْـتِـلَافٌ مَـفَـاسِـدٌ وشُـرُورُ
تَـقَـاتُـلٌ وَتَـعَـادٍ تَـحَـاسُـدٌ ونُـفُـورُ
أَخُـو ثَـرَاءٍ عُـتُـلٌّ وَحَـاكِـمٌ مَـأْجُـورُ
وَذُو تَـعَـالٍ غَـبِـيٌّ وَجَـاهِـلٌ مَـغْـرُورُ
وَمَـاكِـرٌ ذُو افْـتِـرَاسٍ وَحَـاقِـدٌ مَـوْتُـورُ
نِـهَـايَـةُ الْـفَـخْـرِ فِـيـهِـمْ «عَـنَـاتِـرٌ» و «زُيُـورُ»
وَرُبَّ وَائِـدِ بِـنْـتٍ مُـفَـاخِـرٌ مَـخْـمُـورُ
وَبَـعْـضُ مَـا هُـوَ فَـخْـرٍ فـيـهـم رَذِيـلٌ حَـقِـيـرُ
وَكَـمْ مَـزَاعِـمِ مَـجْـدٍ هُـنَّ احْـتِـيَـالٌ وَزُورُ
إلَّا مَـكَـارِمَ إرْثـاً وَهُـنَّ نَـذْرٌ يَـسِـيـرُ

○ ○ ○

حَـتَّـىٰ أَتَـاهُـمْ رَسُـولٌ مِـنْـهُـمْ بَـشِـيـرٌ نَـذِيـرُ

سَفِيرُ رَبِّ الْبَرَايَا   لِلنَّاسِ. نِعْمَ السَّفِيرُ
دَاعٍ إِلَىٰ اللَّهِ هَادٍ   مُكَلَّفٌ. مَأْمُورُ
هُوَ الْأَثِيرُ لَدَيْهِ   وَهْوَ السِّرَاجُ الْمُنِيرُ
وَخَاتَمُ الرُّسْلِ جَمْعاً   قَدِ اصْطَفَاهُ الْقَدِيرُ
كِتَابُهُ قَوْلُ رَبِّي   وَفِيهِ هَدْيٌ وَنُورُ
فَطَارَدَ الْكُفْرَ فِيهِم   وَالْكُفْرُ دَاءٌ عَسِيرُ
فَعَزَّ مَنْ لَانَ مِنْهُمْ   وَهَزَّهُ التَّذْكِيرُ
وَظَلَّ بِالسَّعْدِ يَسْعَىٰ   وَبِالسُّرُورِ يَسِيرُ
وَفِي الْمَعَادِ نَعِيمٌ   لَا مَنَّ فِيهِ. وَفِيرُ
وَهَانَ قَاسٍ غَلِيظٌ   وَذَلَّ جَافٍ كَفُورُ
أَشْقَاهُ كِبْرٌ وَعُجْبٌ   أَوْ لَذَّةٌ وَفُجُورُ
وَفِي الْمَعَادِ عَذَابٌ   وَحَسْرَةٌ وَسَعِيرُ

○ ○ ○

وَأَنْقَذَ اللَّهُ قَوْمِي   لَمَّا أَتَانَا الْبَشِيرُ
وَلَمَّنَا مِنْ شَتَاتٍ   مَرَّتْ عَلَيْهِ دُهُورُ
فَقَامَ فِي الصَّفِّ سِيَّا   نِ ذُو غِنًى وَفَقِيرُ
وَنَابِهٌ ذُو فَخَارٍ   وَخَامِلٌ مَغْمُورُ
وَسَيِّدٌ وَمَسُودٌ   وَحَاكِمٌ وَأَجِيرُ
وَبَادَرَ السَّبْقَ لِلْخَيْرِ رَاشِدٌ وَصَغِيرُ
فَكَانَ مِنَّا الْمُجَلِّي   وَكَانَ مِنَّا الْأَمِيرُ
وَكُلُّ فَارِسِ حَرْبٍ   وَالْقَائِدُ الْمَنْصُورُ
وَكُلُّ حَبْرٍ حَكِيمٍ   وَالْعَالِمُ النِّحْرِيرُ
وَجَاءَنَا الْفَتْحُ يَعْدُو   وَالنَّصْرُ جَاءَ يَطِيرُ
مَنْ يَنْصُرِ اللَّهَ يَنْصُرْ   هُ. إِنَّ رَبِّي قَدِيرُ

وَعْـدٌ مِـنَ الـلَّـهِ حَقٌّ تَـجْـرِي عَـلَيْـهِ الْأُمُــورُ
قَـدْ جَـاءَنَـا مَـا وُعِـدْنَـا وَفَـوْقَـهُ مَــوْفُــورُ
وَبَـاتَ فِـي أَيْـدِيـنَـا حُـكْـمُ الـشُّـعُـوبِ يَـدُورُ
تَـا الـلَّـهِ مَـا كَـذَبَـتْـنَـا الْأَحْـدَاثُ وَهْـيَ تَـسِـيـرُ

○ ○ ○

أَذَاكَ فَـضْـلٌ لِـقَـوْمِـي لَـهُ الـزَّمَـانُ أَسِـيـرُ
أَمْ ذَاكَ فَـضْـلٌ لِـدِيـنٍ بِـهِ يَـطِـيـبُ الْـمَـصِـيـرُ
بِـهِ يَـعِـزُّ ضَـعِـيـفٌ بِـهِ يَـجِـلُّ الْـحَـقِـيـرُ
تَـاللَّـهِ مَـا فَضْـلُ قَـوْمِي بَـلْ فَضْـلُ دِينِي الْخَـطِيرُ
مَـا كَـانَ قَـوْمِي مُلُوكـاً حَـتَّىٰ أَتَـىٰ الْإِكْـسِـيـرُ
فَـاسْـتُـبْـدِلَـتْ بِـصُـخُـورٍ كَـوَاكِـبٌ وَبُـدُورُ
واسْـتُـبْـدِلَـتْ بِـدَنَـايَـا فَـضَـائِـلٌ وَخُـيُـورُ

○ ○ ○

إِنْ نَبْـتَـغِ الْـمَجْـدِ حَقّـاً فَـذَا الصِّـرَاطُ الْـمُـنِـيـرُ
إِسْـلَامُـنَـا وتُـقَـانَـا هُـمَـا الْـمَـلَاذُ الْـكَـبِـيـرُ
مِنْ كُـلِّ مَـا نَحْـنُ فِيـهِ مَـهْـمَـا تَـجِـدُّ عُـصُـورُ
فَـإِنْ نَـبَـذْنَـا هُـدَانَـا فَـشَـرُّنَـا مُـسْـتَـطِـيـرُ

○ ○ ○

يَـا رَبِّ أَنْـتَ الْـمُـجِـيـرُ قَـدْ مَـسَّـنَـا مَـا يَـضِـيـرُ
فَـلَا تَـدَعْـنَـا لِـقَـوْمٍ فِـيهِمْ تَـمَـادَىٰ الْـفُـجُـورُ
والْفِـسْـقُ قَـدْ صَـارَ فِيهِمْ فَـنًّـاً لَـهُ تَـيْـسِـيـرُ
أَمَّـا الـتَّـقِـيُّ الْـمُـعَـافَىٰ فَـدُونَـهُ الـتَّـعْـسِـيـرُ
وَلِـلـرِّبَـا أَلْـفُ بَـابٍ يَـمُـرُّ مِـنْـهَـا الْـكَـثِـيـرُ
خَـزَائِـنُ الـرِّزْقِ صَـارَتْ يُـشْـرَىٰ بِـهَـا الـتَّـكْـفِـيـرُ
والْـعِـلْمُ صَـارَ شِـبَـاكـاً تُـصَـادُ فِـيـهِ الـشُّـرُورُ

فَالشِّرْكُ أَمْرٌ طَفِيفٌ وَالْكُفْرُ أَمْرٌ يَسِيرُ
أَمَّا الْمَعَاصِي فَصَارَتْ هِيَ الْغِذَاءُ الْوَفِيرُ
أَخْلَاقُنَا الْيَوْمَ سُودٌ ظُلْمٌ وَإِفْكٌ وَزُورُ
تَشَاجُرٌ وَسِبَابٌ تَنَابُزٌ وَفُجُورُ
ولا تَنَاصُرَ فِينَا إِذَا ادْلَهَمَّتْ أُمُورُ
والسِّرُّ فِينا مُشَاعٌ إِلَى الْعَدُوِّ يَطِيرُ

○ ○ ○

هذِي رَزَايَا جَنَتْهَا قَوْمِيَّتِي وَالنَّصِيرُ
رَحاً لِطَحْنِ بِلَادِي يَدُورُ فِيهَا الْأَجِيرُ

○ ○ ○

فَهَلْ يَجُوزُ سُكُوتٌ أَوْ يُسْتَسَاغُ النَّمِيرُ(1)
أَخْيَارَ قَوْمِي اسْتَعِدُّوا وَجَابِهُوا وَأَغِيرُوا
وَجَاهِدُوا وَاسْتَجِيرُوا بِاللَّهِ فَهْوَ الْمُجِيرُ
الْخَطْبُ خَطْبٌ عَظِيمٌ وَالْأَمْرُ أَمْرٌ خَطِيرُ
لِكُلِّ أَمْرٍ طَرِيقٌ بِهِ يَهُونُ الْعَسِيرُ
وَذِي فِلَسْطِينُ تَبْكِي رِمَالُهَا والصُّخُورُ
وَكُلُّ قَطْرَةِ دَمْعٍ تَقُولُ أَيْنَ الْمَصِيرُ
إِنَّا بِأَمْثَالِ بَدْرٍ أَيَّامُنَا تَسْتَنِيرُ

○ ○ ○

يَا رَبِّ أَنْتَ الْمُرَجَّى أَنْتَ الْعَزِيزُ الْقَدِيرُ
مَهْمَا نكُنْ قَدْ عَصَيْنَا فَأَنْتَ رَبٌّ غَفُورُ

دمشق في سنة ١٣٨٣ هجرية **(١٠٣ أبيات)**

---

(١) النمير: الزّكي من الماء.

٢١

وفي أحد الاحتفالات التوجيهية من سنة **١٣٨٤** هجرية **١٩٦٤**م والتي كان يدعو أبـي رحمه الله إليها تحدث عدد من تلاميذه الخطباء، وكنت واحداً منهم، وكنت أعددت لهذا الاحتفال هذه القصيدة بعنوان:

«الرسول العظيم في سورة الضحى»

وهي هنا منقَّحة.

الرسول العظيم في سورة الضحى

والضُّحَــىٰ

هِيِ الشَّمْسُ تَمْتَـدُّ عِنْدَ الضُّحَىٰ   فَتَمْـلأُ أَفْيَـاءَنَـا بِـالضِّـيَـاءْ
وَتَجْــرِي بِـدَوْرَاتِهـا كـالـرَّحَا   وَتُثْبِتُ أَمْجَـادَهَـا فِـي السَّـمَـاءْ
وَتَجْعَـلُ مِنْ أَرْضِنَـا مَسْـرَحَـا   لأَنْـوَارِهَـا سَـاقِـيَـاتِ الـرُّوَاءْ
وَتُخْجِلُ فِي الرَّوْضِ مَا أَصْبَحَا   وَلِـيـداً وَذَا نَـسَـبٍ بِـالْـحَـيَـاءْ
فَـتَـصْـبُـغُـهُ بِـوِشَـاحِ الـدِّمَـاءْ
أَيَـا مُـصْـطَفَىٰ قَسَمـاً بِـالضُّحَىٰ   لأَنْـتَ الصَّـفِيُّ وَأَنْتَ الْـحَـبِـيـبْ
وَلَـمْ يَـقْـلِكَ الـرَّبُّ يَـا أَحْـمَـدُ

○ ○ ○

﴿والليلِ إذَا سَجَىٰ﴾

وَفِي ظُلْمَــةِ اللَّيْـلِ سِـرُّ الْعَدَمْ   نُـلاَمِسُهُ فِي ظِـلاَلِ الْـوُجُـودْ
وَنَـعْـلَمُ كَـيْـفَ سَـتَـفْـنَىٰ الأُمَـمْ   وَتُـجْـمَـعُ أَحْـفَـادُهَـا وَالْجُـدُودْ
وَفِي اللَّيْــلِ سِتْـرٌ لِسَعْي النَّسَمْ   وَفِيــهِ السُّكُـونُ وفِيــهِ الـرُّقُـودْ
وَيَـقْـتَـسِمُ اثْـنَـانِ فِـيـهِ الْقِـسَـمْ   نَـجِيُّ الـلِّقَـا. وَنَـجِيُّ الـصُّـدُودْ
فَـأَعْـظِمْ بِـهِ قَـسَـمـاً مِـنْ «وَدُودْ»
وَلَـيْــلٍ بَهِـيـمٍ إِذَا مَـا سَـجَـىٰ   لأَنْـتَ الصَّـفِيُّ وَأَنْتَ الْـحَـبِـيـبْ
وَلَـمْ يَـقْـلِكَ الـرَّبُّ يَـا أَحْـمَـدُ

○ ○ ○

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾

أَتَىٰ الْـوَحْيُ يَعْصِـرُهُ فِي حِـرَاءْ ... فَـلاَقَـاهُ لُـقْـيَـا بِـهَـا رَوَّعَـهْ
فَـآنَسَـهُ بِـحَـدِيـثِ الـسَّـمَـاءْ ... فَـحَـمَّـلَهُ ثِـقْـلاً زَعْـزَعَـهْ
فَـأَبْـطَأَ عَـنْـهُ وَكَـمْ مِـنْ دَوَاءْ ... جَدِيرٌ ـ وَإِنْ مَـرَّ ـ أَنْ يَكْرَعَـهْ
فَـرَوَّجَ مَنْ أَشْـرَكُـوا فِي غَبَـاءْ ... فَـقَـالُـوا: إِذَنْ رَبُّـهُ وَدَّعَـهْ

لَـقَـدْ كَـذَبُـوا فَهْـوَ دَوْمـاً مَـعَـهْ

فَـلاَ والضُّحَىٰ ثُمَّ لَيْـلٍ سَجَىٰ ... لَأَنْـتَ الصَّـفِيُّ وَأَنْـتَ الْـحَـبِـيـبْ

وَلَـمْ يَـقْـلِكَ الـرَّبُّ يَـا أَحْـمَـدُ

○ ○ ○

﴿وللآخِرةُ خيرٌ لكَ مِنَ الأُولى ولسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَترضَى﴾

لَـكَ الْقُـرْبُ فِي هَـذِهِ والسُّرُورْ ... لَـكَ الْمَجْـدُ والشَّـرَفُ الْمُكْتَمِـلْ
بِخَيْرِ الْعَطَايَا اصْطَفَاكَ الْقَدِيـرْ ... وَأَعْلَىٰ مَقَـامَـكَ بَيْنَ الـرُّسُـلْ
وَسَعْيُـكَ لِلنَّصْـرِ سَعْيٌ قَصِيـرْ ... وَلَـكِـنْ سَـتَـبْـلُغُ فِـيـهِ الْأَمَـلْ
وَأُخْـرَاكَ مَـجْـدٌ وَخَيْـرٌ كَـثِيـرْ ... سَـتَبْلُغُ فِـيهـا الْمَـقَـامَ الْأَجَـلّ

سَتُعْـطَىٰ فَـتَـرْضَىٰ وَيَـعْـيَـا الْأَمَـلْ

لَأَنْـتَ الصَّـفِيُّ وَأَنْـتَ الْـحَـبِـيـبْ ... وَأَنْـتَ الْأَثِـيـرُ وَأَنْـتَ الْـقَـرِيـبْ

وَلَـمْ يَـقْـلِكَ الـرَّبُّ يَـا أَحْـمَـدُ

○ ○ ○

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوىٰ؟﴾

أَلَـم يَـرْعَ شَـأْنَـكَ ربٌّ رَحِيـمْ ... فَـآوَتْـكَ أَلْـطَافُـهُ فِي حِـمَـاهْ
فَـأَكْـرَمَ يُـتْـمَـكَ بَـيْـتٌ كَـرِيـمْ ... فَكُنْتَ الْأَثِـيـرَ لَـدَىٰ مَـنْ رَعَـاهْ
وصَـانَـكَ رَبُّـكَ وَهْـوَ الْعَـظِيمْ ... وَأَلْقَىٰ عَـلَيْـكَ سَنىً مِنْ سَـنَـاهْ
وَأَنْـشَـرَ حُبَّـكَ بَـيْـنَ الـنَّـسِيمْ ... فَـكُـنْـتَ حَـبِـيـبَ مُـحِـبِّ الْإِلَـهْ

فَـلاَ تَخْشَ يـا مُصْـطَفىً مِنْ قِـلاَهْ

لأنْتَ الصَّفِيُّ وَأَنْتَ الْحَبِيبْ وَأَنْتَ الْأَثِيرُ وَأَنْتَ الْقَرِيبْ

أَمُؤْوِيكَ يَقْلِيكَ يَا أَحْمَدُ

○ ○ ○

﴿وَوَجَدَكَ ضالاًّ فهدى﴾

أَمَا كُنْتَ فِي حَيْرَةٍ جَاهِلاً صِرَاطَ النَّجَاةِ ومَجْدِ الْحَيَاةْ

هُنَا أَوْ هُنَا كَمْ تَرَىٰ باطِلاً فَتَسْأَلُ كَيْفَ يَكُونُ الْهُدَاة

وتَشْهَدُ ذا نَزْغَةٍ مَائِلاً فَتَبْحَثُ عَنْ خِطَّةٍ لِلدُّعَاةْ

وتَشْهَدُ مَا فِي الدُّنَى زَائِلاً فَتَسْأَلُ مَاذَا وَرَاءَ الْمَمَاتْ

وَمَا هُوَ فِي النَّاسِ نَهْجُ التُّقَاة

فَأَنْزَلَ رَبُّكَ نَفْحَ الْهُدَىٰ عَلَيْكَ وَجَاءَكَ عِلْمُ الْغُيُوبْ

أَهَادِيكَ يَقْلِيكَ يَا أَحْمَدُ

○ ○ ○

﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ﴾

أَمَا كُنْتَ مِنْ قَبْلُ فِي عَيْلَةٍ فَأَغْنَاكَ مِنْ فَضْلِهِ ذُو الْغِنَىٰ

وَمَا كُنْتَ تَمْلِكُ مِنْ حِيلَةٍ لِجَلْبِ الطِّلَابِ وَدَفْعِ الْقَنَا

فَسَاقَ إِلَيْكَ أَخَا خُلَّةٍ وَسَاقَ الْحَلِيلَةَ تَسْقِي الْهَنَا

وَلَمَّا تَبَرَّأْتَ مِنْ عِلَّةٍ تَأَمَّلْتَ فِي الْكَوْنِ عَلَّ السَّنَا

يُرِيكَ مَعَارِفَ خَلْفَ الدُّنَىٰ

فَأَعْطَاكَ رَبُّكَ فَيْضَ الْمُنَىٰ وَجَاءَكَ من غَيْبِهِ نَفْحُ طِيبْ

أَمُغْنِيكَ يَقْلِيكَ يَا أَحْمَدُ

○ ○ ○

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ﴾

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ﴾

فَمَنْ يُؤْوِهِ اللَّهُ مِنْ يُتْمِهِ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ يَقْهَرَنّ

فَحِرْمَانُهُ قَبْلُ مِنْ أُمِّهِ   تَعَلَّمَ مِنْهُ مَذَاقَ الْحَزَنْ
وَمَنْ يُغْنِهِ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ   فَأَمَّا الْفَقِيرَ فَلاَ يَنْهَرَنّ
فَمَا كَانَ قَدْ ذَاقَ مِنْ فَقْرِهِ   يُحَرِّكُهُ لِلْعَطَاءِ الْحَسَنْ
وَيَجْعَلُهُ نَاذِلاً لِلْمِنَنْ
فَيشْكُرُ بِالْجُودِ رَبَّ الْوَرَىٰ
فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرَا
وَأَمَّا السَّؤُولَ فَلاَ تَنْهَرَا   وَأَدِّ لِرَبِّكَ شُكْرَ الْقُلُوبْ
فَإِنَّا اصْطَفَيْنَاكَ يَا أَحْمَدُ

○ ○ ○

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾

هُوَ الْعِلْمُ مَجْدٌ وَفَضْلٌ جَلِيلْ   تَسَامَىٰ أَبُونَا بِهِ وَافْتَخَرْ
يُقَسِّمُهُ اللَّهُ قَدْرَ الْعُقُولْ   وَيَخْتَصُّ بِالْغَيْبِ بَعْضَ الْبَشَرْ
وَهَلْ فِي الْوَرَىٰ قِيمَةٌ لِلْجَهُولْ   قَبِيحِ السُّلُوكِ سَخِيفِ النَّظَرْ
وَلَوْ كَانَ يَمْلِكُ مِلْءَ السُّهُولْ   نَفَائِسَ مَا فِي الدُّنَىٰ مِنْ دُرَرْ
وَلَوْ كَانَ فِي الْحُسْنِ مِثْلَ الْقَمَرْ
فَبِالْعِلْمِ نَعْرِفُ أَكْوَانَنَا   وَبَعْضَ الْكَوَامِنِ خَلْفَ الصُّوَرْ
وَبِالْعِلْمِ نَجْتَازُ أَجْوَاءَنَا   وَنَنْقُلُ رُكَّابَنَا لِلْقَمَرْ
وَبِالْعِلْمِ نَدْعَمُ إِيمَانَنَا   بِبَارِئِنَا الْمُتْقِنِ الْمُقْتَدِرْ
وَبِالْعِلْمِ نَدْعَمُ إِسْلاَمَنَا   وَمَا فِيهِ مِنْ مُعْجِزَاتِ الْقَدَرْ
وَمَا فِيهِ مِنْ مُسْعِدَاتِ الْبَشَرْ
وَبِالْعِلْمِ نَعْرِف قُرْآنَنَا   كِتَاباً بِهِ هَدْيُ مَنْ يَدَّكِرْ
وَنَعْرِفُ أَنَّ الَّذِي جَاءَنَا   بِهِ مُرْسَلٌ صَادِقٌ فِي الْخَبَرْ
وَتَبْدُو بِهِ مُعْجِزَاتٌ لَنَا   نَرَاهَا بِآيَاتِهِ وَالسُّوَرْ
بِهِ شَرَعَ اللَّهُ مِنْهَا جَنَا   لِنَسْلُكَهُ فَنَنَالَ الظَّفَرْ

وَنُبْعِدَ عَنْ نَافِثَاتِ الْخَطَرْ

وَأَعْلَىٰ الْعُلُومِ عَلُومُ السَّمَاءْ حَبَانَا بِهَا اللَّهُ كَيْ نَعْتَبِرْ

عَلُومٌ أَتَتْنَا بِهَا الْأَنْبِيَاءْ وَمِسْكُ الْخِتَامِ الرَّسُولُ الْأَبَرّ

وَمَنْ يُؤْتَ نِعْمَةَ هَدْيِ السَّمَاءْ فَوَاجِبُهُ نَقْلُهَا لِلْبَشَرْ

إِذَا سِيقَ ظَالِمُهُمْ لِلْجَزَاءْ فَلَنْ يَلْقَ عُذْراً بِهِ يَعْتَذِرْ

فَبِالذِّكْرِ يَنْتَفِعُ الْمُدَّكِرْ

وَبِالْوَعْظِ يَنْتَفِعُ الْمُعْتَبِرْ

فَحَدِّثْ بِنِعْمَةِ وَحْيِ السَّمَاءْ إِلَيْكَ وَبَلِّغْ حَدِيثَ الْغُيُوبْ

فَإِنَّكَ أَنْتَ الصَّفِيُّ الْحَبِيبْ

عَلَىٰ ذِرْوَةِ الْمَجْدِ يَا أَحْمَدُ

○ ○ ○

دمشق في ربيع الأول سنة ١٣٨٤ هجرية (٨٢ بيتاً)

٢٢

وفي احتفال توجيهيّ دعا إليه أبـي ـ رحمه الله وأجزل مثوبته ـ عام ١٣٨٥هـ و١٩٦٥م ضـمّ جمهوراً غفيراً، وتحدث فيه عدد من تلاميذ أبـي الخطباء، وكنت واحداً منهم، إذْ شاركت فيه بإلقاء هذه القصيدة المنوعة الأوزان والقوافي، والتي أعددتها له، وفيها تعرُّض لمشكلاتٍ فكرية معاصـرة لزمن كتابتها، وإشارة إلى فئات معادية للدين أو منحرفة أو ممالئة للأعداء، وهي بعنوان:

رضيت باللّـه تعالى ربّاً وبالإسلام ديناً
وبمحـمّد ﷺ نبيّاً ورسولاً

رضيت بالله تعالى ربّاً وبالإسلام دِيناً وبمحمد ﷺ نبيّاً ورسولاً

رَضِيـتُ بـالـلَّـهِ رَبّـاً وَدِيـنَـهُ لِـيَ دِيـنَـا
رَضِيـتُ طَـهَ نَـبِـيّـاً وَمُـرْسَـلاً وأَمِـيـنَـا
وَقَـائِـداً وزَعِـيـمـاً وَخَـاتَـمَ الْـمُـرْسَـلِيـنَـا
وسَـيِّـداً بِـهُـدَاهُ فِي الْعَـالَـمِيـنَ هُـدِينَـا
رَضِـيـتُ تَـنْـزِيـلَ رَبِّي لَـنَـا كِـتَـابـاً مُـبِـيـنَـاً
وَحْـيـاً وَنُـوراً عَـظِـيـمـاً يَهْـدِي وحِصْنَـاً حَصِينَـا
وَمَـرْجِـعـاً أَتَـقَـصَّـىٰ أَحْـكَـامَـهُ تَـبْـيِـيـنَـا
فَـمَـا حَـوَىٰ مِنْ مَـعَـانٍ تَـسْـرِي لِـقَـلْـبِي يَـقِـينَـا
فِـيـهِ نَـقَـاوَةُ وَحْـي الـرَّحْـمٰـنِ لِلْأَوَّلِـيـنَـا
تَـنْـزِيـلُ رَبِّ الْـبَـرَايَـا وَمُـعْـجِـزُ الْـعَـالَـمِـينَـا
حَـمَـاهُ رَبِّي تَـعَـالَـىٰ وَزَادَهُ تَـمْـكِـيـنَـا
هٰـذِي أُصُـولُ اعْـتِـقَـادِي تَـضُـمُّ كَـنْـزاً ثَـمِـيـنَـا

○ ○ ○

فَـهَـلْ رَضِـيـتُـمْ بِـهَـذَا قُـولُـوا: رَضِـيـنَـا رَضِـيـنَـا

○ ○ ○

هُوَ الدِّينُ عِنْدَ اللَّـهِ مَنْ يَجْفُهُ غَوَىٰ
فَمَـا بَعْـدَهُ إلَّا الضَّـلَالَـةُ والْهَـوَىٰ

هُـوَ الـدِّينُ تَنْـزِيـلُ الْحَكِيمِ لِخَلْقِـهِ
عَلَىٰ عَبْدِهِ شَمْسِ الْهُدَىٰ صَفْوَةِ الْوَرَىٰ
هُـوَ الـدِّينُ فِيـهِ كُـلُّ خَيْـرٍ وَنِعْمـةٍ
تَقَـدَّسَ تَنْزِيـلُ الـرَّحِيمِ وَمَـا حَـوَىٰ
وَهَـلْ بَعْـدَ نُـورِ اللَّـهِ نُـورٌ لِمُهْتَـدٍ؟
وَهَلْ بَعْدَ هَدْيِ اللَّـهِ هَدْيٌ فَيُقْتَفَىٰ؟
مُلَاحِقُ مَجْدِ الْخُلْدِ فِي طَاعَةِ الْهَوَىٰ
كَـطَالِبِ أَوْصَـافِ الضِّيَـاءِ مِنَ الْعَمَىٰ
فَمُعْـظَمُ أَهْـوَاءِ النُّفُـوسِ قَـرِينَـةٌ
لِوَسْوَسَـةِ الشَّيْطَانِ فِي الْغَيِّ والـرَّدَىٰ
وَمَـا اجْتَمَعَا فِي النَّاسِ إلَّا لِيُهْلِكَـا
«وَمَـا اجْتَمَـعَ الـدَّاءَانِ إلَّا لِيَقْتُـلَا»
وَيَنْقَـادُ لِـلشَّيْـطَانِ مُتَّبِـعُ الْـهَـوَىٰ
يَكِـدُّ لِيَرْوَىٰ. والشَّقَـا غَـايَـةُ الْخُـطَا
كَـذَلِـكَ يَسْعَىٰ لِلشَّقَـاءِ ذَوُو الْهَـوَىٰ
إِذَا تَـرَكُـوا الْإِسْـلَامَ والنُّـورَ وَالْحِجَـا
وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِـاللَّهِ يَظْفَـرْ بِمَجْـدِهِ
وَمَنْ يَرْضَ بالْإِسْـلَامِ فِي أَمْرِهِ نَجَـا
رَضِينَـا بِهَـذَا الـدِّينِ دِينـاً مُقَـدَّسـاً
هُـو الْحَقُّ والتِّبْيَـانُ لِلْخَيْـرِ والْهُـدَىٰ
تَحَمَّلَهُ الْأَطْهَـارُ مِـنْ كُـلِّ حِقْبَـةٍ
وَصَـانُوهُ بِـالْأَرْوَاحِ مِنْ شَرِّ مَنْ بَغَىٰ
فَـمَنْ يَـرْضَـهُ دِينـاً فَلِلَّـهِ سَعْيُـهُ
وَلِلْجَنَّـةِ الكُبْـرَىٰ وَأَنْعِمْ بِمَـا سَعَىٰ

وَمَنْ يَـرْضَ دِيناً غَيْـرَهُ أَوْ يُجَـافِـهِ
فَلِلنَّـارِ مَسْعَـاهُ وَأَتْعِسْ بِمَـا ارْتَضَىٰ
وَمَنْ يَـأْبَ دِينَ اللَّهِ وَهْـوَ لِخَيْـرِهِ
فَـذَاكَ سَفِيـهُ الـرَّأْيِ فِي هُـوَّةِ هَـوَىٰ
وَهَلْ يَرْفُضُ الْجَنَّاتِ مَنْ هُوَ عَاقِلٌ؟!
وَهَلْ يَرْفُضُ الْمَجْدَ الْعَظِيمَ ذَوُو النُّهَىٰ؟!
مَتَىٰ جَحَـدَ اللَّـهَ امْـرُءٌ بَعْـدَ هَـدْيِـهِ
تَسَفَّـلَ عَنْ دَرْكِ الْبَهَائِمِ فِي الـدُّنَىٰ

ο ο ο

فَـالْـحَـمْـدُ لِـلَّـهِ أَنَّـا إِلَـىٰ الصِّـرَاطِ هُـدِيـنَـا
إِذِ ارْتَـضَـيْـنَـا إِلَـهـاً فَـرْداً وَدِيـنـاً مَـتِـيـنَـا
قَـدْ صِينَ مِنْ كُـلِّ زَيْفٍ بِـالْحَقِّ صَـوْنـاً مَكِينَـا
الْـحَـمْـدُ لِـلَّـهِ أَنَّـا مِـنْ ثُلَّةِ الْـمُـؤْمِـنِـيـنَـا
الْـحَـمْـدُ لِـلَّـهِ أَنَّـا مِنْ زُمْـرَةِ الْـمُـسْـلِمِينَـا
نُـكَـرِّمُ الـرُّسْـلَ جَمْـعـاً كَـمَـا هَـدَىٰ بَـارِيـنَـا
وَدِيـنُـنَـا نَـسْـتَـقِـيـهِ مِنْ خَـاتَمِ الْـمُـرْسَلِينَـا
مُـحَـمَّـدٍ خَـيْـرِ رُسْـلِ الـرَّحْـمٰـنِ حَـقًّـا يَـقِـيـنَـا
بِـهِ تَـكَـامَـلَ دِيـنُ الْإِسْـلَامِ لِـلْـعَـالَـمِـيـنَـا
وَكُـلُّ دِيـنٍ سِـوَاهُ لَمْ يَبْقَ كَـالْأَصْـلِ دِيـنَـا
أَتْـبَـاعُـهُ ضَـيَّـعُـوهُ وَصَـدَّقُـوا الْـكَـاذِبِـيـنَـا
كَـمْ لَـفَّـقَـتْ أَيْـدِيـهِـمْ فِي الـدِّينِ كِـذْبـاً مُبِينَـا
كَمْ حَـرَّفُـوا مِنْ أُصُـولٍ أَتَـىٰ بِـهَـا الصَّـادِقُـونَـا

ο ο ο

رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبّاً   وَدِينَهُ لِي دِينَا
رَضِيتُ طَهَ نَبِيّاً   وَمُرْسَلاً وَأَمِينَا
رَضِيتُ تَنْزِيلَ رَبِّي   لَنَا كِتَاباً مُبِينَا

○ ○ ○

فَهَلْ رَضِيتُمْ بِهَذَا   قُولُوا: رَضِينَا رَضِينَا

○ ○ ○

وَمِنْ قَبْلِ طَهَ جَاءَ رُسْلٌ كَثِيرَةٌ
دَعَتْ لِإِلَهٍ وَاحِدٍ مِثْلَمَا دَعَا
أُصُولُ دِيَانَاتِ السَّمَاءِ بِأَسْرِهَا
تَسِيرُ مَعَ الْإِسْلَامِ فِي الْحَقِّ وَالْهُدَىٰ
وَكَانَ يَقُولُ الرُّسْلُ لِلنَّاسِ أَسْلِمُوا
إِلَىٰ اللَّهِ يُسْعِدْكُمْ وَيَمْنَحْكُمُو الرِّضَىٰ
وَدِينُهُمُو الْإِسْلَامُ لَكِنَّ لَاحِقاً
بِهِمْ قَدْ بَنَىٰ تَكْمِيلَ مَا سَابِقٌ بَنَىٰ
وَحِينَ اسْتَعَدَّ النَّاسُ أَنْ يَتَقَبَّلُوا
جَمِيعَ تَعَالِيمِ الْمُهَيْمِنِ لِلْوَرَىٰ
تَجَلَّىٰ عَلَىٰ الدُّنْيَا يَتِيمَةُ دَهْرِهِ
مُحَمَّدُ بِالْإِسْلَامِ مُكْتَمِلَ السَّنَىٰ
فَأَيَّدَهُ رَبُّ الْأَنَامِ بِنَصْرِهِ
وَبِالْمُؤْمِنِينَ الْغُرِّ مَا كَافِرٌ طَغَىٰ
وَصَانَ لَهُ الْقُرْآنَ مِنْ كُلِّ عَابِثٍ
وَسَاقَ لَهُ الْأَصْحَابَ مِنْ أُسَرِ الْعِدا
فَخَاضُوا غِمَارَ الْمَوْتِ والطُّهْرُ حَاجِزٌ
مَسِيرَتَهُمْ عَنْ أَنْ يَمِيلُوا مَعَ الْهَوَىٰ

وَبَـاعُـوا إِلَىٰ اللَّهِ النُّفُـوسَ لِيَشْتَرُوا
رِضَـاهُ وَكَمْ كَـانُـوا لِـدِينِهِمُـو الْفِدا
وَسَـارَ بِعَيْـنِ الـلَّـهِ دِيـنُ مُـحَـمَّـدٍ
مَصُوناً بِنُورِ الْحَقِّ كالشَّمْسِ في الضُّحَىٰ
وَأَمَّـا النَّصَـارَىٰ وَالْيَهُـودُ فَحَـرَّفُـوا
تَعَـالِيمَهُمْ واسْتَبْدَلُـوا الْكُفْرَ بـالْهُـدَىٰ
فَمِنْ أَيْنَ جَـاؤُوا بِـالْمُثَلَّثِ عِنْـدَهُمْ
وَكَيْفَ دَعَـوْا عِيسَىٰ إِلَهاً لَـهُ الْبَقَـا
وَأُولَىٰ أُصُولِ الدِّينِ: «اللَّـهُ وَاحِـدٌ»
أَفِي اللَّـهِ شَكٌّ فَاطِرِ الْأَرْضِ والسَّمَا
وَأَتْبَـاعُ مُـوسَىٰ أَيُّ عُـذْرٍ يَقِيهِمُـو
وَقَدْ كَذَّبُوا رُسْلاً أَتَوْا بَعْدَ مَنْ مَضَىٰ
وَمُـوسَىٰ وَعِيسَىٰ والنَّبِيُّـونَ كُلُّهُمْ
دَعَـوْا لِإِلَـهٍ وَاحِـدٍ جَـلَّ واعْـتَلَىٰ
وَلَـوْ أَنَّ أَيّاً مِنْهُمُـو عَـاشَ بَعْـدَهُ
لَكَـانَ لَـهُ أَزْراً وَكَـانَ بِـهِ اقْتَـدَىٰ
إِلَىٰ اللَّـهِ نَشْكُـو الْعَابِثِينِ بِـدِينِنَـا
وَنَشْكُو الَّذِينَ اسْتَخْدَمُوا الدِّينَ للدُّنَىٰ

○ ○ ○

لِـلَّـهِ نَـشْـكُـو أُنَـاسَـاً سَـارُوا مَـعَ الْـعَـابِثِـينَـا
تَـحَـدَّوُا الـدِّيـنَ حِـيـنـاً وَخَـادَعُـوا الـدِّينَ حِـينَـا
وَآخَـرِيـنَ اسْـتَـذَلُّـوا مَـشَـاعِـرَ الْـمُـسْـلِمِـينَـا
وَآخَـرِيـنَ تَـعَـدَّوْا وَآزَرُوا الـظَّـالِـمِـيـنَـا
وَآخَـرِيـنَ اسْـتَـكَـانُـوا وَمَـالَـؤُوا الـطَّـاغِـيـنَـا

وَنَشْتَكِي مِنْ نُفُوسٍ　　أَصَابَهَا الضَّعْفُ فِينَا
لِلَّهِ لِلَّهِ نَشْكُو　　أَحْوَالَنَا أجْمَعِينَا

○ ○ ○

حَاشَا طَلائِعَ كَانُوا　　لِرَبِّهِمْ مُخْلِصِينَا
مَشَوْا بِصِدْقٍ وَعَزْمٍ　　عَلَىٰ الْهُدَىٰ ظَاهِرِينَا
رَضُوا بِكُلِّ بَلاَءٍ　　لِيَقْمَعُوا الْمُفْسِدِينَا
وَيَنْصُرُوا دِينَ رَبِّي　　وَيَحْمِلُوهُ مُبِينَا
كَمْ أُنْذِرُوا بِمَنُونٍ　　فَلَمْ يَهَابُوا الْمَنُونَا
قَالُوا: إِذَا كَانَ فِيهِ　　رِضَىٰ الْإِلَهِ رَضِينَا
فَالْمَوْتُ آتٍ إِلَيْنَا　　جَمِيعِنَا مَا حَيِينَا
كَمْ بِالْمَطَامِعِ أُغْرُوا　　فَاسْتَسْخَفُوا الْمُغْرِينَا
فَإِنْ تَسَلْ عَنْ أُسُودِ الْإِسْلَامِ يَوْم ابْتُلِينَا
فَاخْتَرْ مَسَاجِدَ كَانَتْ　　تَعُجُّ بِالْمُتَّقِينَا
وابْحَثْ تَجِدْ فِي الزَّوَايَا　　مِنْهَا عَرِيناً عَرِينَا
وَمِنْ مَفَاخِرِ دِينِي　　أَنْ كَانَ فِي الْآخِرِينَا
مَنْ أَبْرَزَ اللَّهُ فِيهِمْ　　نَمَاذِجَ الْأَوَّلِينَا

○ ○ ○

رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبّاً　　وَدِينَهُ لِي دِينَا
رَضِيتُ طَهَ نَبِيّاً　　وَمُرْسَلاً وأَمِينَا
رَضِيتُ تَنْزِيلَ رَبِّي　　لَنَا كِتَاباً مُبِينَا

○ ○ ○

فَهَلْ رَضِيتُمْ بِهٰذا؟　　قُولُوا: رَضِينَا رَضِينَا

○ ○ ○

عَجِبْتُ لِهٰذا الدِّينِ مَا ازْدَادَتِ الْقُوَىٰ
لِتَهْدِيمِهِ إِلَّا تَمَكَّنَ وَاعْتَلَىٰ
تَكَاثَرَ فِي كُلِّ الْبِلَادِ خُصُومُهُ
يَكِيدُونَهُ بِالْحَرْبِ والشَّتْمِ والْفِرَىٰ
يُجَدِّدُ شَيْطَانُ الْيَهُودِ حِبَالَهُ
لِيَمْكُرَ بِالْإِسْلَامِ يَبْغِي بِهِ الرَّدَىٰ
وَتَقْذِفُهُ الصُّلْبَانُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
وَتَطْعَنُهُ حُمْرُ الْعَقَائِدِ[1] فِي الدُّجَىٰ
وَتَنْخَرُهُ مِنْ دَاخِلِ الصَّفِّ حَرِبَةٌ
مُسَخَّرَةٌ مِنْ خَارِجِ الصَّفِ بالرُّشَا
وَيَبْتَكِرُونَ الْمَكْرَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ
وَقَدْ جَنَّدُوا مِنْ حَوْلِهِ مُعْظَمَ الْقُوَىٰ
وَلَكِنَّهُمْ مَهْمَا اسْتَعَدُّوا لِحَرْبِهِ
يَخِيبُوا فَإِنَّ الْحَقَّ مَنْزِلُهُ الْعُلَا
وَمَا بَعْدَهُ إِلَّا الضَّلَالَةُ والرَّدَىٰ
سَيَبْقَىٰ مَدَىٰ الدُّنْيَا وَلَوْ كَرِهَ الْعِدَا
تَمَسَّكْ بِدِينِ اللَّهِ يَا طَالِبَ الْهُدَىٰ
وَقُمْ وادْعُ لِلْإِسْلَامِ وَلْيَعْوِ مَنْ عَوَىٰ
فَلَوْ جَمَعَ الْأَعْدَاءُ كُلَّ قِوَاهُمُو
عَلَيْنَا فَنَحْنُ الْغَالِبُونَ بِلَا مِرَا
لَئِنْ غَلَبُوا مِنَّا الْجُسُومَ فَحَقُّنَا
هُوَ الْغَالِبُ الْمَنْصُورُ بِالْفِكْرِ والْحِجَا

(١) أي: أصحاب العقيدة الشيوعية.

وكُلُّ خُطاً يَجْتَازُهَا الْعِلْمُ فِي الْـوَرَىٰ
سَتَشْهَـدُ لـلْإِسْلَامِ بِـالْحَقِّ والْهُـدَىٰ
سَتَظْهَـرُ فِي الـدُّنْيَا عَجَائِبُ جَمَّـةٌ
تُـؤَكِّـدُ أَنَّ الـدِّينَ حَقٌّ مِنَ السَّمَـا

○ ○ ○

الـلَّـهُ جَـلَّ سَنَـاهُ فِـي كَـوْنِـهِ سَـيُـرِيـنَـا
بِـأَنَّـهُ الْـحَـقُّ جَـلَّتْ آيَـاتُـهُ تَـبْـيِـيـنَـا
مَـهْـمَـا ارتَـقَـيْـنَـا رَأَيْـنَـا آيَـاتِـهِ تَـهْـدِيـنَـا
نَـرَىٰ بِـهِـنَّ جَـلَالَ الـرَّحْـمَـنِ حَـقّـاً يَـقِـيـنَـا
وَفِـي الـنُّـفُـوسِ سَنَـلْقَىٰ أَدِلَّـةَ الـلَّـهِ فِـيـنَـا
سَـيَـعْـلَـمُ الـنَّـاسُ عِـلْمَ الْـيَـقِـيـنِ مَـنْ بَـارِيـنَـا
سَـيَـعْـلَـمُـونَ بِـأَنَّ الْإِسْـلَامَ قَـدْ عَـزَّ دِيـنَـا
وأن طَـٰهَ نَـبِـيٌّ وَخَـاتَـمُ الْـمُـرْسَـلِـيـنَـا
وأَفْـضَـلُ الـرُّسْـلِ طُـرّاً وَسَـيِّـدُ الْـعَـالِـمِـيـنَـا

○ ○ ○

رَضِـيـتُ بِـالـلَّـهِ رَبّـاً وَدِيـنَـهُ لِـيَ دِيـنَـا
رَضِـيـتُ طَـٰهَ نَـبِـيّـاً وَمُـرْسَـلاً وأَمِـيـنَـا
رَضِـيـتُ تَـنْـزِيـلَ رِبِّي لَـنَـا كِـتَـابـاً مُـبِـيـنَـا

○ ○ ○

فَـهَـلْ رَضِـيـتُـمْ بِهـذا؟ قُـولُـوا: رَضِينَـا رَضِـينَـا

○ ○ ○

فَـدَيْتُكَ يَـا إِسْـلَامُ بِـالْجَاهِ والـرُّتَبْ
وَبِالْمَنْصِبِ الْأَعْلَىٰ وَمَا فِيه مِنْ أَرَبْ

فَدَيْتُكَ بِالدُّنْيَا وَمَا ازْدَانَ مِنْ نَشَبْ
فَدَيْتُكَ بِالْغَالِينَ بِالْوَلَدِ الأَحَبّ
بِرُوحِيَ أَنْ تَضْوَىٰ وتَلْمَسَكَ النُّوَبْ
فَلَسْتُ أُبَالِي إِنْ سَلِمْتَ بِمَنْ عَطِبْ

○ ○ ○

فَدَيْتُكَ يَا دِينِي وَمَجْدِي وَقَائِدِي
بِنَفْسِي وَأَغْلَىٰ كُلِّ مَا مَلَكَتْ يَدِي
وصُنْتُكَ بالرَّحْمٰنِ مِنْ كُلِّ حَاسِدِ
وَدُمْتَ عَزِيزاً بِالأُسُودِ الأَمَاجِدِ

○ ○ ○

أُعِيذُكَ بِالرَّحْمَنِ مِنْ كُلِّ ذِي حَرَبْ
وَمِنْ شَرِّ ذِي شَرٍ خَبِيثٍ إِذَا وَقَبْ
يُعَادِيكَ لِلشَّيْطَانِ بِالظُّلْمِ وَالْكَذِبْ
وَيَقْذِفُ في مَسْرَاكَ بِالشَّوْكِ والْحَطَبْ
أَيُطْفِىءُ نُورَ اللّهِ مُنْفَجِرُ الحَبَبْ
أَيَكْتَبُ للدُّخَانِ نَصْرٌ عَلَىٰ الشُّهُبْ؟
أتَغْلِبُ نُورَ الشَّمْسِ ثَلْجِيَّةُ الْحُجُبْ؟
أَيَنْسِفُ مَاءَ الْبَحْرِ كَفٌّ مِنَ اللَّهَبْ؟

○ ○ ○

مَعَاذَ إِلٰهِ الْعَرْشِ أَنْ يُخْذَلَ الْهُدَىٰ
وَيُطْفِىءَ نُورَ اللّهِ مَنْ ضَلَّ واعْتَدَىٰ

---

(١) الحَبَبُ والْحَبَابُ: قد يطلق على فقاقيع الماء ونُفاخاته التي تطفو عليه وتنفجر. وهو أيضاً طرائق الماء وتكسُّراته.

سَيَنْتَصِـرُ الْإِسْـلَامُ نَـصْـراً مُخَـلَّدَا
وَيَبْقَىٰ عَـزِيـزاً فِي الْأَنَـامِ مُمَجَّـدَا
وَيُكْبِـرُ كُـلُّ الْعَـالِمِينَ مُـحَمَّـدَا
وَيَتْبَعُـهُ مَنْ صَـدَّقَ الْحَقَّ واهْتَـدَىٰ

○ ○ ○

رَضِـيـت بـالـلَّـهِ رَبّـاً وَدِيـنَـهُ لِـيَ دِيـنَـا
رَضِـيـتُ طَـهَ نَـبِـيّـاً وَمُـرْسَـلاً وَأَمِـيـنَـا
رَضِـيـتُ تَـنْـزِيـلَ رَبِّي لَـنَـا كِتَـابـاً مُـبِـيـنَـا

○ ○ ○

فَـهَـلْ رَضِـيـتُـمْ بِـهَـذَا قـولـوا: رَضِينَـا رَضِـينَـا

دمشق في سنة ١٣٨٥ هجرية (١٣٢ بيتاً)



٢٣

هذه القصيدة نظمتها في شهر ربيع الأول من سنة ١٣٨٦ هجرية الموافق لشهر تموز ١٩٦٦م وألقيتها في احتفال توجيهي كبير بجامع منجك في حي الميدان من دمشق الشام. وكنت يومها منقولاً من مدير التعليم الشرعي في وزارة الأوقاف، إلى عضو بحوث في وزارة التربية إبعاداً لي عن التعليم الشرعي وإدارته.

على إثر إلقائها استدعاني وزير التربية الدكتور مصطفى حدّاد، إلى جلسة تحقيق في الوزارة، وأطلعني على خطاب من رئيس مجلس الوزراء إليه، فيه أنني تهجمت في الحفل المذكور على نظام الحكم القائم.

وبدأت جلسة التحقيق، بحضور مفتش إداري في الوزارة، اسمه: «نسيب سعيد».

وكان السؤال: يقول التقرير إنّك ألقيت قصيدة تهجمت فيها على نظام الحكم القائم، فما تقول؟.

فأجبت: لقد اعتاد الناس أن يسمعوا مني قصيدة جديدة في كلّ شهر ربيع الأول من كلّ عام، وفي هذه السنة ألقيت قصيدة جديدة بعنوان:

«الصراع بين الحقّ والباطل»

تناولت فيها فكرة الصراع بين الحق والباطل، وأنصار الحق وأنصار الباطل، دون التحدّث عن نظام حكم قائم، أوماضٍ، في سورية أوفي غيرها، وقد اشتملت هذه القصيدة على أفكار أؤمن بها أصابت من أصابت، وأخطأت من أخطأت.

سأل الوزير: هل القصيدة موجودة عندك؟

قلت: نعم.

قال: إذن أحضرها، فإذا جئت بها فلا داعي لاستكمال التحقيق، وكان الوزير في تحقيقه مهذباً معي.

قلت: وهو كذلك.

وانفضت جلسة التحقيق، وأحضرت له في اليوم التالي نسخة منها، ودفعت بها إليه عن طريق مدير مكتبه.

ومضت مدّة شهر أو أكثر لا أذكر، فاستدعاني أمين عام الوزارة. وقد كان يومها الأستاذ محمود الأيوبي، الذي صار في أدوار لاحقة رئيساً لمجلس الوزراء.

فدخلت إليه، وتريّث في إبلاغي كلاماً كأنه يريد أن لا يبلغني به، ثم حدّثني بشأن القصيدة حديث منبّه محذّر، يشعرني بأنني إذا عدت إلى إلقاء قصيدة أخرى مماثلة عوقبت بالتسريح.

فقلت بإشارة اليد والشفتين: تفعلون ما تشاؤون، فالرزق على اللّه، ولم أُبْدِ اهتماماً لهذا التحذير، ثمّ سُرِّحتُ بعد نحو ثمانية شهور، يوم تسريح أبي وعمي وفريق من إخوانه، ومصادرة جمعيته ومدرسته الشرعية الخاصة، وإلقاء القبض على أبي وعمي وأخي، وجمهور كبير من المسلمين في سورية، وكان وزير التربية يومئذٍ الأستاذ «سليمان الخشّ» فطاف على مكاتب الوزارة، ودخل إلى المكتب الذي كنت فيه، وقال للموظفين: «حبنّكة» التقط. وكان مثلج الصدر بهذا النبأ، لأنه كان قد استدعاني وعرض عليّ الإشراف على وضع مناهج جديدة للتربية الإسلامية وبعث إلى المفتش الأستاذ «أحمد القادري» يغريني بإدخال المفاهيم الاشتراكية في مادّة التربية الإسلامية، وكان الوزير قد أطمعني بمنصب كبير إذا أنا استجبت لرغبته.

فلم يجَد استجابة لديّ، وعلم أنيّ أماطل، بعد أن كتبت له تقريراً بصلاحية المناهج القائمة، التي كان قد أشرف على وضعها المفتش المؤمن الغيور

الأستاذ عبدالرحمن الباني، وذكرت في تقريري أنها تحتاج إلى زيادة بعض عناصر أخرى، لكنّ ذلك يحتاج إلى زيادة عدد ساعات التربية الإسلامية إلى ثلاث ساعات أسبوعياً، بدل ساعتين.

لقد ساء الوزير هذا الأمر، فنقلني من عضو بحوث، إلى موظف عاديّ في الإشراف، واستدعى غيري لتغيير المناهج.

ثم كان التسريح، وكانت الملاحقة، وكانت الأحداث الجسام، وحلّت هزيمة السادس من حزيران ١٩٦٧م. وطاف «سليمان الخشّ» على مكاتب الوزارة يقول: إنّ إسرائيل لم تحقق أهدافها بإسقاط الحكم، وتغيير النظام، أمّا استيلاؤها على الأرض فأمره يسير، ثم جاءت تصحيحات داخل النظام، واقتيد «الخشّ» إلى السجن، وفيما يلي نصّ القصيدة منقحةً ببعض التنقيح:

الصراع بين الحقّ والباطل

إِذَا اصْطَرَعَ الحَقُّ وَالْبَاطِل
فَمَنْ مِنْهُمَا الصَّائِلُ الْجَائِلُ؟
وَمَنْ مَنْهُمَا الْبَطَلُ الْبَاسِلُ؟
وَمَنْ مِنْهُمَا الظَّافِرُ الْعَادِلُ؟
وَأَيُّهُمَا الْمَاكِرُ الْخَاتِلُ؟[1]
وَأَيُّهُمَا الْفَاجِرُ الْفَاشِلُ؟
وَأَيُّهُمَا الْعَرَضُ الزَّائِلُ؟

○ ○ ○

خَصِيْمَانِ كُلٌّ لَهُ غَايَةٌ ... وَكُلٌّ لَهُ نَاصِرٌ يَعْمَلُ
خَصِيْمَانِ: هَذَا هُدىً صَاعِدٌ ... وَذَلِكَ فِي كَدْحِهِ يَسْفُلُ
قَدْ اقْتَسَمَا مَنْهَجَيْ دَهْرِنَا ... وَبَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ يَفْصِلُ[2]
هُمَا الْخَيْرُ والشَّرُّ. نَجْدَاهُمَا ... نعيم ونارٌ. فَمَا الأفضل؟[3]
هُمَا لإِرَادَتِنَا كَاشِفٌ ... دَقِيقٌ. وَمُخْتَبَرٌ أَمْثَلُ
فَرِيْقَانِ كَدْحُهُمَا دَائِمٌ ... وَلَكِنْ شَرِيفٌ وَمُسْتَرْذِلُ
وَشَتَّانَ مَنْ فِي الْهُدَىٰ يَعْتَلِي ... وَمَنْ فِي ضَلاَلَتِهِ يَنْزِلُ
وَجُنْدَاهُمَا يَحْمِلُون الْقَنَا[4] ... إِذَا جَارَ ذَاك فَذَا يَعْدِلُ

---

(١) الخاتل: المخادع، الصياد المتخفي لصيده.
(٢) البرزخ: الحاجز بين الشيئين.
(٣) نجداهما: النجد هو الطريق الواضح، قال الله تعالى: ﴿وهديناه النجدين﴾.
(٤) القَنا: الرماح.

سَجَايَاهُمَا مِثْلُ نَجْدَيْهِمَا فَمَنْ مِنْهُمَا الْأَجْبَنُ الْأَقْتَلُ؟
سِلَاحُ ذَوِي الْحَقِّ فِي غِمْدِهِ مُعَدٌّ لِكَيْ يَرْهَبَ الْمُبْطِلُ
يُسَنُّ وَلَا يَعْتَرِيهِ الصَّدَا وَيُنْضَى إِذَا مَا اعْتَدَى الْأَرْذَلُ
بِأَيْدِي تُقَاةٍ لُيُوثِ الْوَغَى تُقَارِعُ بِالْعَدْلِ أو تُمْهِلُ
وَإِنْ عُزِلُوا عَنْ سِلَاحِ الْوَغَى فَمَا حَقُّهُمْ فِي الْوَرَى أَعْزَلُ
وَحِينَ تُشَاهِدُهُمْ قِلَّةً فَإِنَّ قَلِيلَهُمُو مُذْهِلُ
وَمَا لَيْسَ فِي طَبْعِهِ فَضْلُهُ فَلَيْسَ بِكَثْرَتِهِ يَفْضُلُ
كِرَامُ الْجَوَاهِرِ إِذْ تُنْتَقَى جِبَالُ الْحَصَى دُونَهَا تُهْمَلُ
وَقِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ عَامِلٍ تُقَاسُ بِمِقْدَارِ مَا يَعْمَلُ
وَعُدَّةُ ذِي الشَّرِ مَسْمُومَةٌ تَكِيدُ وَتَرْقُبُ مَنْ يَغْفُلُ
بِأَيْدِي بُغَاةٍ ثَعَابِينُهُمْ تَجُولُ بِلَيْلٍ وَتَسْتَغْفِلُ
وَتَمْلَأُ بِالْحِقْدِ أَنْيَابَهَا وَتَنْهَشُ مَهْمَا بَدَا الْمَقْتَلُ
فَإِنْ لَمْ تُطِقْ قَتْلَ أَعْدَائِهَا فَأَدْنَى رَفِيقٍ لَهَا تَقْتُلُ

○ ○ ○

إِذَا اصْطَرَعَ الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ
فَمَنْ مِنْهُمَا الصَّائِلُ الْجَائِلُ؟
وَمَنْ مِنْهُمَا الْبَطَلُ الْبَاسِلُ؟
وَمَنْ مِنْهُمَا الظَّافِرُ الْعَادِلُ؟
وَأَيُّهُمَا الْمَاكِرُ الْخَاتِلُ؟
وَأَيُّهُمَا الْفَاجِرُ الْفَاشِلُ؟
وَأَيُّهُمَا الْعَرَضُ الزَّائِلُ؟

○ ○ ○

خَصِيمَانِ: هَذَا إِلَى يَمْنَةٍ وَفِي نَيِّرَاتِ الْهُدَى يَعْمَلُ

وَذَلِـكَ يَـخْبِطُ[1] فِـي يَسْـرَةٍ   وَفِي ظُلُمَـاتِ الْـهَـوَىٰ يُـوغِـلُ

ㅇ ㅇ ㅇ

فَـأَهْـلُ الْيَمِينِ دُعُـاةُ الْـهُـدَىٰ   وَفِي أَيِّ أَرْضٍ لَـهُـمْ مَـنْـزِلُ
هُـمُـو أَنْجُمُ الْعِلْمِ أَهْـلُ التُّـقَىٰ   هُـمُـو الْعَـامِلُونَ بِمَـا حُـمِّلُوا
لَهُمْ كُـلُّ مَجْدٍ رَفِيـعِ الـذُّرَىٰ   مُضِيءٍ فَـإِنْ يَحْكُمُـوا يَعْـدِلُـوا
وَأَهْـلُ الشِّمَـالِ دُعَـاةُ الـرَّدَىٰ   هُـمُـو الْمُفْسِـدُونَ وَإِنْ دَجَّـلوا
وَإِنْ زَعَـمُـوا أَنَّـهُـمْ أَصْلَحُـوا   وَقَـالُـوا: فَـعَلْنَـا. وَلَـمْ يَفْـعَلُوا
هُمُـو الْمُعْتَـدُونَ طُغَـاةُ الْـوَرَىٰ   وَمَـا تَـدْعُـهُمْ لِلْهُـدَىٰ يَجْـهَلُوا
عُـدَاةُ الْكَمـالِ عُـدَاةُ السَّنَىٰ   وَفِي كُـلِّ جُحْـرٍ لَهُمْ مَـدْخَـلُ
وَفِي الشَّـرْقِ مَأْوىً لَهُمْ يُـرْتَجَىٰ   وَفِي الْغَـرْبِ مَـطْمَعُهُمْ يَـرْفُـلُ
وَيُـحْـزِنُـهُـمْ سَـيِّـدٌ مُـدْبِـرٌ   وَيَـخْـدَعُهُـمْ سَـيِّـدٌ مُـقْـبِـلُ
وَيَـقْـتَـادُهُـمْ مِـنْ هُـنَـا بَـاذِلٌ   وَيَـرْكَـبُـهُـمْ مِـنْ هُـنَـا مُـجْـزِلُ
ظُـهُـورُهُـمُـو لِـبَـغَـايَـا الْعِـدَا   مَـرَاكِـبُ مَـا شِئْـنَـهُ تَـحْـمِـلُ

ㅇ ㅇ ㅇ

فَـرِيـقَـانِ كُـلٌّ لَـهُ خِـطَّـةٌ   تُـدَنِّسُ فِي الْأَرْضِ أو تَغْـسِـلُ
نَقِيضَـانِ مَـا ائْتَـلَفَـا طَـرْفَـةً   وَجَـمْـعُ النَّقِيضَيْنِ لَا يُـعْـقَـلُ
وَبَيْنَـهُمَـا الْـحَـرْبُ لَا تَنْـتَـهِي   يُـؤَجِّـجُـهَـا الْـفَـاجِـرُ الْأَرْذَلُ
فَـيُـوقِـدُ بِـالْكَـيْـدِ نِـيـرَانَـهَـا   وَيُشْعِـلُ فِي الشَّـرِّ مـا يُشْعِـلُ
مَـقَـالَـتُـهُ مَـا بَـغَـىٰ أَوْ طَـغَـىٰ   لِأَجْـنَـادِهِ: دَمِّـرُوا واقْـتُـلُوا

ㅇ ㅇ ㅇ

وَيَـدْفَـعُ ذُو الْحَقِّ شَـرَّ الْعِـدَا   فَيَقْـتُـلُ بِـالْـحَـقِّ أَوْ يُـقْـتَـلُ
مَقَـالَتُـهُ مَـا عَـلَا فِي الْـوَرَىٰ   لِأَجْـنَـادِهِ: أَصْلِحُـوا واعْـدِلُـوا

---

(١) يخبط: الخبط الضرب والوطءُ الشديد.

حَصِيفُ الْفُؤَادِ عَفِيفُ الْهَوَىٰ ... عَنِ الْمَجْدِ والرُّشْدِ لَا يَنْزِلُ
مُقِيمٌ بِحُبِّ رَسُولِ الْهُدَىٰ ... وَعَنْ طَاعَةِ اللَّهِ لَايَرْحَلُ

○ ○ ○

خَصِيمَانِ: هَذَا لَهُ جُنْدُهُ ... وَذَاكَ شَيَاطِينُهُ تَنْسِلُ
فَجُنْدُ الْهُدَىٰ بَايَعُوا رَبَّهُمْ ... وَسَارُوا الْهُوَيْنَىٰ وَمَا استعجلوا
وَأَعْظِمْ بِجُنْدِ الْهُدَىٰ أَنْجُماً ... تُضِيءُ وَتَهْدِي وَلا تَأْفِلُ
وَإِنْ غَرَبَتْ عِنْدَ مَرْأَىٰ الْوَرَىٰ ... فَفِي الْخُلْدِ مَطْلِعُهَا الْأَكْمَلُ
رَوَاصِدُ فِي الْأُفْقِ. حُرَّاسُهُ ... إِذَا مَسَّهُ مُفْسِدٌ يُقْتَلُ
فَلَا تَعْجَبَنَّ لِشُهْبٍ هَوَتْ ... فَهُنَّ قَوَاتِلُ مَنْ يَخْتِلُ

○ ○ ○

وَجُنْدُ الضَّلَالَةِ عُمْيُ الْهَوَى ... وَمِثْلُ الْجَرَاثِيمِ لَا تَعْقِلُ
تَسِيرُ بِلَا غَايَةٍ تُرْتجى ... فَتَشْمَلُ بِالْفَتْكِ مَنْ تَشْمَلُ
شَيَاطِينُ مِثْلُ الْوَبَا والرَّدَىٰ ... هُنَا أَفْسَدُوا وَهُنَا قَتَّلُوا
وَإِنْ تَتَحَرَّكْ بِهِمْ شَهْوَةٌ ... فَهُمْ بِأَضَالِيلِها حُفَّلُ
فَحَنْظَلُهُمْ عَسَلٌ فَاخِرٌ ... وَأَعْسَالُ غَيْرِهِمو حَنْظَلُ
وَكَمْ شَبَحٍ صُنْعِ أَوْهَامِهِمْ ... لَهُ حَشَّدُوا وَلَهُ كَتَّلُوا
وَعَجُّوا وضَجُّوا بِلَا مُقْتَضٍ ... وَمِنْ دُونِ مَا مُفْزِعٍ هَوَّلُوا[1]
لَكَمْ أَرْعَدُوا. وَلَكَمْ أَوْعَدُوا ... وَأَشْبَاحُ أَرْؤسِهِم تَعْمَلُ
وَتَنْسُجُ أَنْمُلُهُمْ كَيْدَهُمْ ... وَأَوْهَامُ أَنْفُسِهِمْ تَغْزِلُ
وَكَمْ يَنْشُرونَ رَقِيباً لَهُمْ ... وَخَيْرُ رَقِيبٍ لَهُمْ أَحْوَلُ
وَجُنْدُ الْهُدَىٰ كُلَّمَا أُرْجِفُوا ... نَمَا فِيهِمُو الْأَمْنُ واسْتَبْسَلُوا
وزَادُوا ثَبَاتاً وَزَادُوا هُدىً ... وَأَنْفُسُهُمْ مِنْ رِضىً تَنْهَلُ

---

(١) هوّلوا: خوّفوا بشدة.

أَلَا يَعْلَمُ اللَّهُ مَنْ يَجْتَبِي وَيَعْلَمُ مَنْ هُلْكُهُ أَوَّلُ؟!
فَكَيْفَ يَخَافُونَ مَنْ لَيْسَ فِي يَدَيْهِ نَجَاةٌ وَلَا مَقْتَلُ؟!
وَمَنْ يَعْرِفِ اللَّهَ لَمْ يَخْشَ مِنْ سِوَاهُ وَلَوْ عَظُمَ الْجَحْفَلُ

○ ○ ○

إِذَا اصْطَرَعَ الْحَقُّ والْبَاطِلُ
فَمَنْ مِنْهُمَا الصَّائِلُ الْجَائِلُ؟
وَمَنْ مِنْهُمَا الْبَطَلُ الْبَاسِلُ؟
وَمَنْ مِنْهُمَا الظَّافِرُ الْعَادِلُ؟
وَأَيُّهُمَا الْمَاكِرُ الْخَاتِلُ؟
وَأَيُّهُمَا الْفَاجِرُ الْفَاشِلُ؟
وَأَيُّهُمَا الْعَرَضُ الزَّائِلُ؟

○ ○ ○

أَلَا فَاسْأَلِ الدَّهْرَ عَمَّا جَرىٰ بِهِ يَأْتِكَ النَّبَأُ الْأَمْثَلُ
أَمَا انْتَصَرَ الْحَقُّ لَمَّا انْجَلَىٰ بِدَعْوَةِ مَنْ لِلْوَرَىٰ أُرسِلُوا؟
أَمَا ظَهَرَ الْحَقُّ لَمَّا أَتَىٰ بِهِ خَاتَمُ الرُّسُلِ الْأَفْضَلُ؟
مُحَمَّدُ أَكْمَلُ كُلِّ الْوَرَىٰ وَشِرْعَتُهُ الشِّرْعَةُ الْأَكْمَلُ

○ ○ ○

أَتَىٰ النَّاسَ يَدْعُوهُمُو لِلْحَيَا ةِ: هٰذِي سَعَادَتُكُمْ فَاقْبَلُوا
هُنَا مَجْدُكُمْ. وَهُنَا عِزُّكُمْ وَبَاذِخُ نَعْمَتِكُمْ. فَادْخُلُوا
يُبَلِّغُ عَنْ رَبِّهِ دِينَهُ كَمَا هُوَ مِنْ رَبِّهِ يَنْزِلُ
فَلَيْسَ بِمُسْتَبْدِلٍ كِلْمَةً وَلَا يَسْتَزِيدُ وَلَا يَبْخَلُ
ويَتْبَعُ الْوَحْيَ فِي حُكْمِهِ وَعَنْ مَنْهَجِ اللَّهِ لَا يَعْدِلُ
وَمَا أُسْوَةٌ حَسُنَتْ فِي الورىٰ تُدانيهِ فِي كُلِّ مَا يَجْمُلُ
يَقُولُ فَتَنْبَثُّ مِنْ قَوْلِهِ نُجُومٌ تُضِيءُ وَلَا تَأْفِلُ

لَهَـا فِي الْأَثِيـرِ مَسِيـرُ الْهُـدَىٰ ... وَوَابِـلُ أَنْـوَارِهَـا يَـهْطِلُ[1]
يُصِيبُ الْقُلُوبَ بِمَـاءِ الـرِّضَى ... وَيُـوغِلُ كَـالرُّوحِ إِذْ تُـوغِلُ
فَمَنْ يَسْتَجِبْ يَـرْتَشِفْ سَعْـدَهُ ... فَـيُحْيِي الْـفُؤَادَ بِـمَـا يَنْهَـلُ

○ ○ ○

أَتَىٰ النَّـاسَ غَـرْقَىٰ بِـآلَامِهِمْ ... وَلَـيْـلُ ضَـلَالَـتِهِـمْ أَلْـيَـلُ
وَأَمَّـا بَقَـايَـا الْهُـدَىٰ فِيهِمُـو ... فَجَـوْهَـرُهَـا ضَـائِـعٌ مُهْمَـلُ
فَـبَصَّـرَهُـمْ بِـسَبِيـلِ الْـهُـدَىٰ ... وأَنْـذَرَهُـمْ إِنْ هُـمُـو أَهْـمَـلُوا

○ ○ ○

أَتَىٰ النَّـاسَ لَا يَنْتَهِي فُحْشُهُمْ ... وَلَا بَغْيُهُـمْ عَـنْـهُـمُـو يَـرْحَـلُ
يُسِيمُـونَ أَهْـوَاءَهُمْ فِي الْخَنَـا ... وَنَـبْـعُ الشُّـرُورِ لَهُـمْ مَنْهَـلُ
وَثَـوْبُ الـرِّيَـاءِ عَلَىٰ مَـا بَغَـوْا ... وَمَـا أَفْـسَـدُوا مُسْـدَلٌ مُسْبَـلُ
فَـبَـصَّـرَهُـمْ. وَهَـدَاهُـمْ إِلَـىٰ ... حَمِيدِ الْـخِـصَـالِ لِكَيْ يَجْمُلوا

○ ○ ○

وَسَـارَ الـرَّسُـولُ مَسِيـرَ الضِّيَـا ... ءِ يَهْـدِي. ويَبْـذُلُ مَـا يَبْـذُلُ
كَـغَيْثٍ مُغِيثٍ عَـظِيمِ السَّنَىٰ ... فَيَسْقِي وَيَـهْـدِي وَلَا يَبْـخَـلُ
وَجَـاهَـدَ فِي اللَّهِ جَمَّ الـرِّضَىٰ ... وَلَـمْ يَـثْـنِـهِ مُـعْـتَـدٍ مُبْـطِلُ
وَأَلْـزَمَ بِـالْـحَـقِّ أَقْـوَالَـهُ ... وَبِالْعَـدْلِ والْفَضْـلِ مَـا يَعْمَـلُ
وَغَـلَّفَ آلَامَـهُ بِـالـرِّضَـىٰ ... وَأَلْقَىٰ عَلَىٰ الصَّـبْـرِ مـا يَثْـقُـلُ
وَشَـدَّ عَلَىٰ الْعَزْمِ مَـا يَرْتَجِي ... وَأَلْـجَمَ بِـالْـحَـزْمِ مَـا يَـأْمُـلُ
وَعَـالَـجَ بِـالْـعَـفْـوِ مُـرَّ الْأَذَىٰ ... وَقَـابَـلَ بِـالْحِلْمِ مَـنْ يَجْـهَـلُ
وبِـالْجُـودِ دَاوَىٰ عِـدَاءَ الْعِـدَا ... فَصَـارَ رِضىً دَاؤُهَـا الْمُعْضِـلُ
وَكَمْ مِنْ عَـدُوٍّ بِـوَفْـرِ النَّـدَىٰ ... تَـحَـوَّلَ ذَا خُـلَّةٍ تُـذْهِـلُ

---

(١) الوابل: المطر الغزير.

وَذَاقَ مِنَ الْحَقِّ طِيبَ الْهَنَا فَسَارَ إِلَىٰ رَبِّهِ يَرْمُلُ
يَوَدُّ الشَّهَادَةَ فِي اللَّهِ أَوْ يَرَىٰ الحَقَّ فِي عِزِّهِ يَرْفُلُ

○ ○ ○

وَسَارَ الرَّسُولُ مَسِيرَ الضِّيَا ءِ يَهْدِي وَيَبْذُلُ مَا يَبْذُلُ
وأصْحَابُهُ أَنْجُمٌ يَهْتَدِي بِهَدْيِهِمُو النَّاسُ إنْ يَعْقِلُوا
وَكَرَّ الْبُغَاةُ إِلَىٰ حَرْبِهِمْ وَكَانَتْ مَنَايَاهُمُو تُقْبِلُ
تُبَطِّئُ فِيهِمْ ضَلالاَتُهُمْ وَذُو الشَّرِّ مَهْمَا عَدَا فِسْكِلُ
تَمِيدُ بِهِ الْأَرْضُ مِنْ تَحْتِهِ وَبِالشَّرِّ كَاهِلُهُ مُثْقَلُ
أَخُو الشَّرِّ فَأْرٌ جَبَانُ الْخُطَا يُنَافِقُ بِالْمَكْرِ أَوْ يَخْتِلُ
دَنِيءُ السُّلُوكِ إذَا مَا اعْتَلَىٰ يُهِينُ وَيَفْجُرُ أَوْ يَقْتُلُ

○ ○ ○

وذو الْخَيْرِ يُسْرِعُ فِيهِ الْهُدَىٰ وَيَسْمُو بِهِ الْأَمَلُ الْمُخْضَلُ
شُجَاعُ الْفُؤَادِ عَفِيفٌ إِذَا تَمَكَّنَ يَصْفَحُ أَوْ يَعْدِلُ

○ ○ ○

وكانت حَيَاةُ نَبِيِّ الْهُدَىٰ كَخِصْبِ الْحَيَاةِ لَمَنْ أَمْحَلُوا
وَكَالصُّبْحِ مِنْ بَعْدِ طُولِ الدُّجَىٰ وَكَالزَّادِ والنَّاسُ قَدْ أَرْمَلُوا[1]
وَمِثْلَ الشِّفَاءِ لِمَنْ عَمَّهُمْ وَبَاءٌ إِذَا حَلَّ لَا يَرْحَلُ
وَكَانَتْ رِسَالَتُهُ لِلْوَرَىٰ حَيَاةَ الْخُلُودِ لِمَنْ يَعْقِلُ

○ ○ ○

وَلَمَّا انْجلَتْ غَزَوَاتُ الرَّسُو لِ تُوِّجَ بَالنَّصْرِ مَنْ هَلَّلُوا
رِجَالٌ عَلَىٰ الْعَهْدِ. مِنْهُمْ قَضَىٰ شَهِيداً وَبَاقُونَ مَا بَدَّلُوا
وَسَارَ إِلَىٰ الْفَتْحِ أَبْطَالُهُمْ سَحَائِبُهُمْ بِالنَّدَىٰ تَهْطِلُ

---

(١) أرملوا: نفر زادهم.

وَخَـابَـتْ أَمَـانِـيُّ كُـفَّـارِهَـا ... وَبَـدَّدَهُـمْ صَـارِمٌ[1] أَعْـدَلُ
حَـبَـا الـلَّـهُ حُـرَّاسَ قُـرْآنِـهِ ... مِنَ الْفَـتْـحِ فَـوْقَ الَّـذِي أَمَّلُوا

○ ○ ○

فَمَنْ يَا تُرَىٰ بَعْدَ طُولِ الصِّرَا ... عِ يَعْلُو وَمَنْ يَـا تُـرىٰ يَسْفُـلُ؟
وَمَـنْ سَيُـتَـوَّجُ بَـعْـدَ الْقِرَا ... عِ تَـاجَ النَّجَاةِ وَمَنْ يَـفْشَـلُ؟
أَذُو الْحَقِّ يُنْصَـرُ بَـعْـدَ الْـوَغَىٰ ... وَيَجْنِي النَّـجَـاةَ أَمِ الْمُـبْـطِلُ؟

○ ○ ○

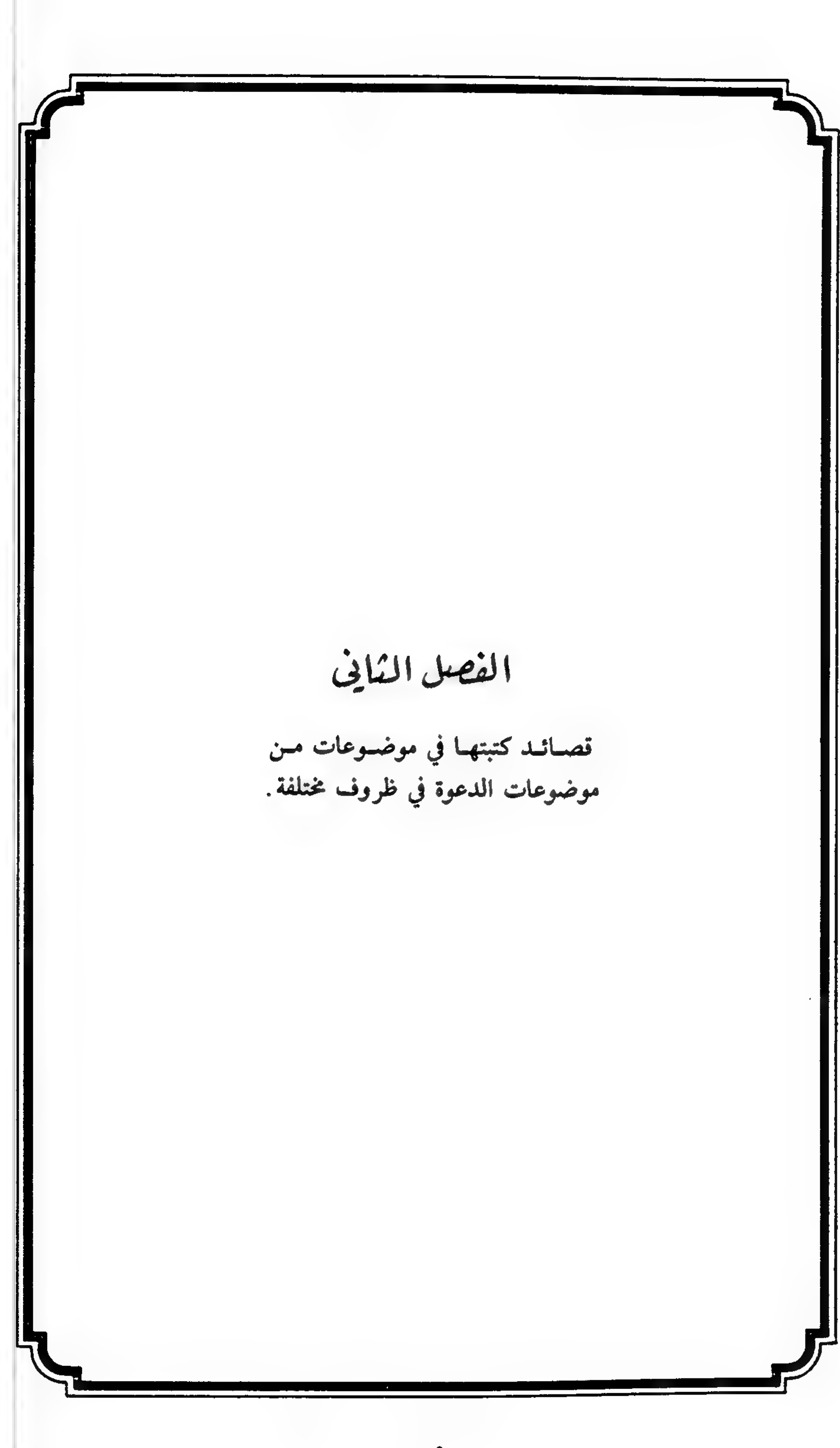
أُرَاجِـعُ مَـا مَـرَّ مِـنْ أَعْـصُـرٍ ... وَأَسْـأَلُ عَـنْـهُـنَّ مَـا أَسْـأَلُ
فَـتُـدْهِـشُـنـي عِـبَـرٌ جَـمَّـةٌ ... خَـوَالِي الْعُصُورِ بِهَـا تَحْفِـلُ[2]
فَمَهْمَـا اسْتَقَـامَ دُعَـاةُ الْهُـدَىٰ ... فَـمَـا لِلْعُـلَا عَنْهُـمُـو مَـعْـدِلُ
وَمَهْمَـا عَصَـوْا فِي شُروطِ الْعُلا ... وَإِنْ كَـثُـرُوا عَـدَداً يُـخْـذَلُـوا
وَإِنْ يَجْهَلُوا سِـرَّ خِـذْلَانِـهِمْ ... فَحِكْمَـةُ ذِي الْعَرْشِ لَا تَجْهَـلُ
وَمَـهْـمَـا يَـعُـودُوا إلى دِينِـهِـمْ ... يَـعُـدْ لَـهُـمُـو الـظَّـفَـرُ الأَوَّلُ
شَـرِيـعَـتُـهُـمْ وَسَطٌ مُـرْتَـقٍ ... لَـهُ مَـنْـهَـجٌ قَـيِّـمٌ أَعْـدَلُ
لَـهُ شَـاطِئَـا قِـمَّـةٍ بَـيِّـنَـا ... نِ. وَرَاءَهُـمَـا شُبَـهٌ تَـدْخُـلُ
وَدُونَ الْـيَـمِـيـنِ هَـوىً قَـاتِـلٌ ... وَدُونَ الـشِّـمَـالِ هَـوىً أَقْـتَـلُ
وَمَهْمَـا بَغَـوْا واسْتَلَذُّوا الْهَـوَىٰ ... وَرَاءَ الْـيَـمِـيـنِ ولَـمْ يَـعْـدِلُـوا
أَصَـابَتْهُمُـو مِنْ سَمُـومِ الشِّمَـا ... لِ رِيـحٌ تُـجَـدِّلُ أو تَـقْـتُـلُ[3]
وأَلْقَـتْ بِهِمْ فِي طَرِيقِ الـرَّدَىٰ ... بِـمُـنْـحَـدَرٍ هُـلْـكُـهُ مُـشْـمِـلُ
وَمَـهْـمَـا يَـعُـودُوا إلىٰ دِينِـهِـمْ ... يَـعُـدْ لَـهُـمُـو الـسُّـؤدُدُ الأَوَّلُ

دمشق في شهر ربيع الأول سنة ١٣٨٦ هجرية ... (١٣٤ بيتاً)

---

(١) صارم: سيف قاطع. (٢) تحفل: تجمع وتحوي. (٣) تُجَدّل: تصرع.





الفصل الثاني

قصائد كتبتها في موضوعات من
موضوعات الدعوة في ظروف مختلفة.

٢٤

دعــاء

يَارَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا الزَّلَّات واعْفُ فَمَا ... لِمُــذْنِبٍ دُوْنَـكَ اللَّهُمَّ مِنْ أَمَــلِ

يَــا رَبِّ إنّ خَطَايَانَا لَقَـدْ عَظُمَتْ ... وَبَعْضُ عَفْوِكَ يَمْحُو أَعْظَمَ الزَّلَلِ

يَارَبِّ واجْمَعْ شَتَاتَ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ ... رِضَاكَ فِي وَحْدَةِ الْأَقْوَالِ والْعَمَلِ

يَارَبِّ إنْ شِئْتَ أَلَّفْتَ الْقُلُوبَ فَلَا ... نُفُـورَ فِيهَا. فَـأَلِّفْ بَيْنَهَـا وَصِـلِ

وَأَيِّـدِ الْحَقّ وانْـصُــرْ أَهْلَهُ وَأَقِـمْ ... فِي الْأَرْضِ دَوْلَتَهُ الكُبْرَىٰ على الدُّوَلِ

اللَّـهُ دَعْــوَتُهـا. والْحَقُّ مَبْـدَؤُهَـا ... وَالْعَدْلُ أَحْكَامُها. صِينَتْ مِنَ الْخَطَلِ

وَشِرْعَةُ اللَّـهِ بَيْنَ النَّاسِ شِرْعَتُهـا ... وَهَدْيُ أَحْمَدَ يَحْمِيهَـا مِنَ الزَّلَلِ

وَنَيْلُ مَرْضَاةِ رَبِّ الْعَرْشِ غَـايَتُها ... وَمَقْصِدُ الْخَيْرِ حَادِيهَا عَلَىٰ السُّبُلِ

والْعِلْمُ كَـوْكَبُهَـا. والْعَـزْمُ مَنْكِبُهَـا ... وَالْبَأْسُ مَرْكَبُهَا فِي الْحَادِثِ الْجَلَلِ

والْعَوْنُ فِيهَا السَّدَىٰ والْحُبُّ لُحْمَتُهُ ... وَهٰـذِهِ فِي الْبَرَايَـا دَوْلَـةُ الـرُّسُـلِ

بومبي في سنة ١٣٧١ هجرية ... (١٠ أبيات)

مع تنقيح يسير عند وضعها هنا.

٢٥

في سنة ١٣٧١ هجرية قبيل موسم حج هذه السنة، زار الشيخ توفيق الهبري، وهو أحد أعيان لبنان ومن رجال بيروت ذوي المكانة، والدي في داره بحي الميدان من دمشق الشام، رحمهما الله، وجعلهما في علّيين.

ونقل الشيخ توفيق لأبي رغبة الشيخ محمد علي زينل علي رضا، باستقدام أحد طلاب العلم من دمشق إلى بومباي لتعليم كريماته علوم الدين واللّغة العربية.

وانتدبني أبي لهذه المهمة، وكنت يومئذٍ مسجلاً في كلية الشريعة بالأزهر، في السنة الرابعة منها، وكانت خطّة الرحلة أن أسافر إلى الحجاز حاجّاً، وأنزل ضيفاً على آل زينل، ثم أسافر بعد الحج على إحدى البواخر التي يحملون عليها الحجاج الهنود إلى بومباي.

وقبيل مقدم الشيخ توفيق رأيت رُؤْيَيَيْن:

الأولى: رأيت أني في مكان ما، وسمعت هاتفاً يقول لي: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنّة» ولم يكن الحج في ذلك العام يخطر على بالي مطلقاً، وغير متيسّر بالنسبة إليَّ، وكانت هذه الرؤيا بشرىٰ تحققت بما حدث بعدها.

الثانية: رأيت في حجرة المكتبة والدرس من بيت السكن الذي يُقيم فيه أبي هو وأسرته، سيدنا رسول الله ﷺ، على صورته وهيئته المذكورة في الشمائل، ورأيتني قابضاً بكفَيَّ على رسغي النبي ﷺ، ويداه مرتفعتان وكفاه مفتوحتان إلى السماء على هيئة الواقف موقف الدعاء، وأنا أقول له: يا رسول الله ادع لي، وهو يدعو لي، لكنّي لم أعرف شيئاً مما دعا لي به.

وكانت هذه بشرى ثانية.

فلمّا قدم الشيخ توفيق الهبري، وعرض على أبي ما عرض وانتدبني أبي للمهمة، لم أتردد في الاستجابة للطلب، مع أَنَّ السنة بالنسبة إليَّ سنة تحصيل الشهادة العالية من كلية الشريعة، وهي مرحلة مهمة بالنسبة إلّي يومئذ.

وتعقدت إجراءات السفر إلى الحجاز لأداء فريضة الحجّ، ثم لـمْ تنحلّ المشكلات، ولم يتهيأ لي مقعد في طائرات الحج، إلاّ في صباح يوم عرفة، وكان ذلك من مطار بيروت.

ووجدت نفسي في جدّة ضحى يوم عرفة، وحُمِّلْنَا على سيارات شحن إلى عرفات مباشرة، في شمس حارة، وفي شهرٍ من أشهر الصيف شديدة الحرّ.

وقضى الله لي حجاً بفضله وحمايته، وكنت أشاهد عشرات الحجاج يتساقطون أمامي من ضربات الشمس، وحماني الله، وآواني في منى ومكة عند إخوان من بلدي عرفوني.

ثم اتصلت بآل زينل، ونقلوني إلى بومباي على إحدى بواخرهم التي ينقلون عليها الحجاج الهنود.

ووصلت إلى بومباي، ووجدت الشيخ محمد علي زينل علي رضا يستقبلني هو وبعض إخوانه في الميناء، وانتقلت إلى ضيافته، وخصص لي مكاناً للإقامة.

وبدأت مهمتي، ونفسي معلقة بمصر، للحصول على شهادة كلية الشريعة.

وكتبت في هذه الأثناء، ذكرى رحلتي إلى الحجة الأولى من حجات عمري، وهذه هي بعنوان:

«ذكرى رحلتي إلى الحج»

ذكرى رحلتي إلى الحجّ

سَقَيْتَنِي الْوَجْدَ حَتَّىٰ هَاجَنِي الْوَلَعُ ... وَقُلْتَ: هَيّا. فَإِنَّ السَّفْرَ قَدْ هُرِعُوا
فَاسْقِ الْمَطَايَا شَرَابِي كَيْ تَمُرَّ بِنَا ... مَرَّ الْخَيَالِ. فَمَا فِي الصَّبْرِ مُتَّسَعُ
طَافَ الْحَجِيجُ. وَثَنَّوْا بِالْوُقُوفِ فَيَا ... وَيْحَ الْمَشُوقِ عَلَىٰ نَأْيٍ إِذَا دَفَعُوا
فِي أَرْضِ لُبْنَانَ مَا زِلْنَا نُعَاتِبُهَا ... لِأَنَّهَا أَخَّرَتْنَا والْهَوَىٰ هَلِعُ
بِاللَّهِ رِفْقاً بِنَا. إِنَّا نُحَاذِرُ أَنْ ... نَحُجَّ حَجَّ الْقَطَا وَالنَّاسُ قَدْ رَجَعُوا

○ ○ ○

أَعْظِمْ بِطَائِرَةٍ فِي الْجَوِّ تَنْقُلُنَا ... بِسُرْعَةِ الصَّوْتِ. لَا يَنْتَابُهَا ظَلَعُ(1)
كَخَاطِفِ السَّهْمِ سَبْحاً فِي الفضاء بِنَا ... غُدُوُّهَا أَشْهَرُ السَّارِينَ لَوْ ذَرَعُوا
وَعِنْدَ جَدَّةَ أُهْبِطْنَا كَمَا هَبَطَتْ ... مَلائِكٌ اتَّزَرُوا بِالسُّحْبِ والْتَفَعُوا

○ ○ ○

هَيَّا اهْرَعُوا لِمَطَايَا الْأَرْضِ وانْتَهِبُوا ... بِهَا الْبِطَاحَ. وَلَا تَأْلُوا. وَلَا تَدَعُوا
جِدُّوا الْمَسِيرَ بِنَا واسْقُوا مَطِيَّكُمُو ... نَاراً. فَإِنَّ سُقَاةَ النَّارِ قَدْ بَرَعُوا
سِيرُوا بِنَا قَدْ دَنَتْ سَاعَاتُ مُتْعَتِنَا ... وَلَاحَ نُورٌ بِهِ الْإِيمَانُ والْوَرَعُ
هَـٰذِي نَسَائِمُ بَيْتِ اللَّهِ تَنْفَحُنَا ... فِي صَدْرِهَا عَنْبَرٌ فِي وَجْهِهَا لُمَعُ
هَذَا صَدَىٰ الذَّاكِرِينَ اللَّهِ فِي أُذُنِي ... يَعُجُّ حُلْواً بِمَا لَبَّوْا وَمَا ضَرَعُوا
هٰذِي الثَّنَايَا الَّتِي مَرَّ الرَّسُولُ بِهَا ... فِي صَحْبِهِ فَاقْرَؤُوا فِيهَا الَّذِي صَنَعُوا

○ ○ ○

(1) ظلع: الظَّلْع العرج. وجاء فيه ظَلَع.

يَا عَيْنُ أَجْرِي النَّدَىٰ واسْقِي الثَّرَىٰ دِيَماً ... يَحْيَا بِهَا الْأَمْنُ. إِذْ يَقْضِي بِهَا الْجَزَعُ
يَا أَطْهَرَ الْأَرْضِ. يَا مَسْرَىٰ الْهُدَى احْتَفِظِي ... بِمَا بَكَيْتُ. فَلِي فِي حِفْظِهِ طَمَعُ
تَحَدَّثِي يَوْمَ عَرْضِ النَّاسِ عَنْ خَبَرِي ... الدَّمْعُ مُنْهَمِلٌ. والْقَلْبُ مُنْصَدِعُ
إِنْ لَمْ أُبَلِّلْكِ مِنْ نَفْسِي بِمَعْرَكَةٍ ... فَرُبَّمَا نَابَ دَمْعُ عَابِدٌ هَمِعُ

○ ○ ○

يَا نَفْسُ هٰذِي عِبَادَاتٌ مُحَبَّبَةٌ ... فِيهَا لِأَرْوَاحِنَا مَهْوىً وَمُرْتَبَعُ[1]
قُومِي انْظُرِي لِعِبَادِ اللَّهِ فِي طَرَبٍ ... كَأَنَّهُمْ فِي جِنَانِ الْخُلْدِ قَدْ رَتَعُوا
هَيَّا ادْخُلِي بَيْنَهُمْ بِالذُّلِّ وانْشَرِحِي ... صَدْراً بِمَا طَوَّفُوا طَوْراً وَمَا رَكَعُوا

○ ○ ○

دَوَّامَةٌ حَوْلَ بَيْتِ اللَّهِ دَائِرَةٌ ... وأَنْفُسٌ فِي سِبَاقِ الْحُبِّ تَنْدَفِعُ
وَحَوْلَ رَحْمَةِ رَبِّ الْكَعْبَةِ ازْدَحَمُوا ... مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ سَاقَهُمْ وَلَعُ
نَادَىٰ بِهِمْ صَوْتُ دَاعِي الْحَقِّ فَاسْتَمَعُوا ... وَأَذْعَنُوا لِنِدَاءِ الْحَقِ واتَّبَعوا
لِلَّهِ ما جَهِدُوا. لِلَّهِ مَا ظَمِئُوا ... لِلَّهِ مَا عَبَدُوا. لِلَّهِ مَا خَضَعُوا
قَدْ أَلَّفَتْهُمْ يَدُ الْإِيمَانِ فَأَتْلَفُوا ... وَجَمَّعَتْهُمْ يَدُ الرَّحْمٰنِ فَاجْتَمَعُوا
فَمَا يُفَرِّقُهُمْ لَوْنٌ وَلَا نَسَبٌ ... وَلَا يُبَاعِدُهُمْ خَوْفٌ وَلَا طَمَعُ
أُخُوَّةٌ نَسَجَ الْإِيمَانُ وَحْدَتَهَا ... قَوِيَّةٌ. إِذْ وَهَتْ مِنْ دُونِهَا بِدَعُ

○ ○ ○

يَارَبِّ لَبَّيْكَ جِئْنَا هَارِبِينَ. عَلَىٰ ... أَجْسَادِنَا لَكَ مِنْ أَكْفَانِنَا قِطَعُ
لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ. هذا الْخَوْفُ وَالطَّمَعُ ... لَبَّيْكَ. إِنَّا إِلَىٰ رُحْمَاكَ نَنْتَجِعُ
لَبَّيْكَ لَا عِزَّةٌ. لَبَّيْكَ لَا صَلَفٌ ... لَبَّيْكَ لَا زِينَةٌ. لَبَّيْكَ لَا مُتَعُ
لَبَّيْكَ لَا ذُو غِنىً زَانَتْهُ حُلَّتُهُ ... لَبَّيْكَ لَا ذُو رِقَاعٍ شَانَهُ الرُّقَعُ

---

(١) المرتبع: المنزل الذي ينزل فيه وقت الربيع.

لَبَّيْكَ. قَدْ مَاتَتِ الْأَلْقَابُ أَجْمَعُها   لَدَيْكَ. لَبَّيْكَ هَذا حَالُنَا شَـرَعُ[1]
لَبَّيْـكَ. أَلْسُنُنَـا ذِكْـرٌ. وَأَدْمُعُنَـا   ذُلٌّ. وَأَكْبُـدُنَـا ـ يَـارَبَّنَا ـ وَلَـعُ

○ ○ ○

مَا ذَلِكَ السِّرُّ فِي بَطْحَاءَ مُحْرِقَـةٍ   تَكَـادُ مِنْ حَرِّهَـا الْأَنْفَاسُ تَنْقَـطِعُ
كَأَنَّمَا عَرَصَاتُ الْحَشْرِ قَدْ بُسِطَتْ   والنَّاسُ مِنْ دَارِسِ الْأَجْدَاثِ قَدْ هُرِعُوا

○ ○ ○

لِلَّـهِ فِي عَـرَفَـاتٍ كُـلُّ عَـارِفَـةٍ[2]   الْجُـودُ مُنْـطَلِقٌ والْعَفْـوُ مُتَسِـعُ
وَرَحْمَـةُ اللَّهِ مَمْـدُودٌ سُـرادِقُهَـا   قُـولُوا لِكُـلِّ تَقِيٍّ: هٰهُنَا الـطَّمَعُ

○ ○ ○

يَا قَفْرُ مَا شَأْنُ خَضْرَاءِ الرِّيَاضِ وفِي   رِمَـالِكَ الـطَّاهِرَاتِ الـدِّينُ والْوَرَعُ
إِنْ كُنْتَ أَقْفَرْتَ مِنْ خُضْرِ الرِّيَاضِ فَقَدْ   أَنْبَتَّ لِـلْأَتْقِيـا جَنَّـاتِ مَـا زَرَعُـوا

○ ○ ○

وَغَـابَتِ الشَّمْسُ والْتَفَّتْ بِغَيْبَتِهَـا   تِلْكَ الْخِيَامُ كَأَنَّ السَّـيْـلَ يَنْـدَفِعُ
تَحَرَّكَ الكَوْنُ يَسْعَىٰ فِي الْمَضِيقِ فَهَلْ   تَمْشِي الْجِبَالُ مَعَ الْحُجَّاجِ إِذْ دَفَعُوا
مَنَاكِبُ لِلْجِبَالِ الشُّمِّ مَا ارْتَفَعَتْ   عَـنِ الزِّحَامِ. فَهَذَا الْحَشْدُ مُرْتَفِعُ

○ ○ ○

لِلَّـهِ آيَتُـهُ الـكُبْـرَىٰ وَحِـكْمَـتُـهُ   أَخْسِرْ بِجَافِينَ مَا لَبَّوْا وَمَا ضَرَعُوا

بومباي في ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٢ هجرية **(٤٤ بيتاً)**

---

(١) شَرَع: بفتح الراء وإسكانها أي سواء.
(٢) عارفة: العارفَةُ المعروف، وجمعها عوارف أي صنائع المعروف.

٢٦

في حجتي الأولى سنة ١٣٧١ هجرية علقت في نفسي ذكريات مؤثرات، منها ذكرى جبل النور، وهو جبل حراء، الذي كان يتعبد في غاره الرسول محمد ﷺ قبل النبوة، فيلبث فيه بين حين وآخر الليالي ذوات العدد، حتى نزل عليه الوحي جبريل عليه السلام. بالنبوّة والرسالة.

وكان من أثر ذكرى مشهد هذا الجبل قصيدة نظمتها بعد سفري من الحجاز إلى بومبي في الهند، وهي هذه القصيدة، وعنوانها:

«جبل النور»

جبـل النـور

سَلاَمٌ عَلَىٰ الْوَادِي سَلامٌ عَلَىٰ الْجَبَلْ ... وَصَـوْبُ التَّحَايَـا للسُّفُوحِ وَلِلْقُلَلْ
أَأَنْـتَ حِـراءٌ أَمْ حَـرِيٌّ بِـأَنَّنَـا ... نُكَلِّلُ فِيكَ الصَّخْرَ بالضَّمِّ والْقُبَلْ
سَــلاَمٌ عَلَىٰ غَـارٍ هُنَـاكَ مُمَتَّـعٍ ... بِأَجْمَلِ ذِكْرَىٰ مِنْ أَجْلِ مَنِ اعْتَزَلْ
تَبَسَّمَ هَـذا الْغَارُ يَـوْمـاً فَـأَشْـرَقَتْ ... سَعَادَةُ هَذَا الكَوْنِ مِنْ نَفْحَةِ الأَزَلْ
أَغَـارَ حِـرَاءٍ ضُمَّنِي فِيـكَ سَـاعَـةً ... لَعَلِّي أَرَى الْمَنْشُودَ مِنْ بَاسِمِ الأَمَلْ
بِرَبِّكَ أَسْمِعْنِي صَـدىٰ مَا سَمِعْتَـهُ ... رُجُوعاً إِلَىٰ مَاضِي الْقُرُونِ بِلاَ مَهَلْ
وَقِفْ عِنْدَ نَجْوىٰ اثْنَيْنِ فِي سَاعَةٍ بِهَا ... تَفَتَّحَ صَدْرُ الكَوْنِ لِلْحَادِثِ الْجَلَلْ

○ ○ ○

كَـأَنَّكَ يَـا جِبْرِيـلُ تَهْوَىٰ مُحَمَّـداً ... فَجِئْتَ لَهُ ضَمّاً وَلِلشَّوْقِ مَا فَعَـلْ
أَبَا الْقَاسِمِ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ وَادْعُهُ ... وَقُمْ مُنْذِراً فِي النَّاسِ يَا خَاتَمَ الرُّسُلْ

○ ○ ○

أَغَـارَ حِـرَاءٍ فِي حَنَـايَـاكَ مَعْبَـدٌ ... كَـرِيمٌ لِخَيْـرِ الْمُـرْسَلِينَ وَمُعْتَـزَلْ
عَلَىٰ ضِيقِكَ الْبَادِي اتَّسَعْتَ لِمُرْسَلٍ ... هِدَايَةُ كُلِّ النَّاسِ مَقْصِدُهُ الأَجَلْ
بِـرَبِّـكَ قُـلْ عَنْ مَـوَاطِىءِ أَحْمَـدٍ ... أَصُبُّ بِهَا ذَوْبَ الْجَوَانِحِ والْمُقَلْ
إِذَا بُعِثْتُ يَوْمَ الْحِسَابِ تَكُونُ لِي ... شَهَـادَةَ دَمْعٍ عِنْـدَ مَوْطِئِـهِ الأَجَلّ

○ ○ ○

أَغَارَ حِرَاءٍ مَا الَّذِي قَدْ أَحَاطَ بِـي ... مِنَ النُّورِ يُلْقِي هِزَّةً فِيَّ مَا اتَّصَلْ
أَغَـارَ حِـرَاءٍ وَقْـدُ نُـورِكَ مَسَّنِي ... أَحُلْماً أَرَىٰ أَمْ مَا الَّذِي حَوْلِيَ اشْتَعَلْ؟
أَهَـازِلَـةٌ تَنْتَـابُنِي ثُـمَّ تَخْتَفِـيْ ... تُداعِبُ قَلْبِـي أَمْ مِنَ الْجِدِّ مَا هَزَلْ؟

كَـأَنَّ فُؤَادِي يَرْشُفُ السَّعْـدَ والْهَنَا وَيُمْتِعُـهُ عَرْفٌ مِنَ الْغَـارِ مُخْتَـزَلْ

تُرَىٰ هِيَ أَنْفَاسُ الـرَّسُولِ بِـطِيبِهَا تَعَلَّقَ صَخْرٌ. إِنَّ فِي الصَّخْرِ مَا عَقَلْ

أَيَا سَعْدَ قَلْبِـي هَا هُوَ السِّتْرُ يَنْجَلِي وَيَا وَيْحَ قَلْبِـي رَفْرَفَ السِّتْرُ وانْسَدَلْ

بومبي في ٤ ربيع الثاني ١٣٧٢ هجرية **(١٩ بيتاً)**



٢٧

في هذه القصيدة توجيه نظر الْمُؤْمِنْ إلى أن الله رقيبه وحسيبه، وأنّه معه يسمع ويرى، في كلّ أحواله، إن كان في حالة معصية، أو في حالة طاعة، وهي بعنوان:

«إنيّ معكم أسمع وأرى»

إنيّ معكم أسمع وأرى

يَـا مَنْ هِـمْتُـمْ فِـي نَـادِيكُـمْ　　إنَّ الـرَّحْـمَـنَ يُـنَـادِيـكُـم
إنْ تَـسْتَـتِـرُوا بِـمَـعَـاصِيـكُـمْ　　أَوْ تَـسْتَخْـفُـوا بِـمَسَـاوِيـكُـمْ
إنِّـي مَـعَـكُـمْ أَسْـمَـعُ وَأرَىٰ
يَـا مَنْ سَكِـرَتْ فِي غُـرْفَتِهَـا　　يَـا مَنْ عَـبِثَتْ فِي عِـفَّتِهَـا
يَـا مَنْ غَـرِقَتْ فِـي مِحْنَتِهَـا　　قَـال الْـقَـهَّـارُ يُـبَـكِّـتُـهَـا
إنِّـي مَـعَـكُـمْ أَسْـمَـعُ وَأَرَىٰ
يَـا مَـنْ أَرْدَتْـهُ شَـهْـوَتُـهُ　　واسْـتَـشْـرَتْ فِـيـهِ شِـقْـوَتُـهُ
وَأَوَىٰ تَـحْـمِـيـهِ عُـصْـبَـتُـهُ　　قَـالَ الْـجَـبَّـارُ يُـبَـكِّـتُـهُ
إنِّـي مَـعَـكُـمْ أَسْـمَـعُ وأرَىٰ
يَـا مَنْ صَلَّىٰ فِـي بُنْـيَـانِـهِ　　عَـبْـدَ الـرَّحْـمَـنَ بِـأَرْكَـانِـهِ
تَـهْـدِيـهِ دَوَافِـعُ إيـمَـانِـهْ　　قَـالَ الـرَّحْـمَـنُ بِـوِجْـدَانِـهْ
إنِّـي مَـعَـكُـمْ أَسْـمَـعُ وأرَىٰ
يَـا مَنْ زَكَّىٰ يَـا مَنْ صَـامَـا　　يَـا مَـنْ بِـالْأَسْـحَـارِ قَـامَـا
يَـا مَـنْ بِـالـرَّحْـمَـنِ هَـامَـا　　قَـالَ الـلَّـهُ لَـكُـمْ إكْـرَامَـا
إنِّـي مَـعَـكُـمْ أَسْـمَـعُ وَأَرَىٰ
يَـا مَنْ فِـي تَـوْبَـتِـهِ ضَـرَعَـا　　وَدَعَـا ولِـمَـوْلَاهُ خَـشَـعَـا
طَـلَبَ الْغُـفْـرانَ لِـمَـا صَـنَـعَـا　　يَـدْعُـوكَ الْمَـوْلَىٰ: زِدْ طَـمَعَـا
إنِّـي مَـعَـكُـمْ أَسْـمَـعُ وَأَرَىٰ

بومبي في ٢٤ ربيع الثاني ١٣٧٢ هجرية　　(١٢ بيتاً)

٢٨

تعرّضت لمزعجات قاسيات، فلم أجد ملجأً ألجأ إليه إلاّ الخلوة بربـي، والسعادة بمناجاته، والذّل في أعتابه، ودعاءه بتضرع وانكسار.

وحضر في تصوري أن يوسف عليه السلام، ما وصل إلى ما وصل إليه من مجد عظيم إلاّ بعد حسدٍ من إخوته، وإلقائهم إياه في الجبّ المظلم الموحش المخيف، وبعد استرقاق، وفتنة من قبل امرأة العزيز، وسجن بتهمة كاذبة.

ومع هذه الخواطر في الخلوة السعيدة، كتبت هذه القصيدة، بعنوان:

«سعادة القلب في مناجاة الربّ»

وكان ذلك في ربيع الثاني من سنة ١٣٩٠ هجرية.

سعادة القلب في مناجاة الرب

أَجَلُّ سَعَادَتِي عِلْمٌ وَتَقْوَىٰ ... لَهَا مَا بَيْنَ أَضْلاَعِي وَجِيبُ[1]
وَخَيْرُ مَباهِجِ الدُّنْيَا لِنَفْسِي ... مُنَاجَاتِي لِمَنْ هُوَ لِي قَرِيبُ
إِذَا نَادَيْتُ يَا رَبِّي أَجِبْنِي ... وَجَدْتُ اللَّهَ فِي قَلْبِي يُجِيبُ
أَأَطْمَعُ أَنْ يُغَلِّفَنِي رِضَاهُ ... وَذُلِّي عِنْدَهُ عِنْدِي حَبيبُ
أَكُونُ لَدَيْهِ سَاعَاتٍ فَرِيداً ... إِلَيْهِ جَمِيعُ وِجْدانِي يَثُوبُ
أَعِي أُنْسِي بِنُورِ اللَّهِ حِيناً ... وَفِي سُبُحَاتِهِ حِيناً أَغِيبُ
أُنَادِيهِ وَأَدْعُوهُ بِذُلٍّ ... فَيَعْطِفُ بِالْعَطَاءِ وَيَسْتَجِيبُ
وَيَغْمُرُنِي الْخُشُوعُ فَمَا أُبَالِي ... إِذَا مَا هِمْتُ أَوْ كَثُرَ النَّحِيبُ
أَأَقْطَعُ عَنْهُ أَسْبَابَ اتِّصَالِي ... بِهِ. وَهْوَ الرَّحِيمُ بِنَا الرَّقِيبُ
وَمَنْ لم يَتَّصِلْ بِاللَّهِ حِيناً ... فَحِيناً فَهْوَ ذُو الْبُؤْسِ الْغَرِيبُ
فَلاَ اللَّذَاتُ تُسْعِدُ مِنْهُ رُوحاً ... ولاَ الْخِلُّ الْوَفِيُّ وَلاَ الْقَرِيبُ

○ ○ ○

لَئِنْ كَثُرَتْ ذُنُوبِي فِي حَيَاتِي ... فَلِي مِنْ عَفْوِهِ أَمَلٌ رَحِيبُ
مَتَىٰ صَدَقَ الْمَتَابُ بِذُلِّ نَفْسٍ ... غَدا ذُو الذَّنْبِ لَيْسَ لَهُ ذُنُوبُ
ولِلْإِيمَانِ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ... نَدِيَّاتٌ وَإِنْ فُقِدَ الرَّطِيبُ
وَأَكْرَمُ مُسْعِدٍ يَحْوِيهِ قَلْبٌ ... رِضاً يَغْذُوهُ إِيمَانٌ وَطِيبُ
إِذَا بَصُرَ الْفُؤَادُ بِمَنْ بَرَاهُ ... أَتَتْهُ سَعَادَةٌ لَيْسَتْ تَغِيبُ
وَيَسْعَدُ ذُو السَّعَادَةِ حِينَ يَرْضَىٰ ... وَإِنْ كَثُرَتْ بِسَاحَتِهِ الْخُطُوبُ

(١) الوجيب: الخفقان، ووجيب القلب خفقانه.

يَــرَىٰ الْحِكَمَ الْجَلِيلَةَ مُشْـرِقَـاتٍ   يُغَـطِّي وَجْهَهَـا الْقَـدَرُ الْعَجِيبُ
أَمَــا أَمْجَادُ يُـوسُفَ شَـاهِـدَاتٌ   وَكَــانَ طَـرِيقَهَــا الْجُبُّ الـرَّهِيبُ
وَيَـشْقَـىٰ مَنْ تُـعَـذِّبُـهُ الْأَمَــانِي   وَلَيْس لَـهُ مِنَ التَّقْـوَىٰ نَـصِيبُ
إِذَا هُــوَ لَـمْ يُحَـقِّقْ مَـا تَـمَنَّىٰ   كَــوَتْـهُ فِي لَــوَاذِعِهَــا الكُــروب
وَكَمْ تَهْفُــو النُّفُوسُ لِمُغْـرِيَـاتٍ   وأَمْتَــعُ مَــا بِهَــا كَــزٌّ جَـدِيـبُ

○ ○ ○

أَمَــانِي النَّفْسِ لَيْسَ لَهَـا حُـدُودٌ   وَيَــأْتِي دُونَهَــا الْأَجَـلُ الْقَــرِيبُ
فَيَجْتَثُّ الْـمُنَـىٰ سَيْفُ الْمَنَــايَــا   فَيَــطْرَحُهَــا وَيَـنْـطَفِيءُ الـلَّهِيبُ
عَــدَا مَنْ جَـازَتِ الـدُّنْيَا مُنَــاهُ   إِلَىٰ دَارٍ بِهَــا الْخَيْــرُ الْـخَصِيبُ
إِلَىٰ حَيْثُ الْخُلُودُ بِفَضْــلِ رَبِّي   وَحَيْثُ إِلَيْــهِ ذُو التَّـقْــوَىٰ يَـؤُوبُ

مكة المكرمة ــ أواخر شهر ربيع الآخر سنة ١٣٩٠ هجرية   (٢٦ بيتاً)

٢٩

في موسم حـجّ عام ١٣٩٤ هجرية، وفي ظروف أحداث الأمة الإسلامية القاسيات، ازدحمت خواطر كثيرة حول عبادة الحج، والجهاد في سبيل الله، والأمة الإسلامية المظفرة في غابر عصورها، والمآسي التي نكتوي الآن بنارها، وآمال الخلاص، وشروط الرجعة إلى إيماننا وإسلامنا الصحيح، وتمخّض الشعر فولد هذه القصيدة، بعنوان:

«نفحات من الموسم العظيم»

وجاء فيها إلماح لحرب رمضان التي استرجعنا فيها القنال وشيئاً من سيناء من دولة إسرائيل التي استولت عليها في حرب حزيران ١٩٦٧ ميلادية.

وأشير إلى أنني أجريت فيها هنا تعديلات، وحذفت منها بعض الأبيات.

وقد سبق أن أنشدتها في جموع من أعيان الحجاج بمبنى رابطة العالم الإسلامي في منى.

نفحات من الموسم العظيم

فِي رِحَابِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وُفُودُ سَادَةٌ مُسْلِمُونَ بِيضٌ وَسُودُ
سَادَةٌ مُسْلِمُونَ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ قَدْ تَسَاوَوْا فَلَيْسَ فِيهِمْ مَسُودُ
أُمَّةٌ مُؤْمِنُونَ سَادُوا جَمِيعاً إِذْ هُمُو فِي رِحَابِ رَبِّي عَبِيدُ
إِخْوَةٌ شَدَّهُمْ إِلَىٰ اللَّهِ حَبْلٌ هُوَ بِالْحَقِّ وَالْهُدَىٰ مَمْدُودُ
كُلُّ قَلْبٍ لِلَّهِ أَسْلَمَ فِيهِ سَبَبٌ مِنْهُ نَاظِمٌ مَعْقُودُ

○ ○ ○

فِي رِحَابِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ صَلَاةٌ وَطَوَافٌ ومَنْسَكٌ مَحْشُودُ
فِي رِحَابِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ لِقَاءٌ أَخَوِيٌّ مُحَبَّبٌ مَحْمُودُ
هَهُنَا مِنْ فُيُوضِ رَحْمَةِ رَبِّي هَاطِلَاتٌ وَمَنْبَعٌ مَوْرُودُ
هَهُنَا الْأَمْنُ. هَهُنَا نَفَحَاتٌ كُبْرَيَاتٌ بِالْمُسْعِدَاتِ تَجُودُ

○ ○ ○

فِي صَعِيدِ الدُّعَاءِ فِي عَرَفَاتٍ رَحْمَةُ اللَّهِ والرِّضَىٰ والْجُودُ
هَهُنَا تُسْكَبُ الدُّمُوعُ بِذُلٍّ هَهُنَا يَعْذُبُ الْخُضُوعُ الرَّشِيدُ
لَهَوَاتٌ تَجْأَرْنَ: لَبَّيْكَ رَبِّي أَنْتَ أَنْتَ الْمَدْعُوُّ وَالْمَعْبُودُ

○ ○ ○

فِي سَنَىٰ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ بِلَيْلٍ طَابَ ذِكْرُ الرَّحْمٰنِ والتَّرْدِيدُ
فِي مَسِيرِ الْحَجِيجِ هَامَتْ قُلُوبٌ وَعُيُونٌ وأَدْمُعٌ وَحُشُودُ

○ ○ ○

فِي مِنَىٰ ـ والْمُنَىٰ تَزَاحَمْنَ ـ عِيدُ هُوَ لِلْعُمْرِ وَالْمُنَىٰ تَجْدِيدُ

مَنْ أَتَاهَا فِي حَجَّةٍ بَرَّ فِيهَا ... فَهْوَ مُسْتَأْنِفُ الْحَيَاةِ وَلِيدُ
مُسِحَتْ صَفْحَةُ الْمَعَاصِي لَدَيْهِ ... وَأَتَىٰ عُمْرُهُ النَّقِيُّ الْجَدِيدُ
فُرْصَةٌ فِي الزَّمَان مَنْ يَهْتَبِلْهَا ... فَهْوَ فِي الْعُمْرِ غَانِمٌ وسَعِيدُ

○ ○ ○

فِي مِنَىٰ فَرْحَةُ الْقُلُوبِ الرَّوَاضِي ... بِرِضَىٰ رَبِّهَا وَفِيهَا الْجُدُودُ[1]

○ ○ ○

الْأَضَاحِي رَمْزُ النُّفُوسِ كِرَاماً ... وَهْيَ لِلَّهِ بِالْغَوَالِي تَجُودُ
هِيَ طُعْمٌ لِلْبَائِسِينَ. وَفِيهَا ... رُبَّمَا ازْدَانَ بِالشَّهِيِّ الْعِيدُ
هِيَ طُهْرٌ لأَنْفُسٍ بَازِلَاتٍ ... وَهْيَ بِرٌّ ثَوَابُهُ مَمْدُودُ

○ ○ ○

ذَكَّرَتْنِي هٰذِي الْأَضَاحِي بِأُخْرَىٰ ... ذَاتِ جُودٍ مَا مِثْلُهُ الدَّهْرَ جُودُ
بِنُفُوسٍ عَلَىٰ الثُّغُورِ اسْتَعَدَّتْ ... لِلِقَاءٍ بِالرُّوحِ فِيهِ تَجُودُ
كُلُّ أَشْوَاقِهَا بَوَاعِثُ بَأْسٍ ... لِلِقَاءِ الْعِدَا وَعَزْمٌ شَدِيدُ
قَدْ دَعَاهَا دَاعِي الْجِهَادِ فَلَبَّتْ ... وَأَرَادَتْ مَا الدِّينُ مِنْهَا يُرِيدُ
لَوْ حَوَتْ فَوْقَ عُمْرِهَا بَذَلَتْهُ ... فَلَدَيْهَا مِنَ الْعَطَاءِ مَزِيدُ
بَاذِلُ الْعُمْرِ غَايَةَ الْوُسْعِ أَعْطَىٰ ... وَلِهَذَا فَهْوَ الشَّهِيدُ السَّعِيدُ
يَمْلِكُ الْعَزْمَ لَا يُمَكِّنُ خَصْماً ... مِنْهُ إِلَّا إِذَا أَرَادَ الْمُرِيدُ
هُوَ فِي بَأْسِهِ حَرِيصٌ وَلَكِنْ ... يَطْلُبُ الْمَوْتَ حِينَ يَرْضَىٰ الْمَجِيدُ
مَنْ يَكُنْ يَبْذُلُ الْحَيَاةَ لِيَرْضَىٰ ... رَبُّهُ عَنْهُ فَالرَّضِيُّ الرَّشِيدُ
تَتَلَقَّاهُ بِالنَّعِيمِ جِنَانٌ ... وَحِسَانٌ ومُسْعِدٌ وَرَغِيدُ
مَا تَمَنَّىٰ الرُّجْعَىٰ لِيُقْتَلَ أَيْضاً ... ثُمَّ أَيْضاً إِلَّا السَّعِيدُ الشَّهِيدُ
هُوَ حَيٌّ فِي بَرْزَخٍ لَا نَرَاهُ ... إِنَّ إِدْرَاكَ حِسِّنَا مَحْدُودُ

---

(١) الْجُدُود: جمع مفردُه جَدّ، وهو الحظُّ.

هُــوَ حَيٌّ يَقْتَــاتُ مِنْ ثَمَــرَاتٍ   أَيْنَعَتْ فِي الْجِنَــانِ وَهْيَ حُشُـودُ
نَبَأٌ جَـاءَ فِي الْكِتَــابِ صَرِيـحٌ   صَــدَقَ اللَّـهُ رَبُّنَــا الْـمَعْـبُـودُ[1]
وأَتَـىٰ شَــرْحُــهُ بِقَــوْلِ رَسُــولٍ   هُــوَ فِينَــا الْمُصَــدَّقُ الْمَحْـمُـودُ

○ ○ ○

الشُّجَاعُ الرَّشِيـدُ يُصْمِي[2] وَيُنْكِي   وَبِـقَـلْـبٍ مِـنَ الْـحَـدِيـدِ يَـعُـودُ
يَقْــذِفُ الـرُّعْبَ لِلْعَــدُوِّ فَيُــوهِي   عَــزْمَــهُ ثُـمَّ يَنْبَـرِي وَيَـصِـيـدُ
لَيْسَ يَـأْتِي إِلَىٰ الرَّدَىٰ دُونَ كَيْـدٍ   إِنَّــهُ فَــوْقَ كُــلِّ كَـيْـدٍ يَكِيــدُ

○ ○ ○

كُلَّمَــا عَـادَ فَيْلَقُ النَّصْــرِ قُلْنَــا: عَــوْدَةُ الْفَيْـلَقِ الْمُـظَفَّـرِ عِيــدُ
هُـوَ مَا نَـرْتَجِيهِ فِي كُـلِّ حَـرْبٍ   نَتَصَــدَّىٰ لَهَــا عَلَىٰ مَــا نُـرِيــدُ
كَـفَــلَ اللَّـهُ أَنْ يُـمِـدَّ بِـنَـصْــرٍ   نَـاصِرِيـهِ إِنْ يَصْـدُقُـوا وَيُجِيـدُوا
لَمْ نُحَارِبْ بِهَدْيِ ذِي الْعَرْشِ إِلَّا   جَــاءَنَــا مِنْــهُ نَصْـرُهُ الْمَـوْعُــودُ
لفـظة «اللَّـهِ» وَحْـدَهَــا نَصَـرَتْنَــا   بَعْضَ نَصْـرٍ حَيْثُ الْعَدُوُّ حُشُـودُ
فِي الْقَرِيبِ الْقَرِيبِ شَاهِدُ صِدْقٍ[3]   لَـيْـتَـنَــا مِنْ زَمَــانِـنَــا نَسْـتَـفِـيــدُ
كَيْفَ لَــوْ نَنْصُـرُ الْإِلَــهَ بِصِــدْقٍ   وَثَبَــاتٍ. وَالكَيْـدُ مِنَّــا شَدِيــدُ؟!

○ ○ ○

فِي مِنَىٰ مَنْسَــكٌ عَجِيبٌ وَلَـكِنْ   دَلَّ أَنَّ الْإِسْــلَامَ دِيــنٌ سَـدِيــدُ
مَنْسَــكٌ نَــرْجُمُ الشَّيَــاطِينَ فِيـهِ   ضَــابِـطَاهُ التَّحْــدِيـدُ والتَّسْــدِيـدُ
مِثْلَمَــا نَسْتَعِيــذُ بِــاللَّهِ. نَــرْمِي   حَصَيــاتٍ رَمْـزاً لِمَــا لَا نُــرِيــدُ

---

(١) هو قول الله عزّ وجل في سورة (آل عمران): ﴿ولا تَحْسَبَنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون(١٦٩) فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألَّا خوف عليهم ولا هم يحزنون(١٧٠)﴾.
(٢) يُصمي: يَرْمِي فَيَقْتُل من رَماه في مَكانه.
(٣) إشارة إلى حرب رمضان التي استرجعنا فيها قناة السويس من دولة إسرائيل.

وَكِـلَا الْمَـظْهَـرَيْنِ عَبَّـرَ عَمَّـا يَحْتَـوِيـهِ إِيمَـانُنَـا الْـمَحْـمُـودُ
لَا يَـتِـمُّ الْإِيـمَـانُ إِلَّا بِـأَخْـذٍ وَبِـرَدٍّ فَـالْـبَـاطِـلَاتُ رُدُودُ[1]
آمَـنَ الْـمُـؤْمِـنُـونَ بِـاللَّـهِ رَبّـاً فَهْـوَ فِيـهِمْ لَا غَـيْـرُهُ الْمَعْـبُـودُ
وَأَحَـبُّـوهُ واسْـتَـذَلُّـوا نُـفُـوسـاً لِعُـلَاهُ فَهْـوَ الْحَمِيـدُ الْمَجِيـدُ
وَاسْـتَجَـابُـوا لِـهَـدْيِـهِ وَدَعَـوْهُ هُـوَ أَنَّىٰ تَـوَجَّـهُـوا الْـمَقْـصُـودُ

○ ○ ○

وَالشَّيَـاطِـينُ قَـادَةُ الـشَّـرِّ كُـلٌّ مِنْهُمُـو مُفْسِـدٌ وَبَـاغٍ مَـرِيـدُ
هُـمْ عَـدُوٌّ لِلْمُـؤْمِـنِـينَ جَمِيـعـاً لَيْسَ فِيهِمْ إِلَّا اللَّعِيـنُ الـطَّـرِيـدُ
كَـرِهَ الْـمُـؤْمِـنُـونَ كُـلَّ لَـعِـينٍ فَـاسْتَعَـاذُوا بِـاللَّـهِ مِمَّـا يَكِيـدُ
فَتَـوَالَىٰ رَجْمُ الْحَصَىٰ فَتَنَـاهَـىٰ عِنْـدَ هَـذَا إِبْعَـادُهُ الْـمَقْـصُـودُ
فَهْـوَ فِعْـلٌ مُعَبِّـرٌ عَـنْ مَعَـانٍ ضَمَّهَـا فِي الشَّهَـادَةِ التَّـوْحِيـدُ

○ ○ ○

فِي مِنَىٰ فَـرْحَـةٌ وَأَكْـلٌ وَشُـرْبٌ وَمَـبِيـتٌ وَمُـلْتَـقـىً فِيـهِ عِيـدُ
فِي مِنَى فَـرْحَـةُ التَّهَـانِي بِنُسْـكٍ فِي نَـدَاهُ ابْيَضَّتْ صَحَـائِفُ سُودُ

○ ○ ○

يَا أَخِي الْأَسْوَدَ الَّذِي أَنْتَ مِسْكٌ فَبَيَـاضُ الْإِسْـلَامِ فِيـكَ يَسُـودُ
يَـا أَخِي الْأَحْمَرَ الَّـذِي أَنْتَ وَرْدٌ فَجَمَـالُ الْإِيمَـانِ فِيـكَ الْحَمِيـدُ
يَا أَخِي الْأَبْيَضَ الَّذِي أَنْت زَهْـرٌ لَـوْنُ تَقْـوَاكَ لَـوْنُـكَ الْمَحْـمُـودُ
يَا أَخِي الْأَصْفَرَ الَّذِي أَنْتَ شَمْسٌ نُـورُ إِيمَـانِـكَ الْسَّنَىٰ الْمَمْـدُودُ
يَـا أَخِي الْأَسْمَرَ الَّـذِي أَنْتَ طَوْدٌ لَـكَ مِنْ دِينِكَ الْمَقَامُ الْـوَطِيـدُ
أَنْـتَ إِنْ تَنْصُـرِ الْإِلَـهَ بِصِـدْقٍ وَثَبَـاتٍ عَنَتْ إِلَيْـكَ الـصِّيـدُ
أَنْتَ أَنَّىٰ أَقَمْتَ فِي أَرْضِ رَبِّي صِنْـوُ نَفْسِي النَّصِيـرُ والْمَـوْدُودُ
كُـلُّ فَـرْعٍ لَنَـا عَلَىٰ أَيِّ أَرْضٍ هُـوَ فَـرْعٌ مَـعَ اتِّصَـالٍ مَـدِيـدُ

---

(١) رُدود: أي مردودة. من استعمال المصدر بمعنى اسم المفعول، كقول الرسول ﷺ: «كلُّ ما ليس عليه أمرنا فهو رَدّ» أي: مردود.

أَصْلُنَـا غَـرْسَـةُ السَّمَـاءِ وَسُقْيَـا ... ذَلِـكَ الْغَرْسِ دِينُ رَبِّي الْفَـرِيـدُ
جَـمَـعَ اللَّـهُ بَيْنَنَـا فِي إِخَـاءٍ ... نَحْنُ جِسْمٌ لَمْ تَحْتَبِسْـهُ حُـدُودُ
نَحْنُ طَـوْدٌ مِنَ التَّـآخِي رَفِيـعٌ ... رَاسِخُ الأَصْلِ مُثْمِـرٌ وَشَـدِيـدُ
مَنْ يُـرِدْهُ بِـالسُّـوءِ ظُلْمـاً وَبَغْيـاً ... فَسَيَـرْتَـدُّ قَـرْنُـهُ مَـحْـصُـودُ
مِشْعَـلُ النُّورِ فِي يَـدَيْنَا كِتَـابٌ ... هُـوَ فِي أَرْضِنَـا الكِتَـابُ الْمَجِيـدُ
رَاوَدَتْـهُ بِـالنَّفْـخِ أَفْـوَاهُ مَكْـرٍ ... خَـائِبَـاتٌ أَصْـحَـابُهُـنَّ قُـرُودُ

○ ○ ○

فِي مِنًى نَسْتَعِيـدُ ذِكْـرَى لِقَـاءٍ ... أَمْرُهُ ـ مَا مَضَىٰ الزَّمَانُ ـ جَدِيدُ
دَوْلَـةُ الْحَقِّ فِي مِنًى أَسَّسَتْهَـا ... بَيْعَـةُ النَّصْـرِ، وَالْحُشُـودُ رُقُـودُ
بَيْعَـةُ النَّصْـرِ بَيْعَـةٌ شَهِـدَتْهَـا ... وَهْـدَةٌ فِي مِنًى جَـلاَهَـا الْخُلُودُ
بَـيْعَـةٌ أَسَّـسَـتْ وَزَادَتْ نَـدَاهَـا ... عَنْ مَـدَاهَـا وَالْخَيْـرُ نَـامٍ يَـزِيـدُ
بَيْعَـةُ الْمُصْـطَفَىٰ وَيَثْـرِبَ تَمَّتْ ... فِي مِنًى فَـاسْتَقَـامَ أَمْـرٌ رَشِيـدُ
وُلِـدَ النَّصْـرُ بَـعْـدَهَـا وَفُتُـوحٌ ... وَتَـوَالَتْ إِلَىٰ الضِّيَـاءِ الْـوُفُـودُ
أُسِّسَتْ دَوْلَـةُ الكِتَـابِ لِتَـرْعَىٰ ... بِـاسْمِ رَبِّ الْعِبَـادِ وَهْـوَ شَهِيـدُ
فَـإِذَا الـدَّوْلَـةُ الْفَـتِـيَّـةُ طَـوْدٌ ... شَـامِـخُ الْمَجْـدِ ظِلُّهُ مِمْـدُودُ
ظِلُّهُ امْتَـدَّ فِي الْعَـوَاصِمِ حَتَّـىٰ ... نَـاطَحَ الْمَشْـرِقَيْنِ وَهْـوَ وَطِيـدُ
وَسُفُـوحٌ لَـهُ تَـطَاوَلْنَ شَـرْقـاً ... ثُـمَّ غَـرْبـاً وَبِـالْعَـطَاءِ تَـزِيـدُ
ثُمَّ زَادَتْ فَالسَّفْحُ فِي الأَمْسِ طَوْدٌ ... فِي ضُحَىٰ الْيَوْمِ وَالْمَزِيـدُ مَزِيـدُ
وَمَشَىٰ نُـورُ دَوْلَـةِ الْحَقِ يَهْـدِي ... فَـإِذَا الأَرْضُ جُلُّهَـا تَـوْحِيـدُ

○ ○ ○

مُبْتَـدَا النَّصْـرِ بَيْعَتَـانِ وَلَكِـنْ ... خَبَـرُ الْمُبْتَـدا شُـمُـوخٌ فَـرِيـدُ
إِنْ كَبَـوْنَـا بِتَـرْكِ نَهْجِ عُـلاَنَـا ... لَـمْ يَـفُـتْـنَـا تَـوَثُّـبٌ وَصُـعُـودُ

مكة المكرمة في ذي الحجة ١٣٩٤ هجرية ... (٩٠ بيتاً)

٣٠

بدأ كثير من شبابنا وشيوخنا وكهولنا يردّدون كلمات تشعر بوصولهم إلى مرحلة اليأس من الخلاص بعد توالي النكبات، وتراكم الخائبات من الآمال، وضياع الأعمال التي كانت مناط الرجاء.

وغفل هؤلاء اليائسون عن السبب الحقيقي لذلك كلّه، وهو أننا لم نسلك بَعْدُ طريق الخلاص، ولم نأخذ بالأسباب الصحيحة للنجاة مما نحن فيه، فطريق الخلاص هو عودتنا لمنهج كتاب الله وسنة رسوله المصطفى ﷺ، والأسباب الصحيحة للنجاة هي اتباع سنن الله التكوينية في الخلق، وسنن الله التشريعية في الدين.

ورأيت أن خطبنا بحلول اليأس في كثير من أمتنا هو أجلّ الخطوب وأكبرها، وفي التعبير عن ذلك كتبت هذه القصيدة بعنوان:

«اليأس أكبر خطوب الشعوب»

اليأسُ أكبر خطوب الشعوب

لَا تَسَلْنِي عَنْ هُمُومِي لَاتَسَلْ
لَا تَقُلْ لي: أَيُّ شَيْءٍ قَدْ حَصَلْ؟
مِنْ صُرُوفٍ فَوْقَ مَا قَدْ يُحْتَمَلْ

ο ο ο

لَا تَقُلْ لي: أَيُّ دَاءٍ قَدْ نَزَلْ؟
أَيُّ خَطْبٍ هُوَ فِي الدَّهْرِ جَلَلْ؟
وَابِلٌ مِنْهُ تَوالَىٰ بَعْدَ طَلّ
فِي بِلَادِ الشَّمْسِ والْخُضْرَةِ حَلّ
فِي بِلَادِي نَبْعِ أَمْجَادِي الْأُوَلْ
حَيْثُ مَثْوَىٰ كُلِّ نَجْمٍ وبَطَلْ
قَلْعَةِ الْقُرآنِ وَالدِّينِ الْأَجَلّ

ο ο ο

لَا تَقُلْ لي: أَيُّ دَاءٍ قَدْ نَزَلْ
فِي دِيَارِي وَبِقَوْمِي لَا تَقُلْ
فِي رُبُوعِي. حَيْثُ سَهْلٌ وَجَبَلْ
حَيْثُ مَاءٌ. حَيْثُ شَمْسٌ. حَيْثُ ظِلّ
حَيْثُ ظَبْيٌ. حَيْثُ صَقْرٌ وَجَمَلْ
حَيْثُ بُنْيَانٌ عَلَا. حَيْثُ طَلَلْ

حَيْثُ قَصْرٌ وَصَنَادِيدُ تُجَلّ[1]
حَيْثُ سُوقٌ وَصَعَالِيكُ تُذَلّ
فِي الْخَبَايَا. فِي الرَّوَابِي، فِي الْقُلَلْ
أَيْنَ تَلْقَىٰ مَسْجِداً. أَنَّىٰ تُطِلّ
حَيْثُ تَلْقَىٰ بَشَراً. حَيْثُ تَحِلّ
أَيْنَ يَمَّمْتَ إِلَىٰ أَقْصَىٰ مَحَلّ

○ ○ ○

لاَ تَقُلْ لِي: كَمْ عُثُورٍ. كَمْ زَلَلْ
كَمْ هُبُوطٍ. كَمْ سُقُوطٍ. كَمْ خَطَلْ
كَمْ تَرَىٰ مِنْ خَيْبَةٍ بَعْدَ عَمَلْ
كَمْ تَرَىٰ مِنْ نَكْسَةٍ بَعْدَ أَمَلْ
وَلَكَمْ نَجْمٍ رَجَوْنَا فَأَفَلْ

○ ○ ○

لاَ تَقُلْ لِي: مَا بِقَوْمِي مِنْ عِلَلْ
مَا بِتَرْكِيبِ بِلاَدِي مِنْ خَلَلْ
وَفُلاَنٌ فِي الْخَبَايَا كَمْ فَعَلْ
كَمْ خَبِيثٍ مُفْسِدٍ فِينَا أَضَلّ
وَفُلاَنٌ عَنْ حِمَى الدَّارِ ارتَحَلْ
وَفُلاَنٌ فِي بِلاَدِ الْكُفْرِ ضَلّ
وَزَعِيمٌ كَمْ تَجَنَّىٰ وَأَخَلّ
وَزَعِيمٌ فِي يَدَيْهِ أَلْفُ غُلّ
وَرَئِيسٌ كَمْ تَعَدَّىٰ وَقَتَلْ
وَرَعَانَا الذِّئْبُ فِي جِلْدِ حَمَلْ

(١) الصنديد: السيد الشجاع.

وَأَتَـىٰ الْـخَـائِـنُ فِـي ثَـوْبِ بَـطَلْ
وَأَصَـابَ الـنَّـاسَ مِـنْ كَـدٍّ كَـلَلْ

○ ○ ○

لَا تَقُـلْ لي: كُـلُّ هَـذا قَـدْ حَصَـلْ
فَـجَـوَابِي لَـكَ عَـنْ هَـذَا: أَجَـلْ
بَـيْـدَ أَنَّ الْـخَـطْبَ أَدْهَـىٰ وأَجَـلّ
كُـلُّ خَـطْبٍ وَلَـوِ اشْـتَـدَّ وَجَـلّ
رُبَّـمـا هَـانَ وَمَـا اجْـتَـثَّ الْأَمَـلْ
وَلَـهُ بِـالـصَّـبْـرِ وَالْإِيـمَـانِ حَـلّ
غَـيْـرَ خَـطْبِ الْـيَـأْسِ إِنْ حَـلَّ قَـتَـلْ
وَفَـرَىٰ الْـعَـزْمَ وَأَرْدَىٰ وَأَذَلّ
شَـرُّ مَـا فِي الْخَـطْبِ أَنَّ الْيَـأْسَ حَـلّ
فَـدَهَـىٰ الـنَّـاسَ مِـنَ الْـيَـأَسِ شَـلَلْ
وَرُكَـودٌ وَذُهُـولٌ وَخَـبَـلْ

○ ○ ○

سَبَبُ النَّكْبَـةِ يَـا مَنْ قَـدْ عَـقَـلْ
أَنَّ دِيـنَ الـلَّـهِ عُـودِي وَعُـزِلْ
وَفَـتَـاهُ الـصِّـدْقَ أُقْـصِـي أَوْ قُـتِـلْ
وَغَـدَا الْإِسْـلَامُ رَسْـمـاً دُوْنَ ظِـلّ
وَكَـلَامـاً مَـا لَـهُ فِـيـنَـا عَـمَـلْ
هَـذِهِ الـنَّـكْـبَـةُ والْـخَـطْـبُ الْـجَـلَلْ

○ ○ ○

وَمَـتَـىٰ عُـدْنَـا إِلَـىٰ الْإِسْـلَامِ هَـلّ

قَـمَـرُ الْبُـشْـرَىٰ بِتَـحْقِـيـقِ الْأَمَـلْ
وَظَـلَامُ الْـيَـأْسِ وَلَّـىٰ وارْتَـحَـلْ
وَأَتَـىٰ الْـغَـيْـثُ بِـخَـيْـرٍ وَهَـمَـلْ
وأتـىٰ الـنَّـصْـرُ بِبَـذْلٍ وَعَـمَـلْ
وَأَتَـىٰ رِضْـوَانُ ذِي الْـعَـرْشِ الْأَجَـلّ
واسْـتَـعَـدْنَـا مَـجْـدَنَـا فَـوْقَ الْـقُـلَلْ

مكة المكرمة في ربيع الثاني سنة ١٣٩٨ هجرية **(٦٣ بيتاً)**



٣١

دعيت إلى المؤتمر العالمي الثاني لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، الذي دعت إليه الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، حرسها الله، والذي انعقد بعد تأجيل موعده الأول، خلال المدة من يوم الثامن والعشرين إلى الثلاثين من شهر ربيع الأول سنة ١٤٠٤ هجرية، وقد أعددت له بحث «الأمة الربانية الواحدة» إذ كان الموضوع الأكبر لهذا المؤتمر بحث «التضامن الإسلامي»، وهذا البحث نشرته في كتاب مستقل.

وفي اليوم الأول من أيام انعقاد المؤتمر المذكور نظمت هذه القصيدة، بعنوان

«الأمة الإسلامية الواحدة»

وكان لي رغبة في أن أجد فرصة لإلقائها في المؤتمر، لكنّ هذه الفرصة لم تتيسر، وهذه هي مع بعض التعديلات.

الأمة الإسلامية الواحدة

سَـائِـلِي عَـنْ أُمَّـتِـي أُمَّتِـي خَـيْـرُ الْأُمَـمْ
كُـلُّ مَنْ أَسْلَمَ صِـدْقـاً هُـوَ مِـنْـهَـا لَا جَـرَمْ
أُمَّـتِـي ذَاتُ ضِـيَـاءٍ وَإِبَـاءٍ وَشَـمَـمْ
هِـيَ كَـالْأَنْـجُـمِ فَـوْقَ الْأَرْضِ بَـثٌّ مُـنْـتَـظِمْ
فَـنِـظَامُ الـدِّيـنِ والـدُّنْـيـا بِـهَـا ضَـمَّ وعَـمّ

○ ○ ○

أُمَّـتِـي ذَاتُ ضِـيَـاءٍ وَإِبَـاءٍ وَشَـمَـمْ
عِـقْـدُهَـا ـ مـا امْـتَـدَّ فَـوْقَ الْأَرْضِ ـ عِـقْـدٌ مُـلْتَئِمْ
مَـا تَـرَامَىٰ مِنْـهُ فِي نَـا ئِـي بِـلَادٍ. أَوْ فُـصِـمْ
فَـهْـوَ مَـوْصُـولٌ بِـعِـرْقٍ جِـذْرُهُ قَـلْـبُ الْـحَـرَمْ
وَلَـهُ فِـي الـكَـعْـبَـةِ الْـغَـرَّاءِ أَزْكَـىٰ مُـلْتَـزَمْ

○ ○ ○

أُمَّـتِـي ذَاتُ ضِـيَـاءٍ وَإِبَـاءٍ وَشَـمَـمْ
ذَاتُ دُسْـتُـورٍ بِـهِ أَهْـدَىٰ الْـهُـدَىٰ أَسْـمَـىٰ الْـكَـلِمْ
هُـوَ تَـنْـزِيـلٌ مِـنَ الـلَّـهِ بِـهِ الْـخَـيْـرُ الْأَعَـمّ
هُـوَ حَـبْـلٌ. مَـنْ بِـهِ اسْتَمْسَكَ. بِـالـلَّـهِ اعْـتَـصَـمْ
ذاتُ دِيـنٍ لَـمْ يُـمَـيِّـزْ بَـيْـنَ عُـرْبٍ وَعَـجَـمْ
لَـمْ يُـفَـضِّـلْ بَـيْـنَ أَعْـرَاقِ وَأَلْـوَانِ الـنَّـسَـمْ
كُـلُّهُـمْ فِـي مَـصْـدَرِ الْـخَـلْقِ سَـوَاءٌ فِـي الْـقِـيَـمْ

وَسَــوَاءٌ فِــي انْــتِــمَــاءٍ وَسَــوَاءٌ فِــي الــذِّمَــمْ
وَمَــجَــالُ الــسَّــبْــقِ بِــالــتَّــقْــوَىٰ وَمَــبْــذُولِ الْــهِــمَــمْ
كُــلُّهُــمْ مِــنْ آدَمٍ وَالْــجِــسْــمُ مِــنْ لَــحْــمٍ وَدَمْ
أَصْــلُهُ الْأَرْضُ وَيَــنْــحَــلُّ لَــهَــا بَــعْــدَ الــرِّمَــمْ[1]

○ ○ ○

دِيــنُــهَــا الْإِسْــلَامُ لِــلْخَــالِــقِ رَحْــمَــانِ الْأُمَــمْ
مَــنْ إِلَــيْــهِ الْــخَــلْقُ فِــي أَكْــوَانِــهِ مُــنْــذُ الْــقِــدَمْ
هُــوَ رَبٌّ خَــالِــقٌ يَــخْــلُقُ مِــنْ بَــحْــرِ الْــعَــدَمْ
فَــلَهُ الْأَمْــرُ جَــمِــيــعــاً وَهُــوَ ذُو الْفَضْــلِ الأَعَــمّ
فَــمَــنِ اسْــتَــعْــصَــمَ بِــالــلَّــهِ بِــتَــقْــوَاهُ الْــتَــزَمْ
مَــلَكَ الْــعَــيْــشَ رَضِــيــاً وَخُــلُوداً فِــي الــنِّــعَــمْ
وَمَــنِ اسْــتَــكْــبَــرَ عَــنْ طَــاعَــتِــهِ بَــاءَ بِــذَمّ
عَــاشَ فِــي دُنْــيَــاهُ لَا يَــخْــرُجُ مِــنْ هَــمٍّ وَغَــمّ
وَهْــوَ فِــي الْأُخْــرَىٰ شَقِــيٌّ بِــهَــوَانٍ وَأَلَــمْ

○ ○ ○

أُمَّــتِــي مَــبْــدَؤُهَــا الْــحَــقُّ وَتَــحْــطِــيــمُ الــصَّــنَــمْ
أُمَّــةٌ تَــحْــمِــي الْــهُــدَىٰ أُمَّــةٌ تَــرْعَــىٰ الــذِّمَــمْ
أُمَّــةٌ مَــنْــهَــجُــهَــا الْــعَــدْلُ وَقُــدْسِــيُّ الْــقِــيَــمْ

○ ○ ○

أُمَّــتِــي الآلَــةُ فِــيــهَــا سَــيْــفُ عَــدْلٍ وَقَــلَمْ
وَأَخِــي فِــيــهَــا أَخِــي الْــمُــسْــلِمُ مَــا شَطَّ[2] الــرَّحِــمْ

○ ○ ○

---

(١) الرِّمم: جمع مفرده «رِمَّة» وهي العظام البالية.

(٢) شَطَّ: بَعُد.

أُمَّــتِي فِــي كُــلِّ أَرْضٍ أَنْــتُــمــو خَــيْــرُ الْأُمَــمْ
فَــاجْــمَــعُــوا أَشْــتَــاتَ أَنْــهَــارِكِــمُــو فِــي غَــمْــرِ يَــمّ
تَنْشُــرُوا الْـخَـيْــرَ الْأَعَـمّ تَــبْــلُــغُــوا الْــعِــزَّ الْأَشَــمّ
وَتَــكُــونُــوا سَــادَةَ الدُّنْــيَــا وفُــرْسَــانَ الْــقِــمَــمْ

المدينة المنورة في ١٤٠٤/٣/٢٨ هجرية (٣٩ بيتاً)

٣٢

هذه القصيدة تعالج تمزّق الأمة الإسلامية إلى أجـزاء شتىّ فكريـة، وعنصرية، وإقليمية، وغيرها، وتشير إلى بعض أسباب هذا التمزّق، وهي الأسباب التي ولّدها في هذه الأمة كيد أعدائها من الغرب والشرق.

وكنت نشرتها في جريدة «أخبار العالم الإسلامي» التي تصدرها «رابطة العالم الإسلامي» في عددها (٣٨٤) الصادر في يوم الاثنين غرّة رجب ١٣٩٦ هجرية بعنوان:

«قصة مأساة أمتي»

وفي بيان هذه القصة دعوة إلى استبصار مكايد الأعداء، ومعرفة بعض أسباب الداء، وتوجيه للأخذ بأسباب العودة إلى وحدة الأمة الإسلاميـة، واستعادة مركز القيادات والسيادة في العالم، واغتنام مرضاة الله.

وهذه هي مع بعض إضافات.

قصَّةُ مأسَاةِ أمَّتي

أُمَّتِي كَانَتْ عَلِيَّةْ وَعَلَى الْبَاغِي عَصِيَّةْ
عَالَمِي كَانَ سَمَاءً وَنُجُوماً دُرِّيَّةْ
عَالَمِي كَانَ جِنَاناً وَشُعُوباً مَدَنِيَّةْ
وَحُصُوناً وَقِلَاعاً وَبِلَاداً حَضَرِيَّةْ
عَالَمِي كَانَ كَمَا يَكْرَهُ أَعْدَاءُ الْبَرِيَّةْ
عَالَمِي كَانَ عُلُوماً وَعِبَادَاتٍ سَنِيَّةْ
وقُصُوراً شَامِخَاتٍ وَعَطَاءَاتٍ سَخِيَّةْ

○ ○ ○

أُمَّتِي فِي عَصْرِهَا الْحَاضِرِ قَدْ عَاشَتْ غَبِيَّةْ
وَهْيَ فِي أَفْرَادِهَا الْأَشْتَاتِ أَشْتَاتٌ ذَكِيَّةْ
إِنَّهَا لَمْ تَنْعَدِمْ مِنْهَا أُصُولُ الْعَبْقَرِيَّةْ
غَيْرَ أَنَّ الْإِثْمَ والتَّشْتِيتَ أَسْبَابُ الْبَلِيَّةْ

○ ○ ○

أُمَّتِي مِنْ بَعْدِ طُولِ النَّوْمِ صَارَتْ غَفْلَوِيَّةْ[1]
صَدَّقَتْ كُلَّ خِدَاعٍ مِنْ غَوِيٍّ وَغَوِيَّةْ
صَدَّقَتْ مَا قَالَهُ الذِّئْبُ لَهَا وَهْيَ عَلِيَّةْ

---

(١) غَفْلويّة: أي منسوبة إلى الغفلة، وعدم استبصار أعدائها.

فَاسْتَكَانَتْ لِخِدَاعِ الذِّئْبِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةْ
نَزَلَتْ مِنْ حِصْنِهَا الْعَالِي إلى أَرْضٍ دَنِيَّةْ
لِتَرَى مَاذَا لَدَى النَّا صِحِ مِنْ دُنْيَا هَنِيَّةْ

○ ○ ○

تَرَكَتْ أَبْوَابَهُ مَفْتُوحَةً حَتَّى الْعَشِيَّةْ
فَلَهَتْ فِي سَاحَةِ الذِّئْبِ سُوَيْعَاتٍ طَرِيَّةْ

○ ○ ○

ثُمَّ جَاءَ الذِّئْبُ فَانْقَضَّ بِأَنْيَابٍ قَوِيَّةْ
وَرَأَى إِسْلَامَهَا سِرَّ قِوَاهَا الْأَبَدِيَّةْ
وَكِتَابَ اللَّهِ يَهْدِيهَا بِرُوحٍ أَزَلِيَّةْ
وَرَآهَا أُمَّةً واحِدَةً لَا عُنْصُرِيَّةْ
عَقَدَ الدِّينُ عُرَاهَا فَالْتَقَتْ فِي الْعَالَمِيَّةْ
بِصِلَاتٍ عَقَدِيَّةْ وَصِلَاتٍ أَخَوِيَّةْ
شَدَّهَا اللَّهُ إِلَيْهِ وَرَعَاهَا فِي الْبَرِيَّةْ
وَحَمَاهَا مِنْ أَعَادِيهَا قُرُوناً ذَهَبِيَّةْ
وَحَبَاهَا النَّصْرَ والتَّأْيِيدَ مُذْ كَانَتْ فَتِيَّةْ

○ ○ ○

نَظَرَ الذِّئْبُ إِلَيْهَا وَتَمَادَى فِي الرَّوِيَّةْ
أَمْعَنَ الْفِكْرَ تَقَصَّى كُلَّ أَطْرَافِ الْقَضِيَّةْ

○ ○ ○

كَيْفَ يَنْقَضُّ عَلَيْهَا؟ كَيْفَ يَرْمِيهَا ضَحِيَّةْ؟
كَيْفَ تُمْسِي بِخَبِيثِ الْمَكْرِ لُقْمَاتٍ هَنِيَّةْ؟

○ ○ ○

فَرَأَى تَقْسِيمَ أَوْصَا لِ لَهَا بِالْجَاهِلِيَّةْ

فَـغَـدَا أَوْصَـالَـهَـا الْـكُـبْـرَىٰ بِـأَرْجَـاسِ الْـحَـمِـيَّـةْ
وَرَمَـىٰ أَقْـوامَـهـا الْـكُـثْـرَ بِـدَاءِ الْـعَـصَـبِـيَّـةْ
وَبِـأَفْـكَـارٍ زُيُـوفٍ مُـحْـدَثَـاتٍ زُخْـرُفِـيَّـةْ
وَبِـأَنْـوَاعٍ مِـنَ الْـفُـرْقَـةِ. قَـالُـوا: عَـقَـدِيَّـةْ

○ ○ ○

أَنْـتِ طُـورَانِـيَّـةُ الْأَصْـلِ. وَأَنْـتِ عَـرَبِـيَّـةْ
أَنْـتِ ذَاتُ الْـمَـحْـتِـدِ الْأَسْـمَـىٰ وَذَاتُ الْـعَـبْـقَـرِيَّـةْ
أَنْـتِ إِفْـرِيـقِـيَّـةُ الْأَعْـرَاقِ. أَنْـتِ بَـرْبَـرِيَّـةْ
أَنْـتِ مِـنْ أَعْـرَاقِ آرا مِ.. وَأَنْـتِ كِـسْـرَوِيَّـةْ
أَنْتِ ذَاتُ الْمَجْدِ فِي التَّا رِيخِ أَنْـتِ فَـارِسِـيَّـةْ
أَنْتِ ذَاتُ الْبَـأْسِ مِنْ كُـرْ دِ. وَأَنْـتِ شَـرْكَـسِـيَّـةْ
أَنْتِ تَـاجُ الْهِـنْـدِ يَـرْعَـا كِ بِـأَمْـجَـادٍ غَـنِـيَّـةْ

○ ○ ○

بَـقِـيَ الْـحِـصْـنُ ولا حُـرَّاسَ يَـحْـمُـونَ الـرَّعِـيَّـةْ

○ ○ ○

دَاهَـمَ الـلَّـيْـلُ.. وَجَـاءَ الـذِّئْـبُ كَـيْ يَـفْـرِي فَـرِيَّـةْ[1]
دَخَـلَ الْـحِـصْـنَ بِـمَـكْـرٍ وَبِـأَحْـقَـادٍ خَـفِـيَّـةْ
وَسَـعَـىٰ فِـيـهِ فَـسَـاداً هَـادِمَـاً كُـلَّ بَـنِـيَّـةْ
هَـكَـذَا أَوْصَـاهُ أَجْـدَا دُ لَـهُ يَـوْمَ الْـبَـلِـيَّـةْ
يَـوْمَ رَدَّتْـهُـمْ سُـيُـوفُ الْـحَـقِّ ذُؤْبَـانـاً[2] شَـقِـيَّـةْ
يَـوْمَ جَـاءُونَـا وُحُـوشـاً بِـجُـيُـوشٍ هَـمَـجِـيَّـةْ

○ ○ ○

---

(١) يَفري فَرِية: يَصنع الأعمال الخطيرة العجيبة، ويأتي بافتراءاته.

(٢) ذؤباناً: الذُّؤبان: اللصوص والصَّعاليك.

تَـابَـعَ الـذِّئْبُ بِـمَـكْـرٍ ثَـعْـلَـبِيٍّ وأَذِيَّـةْ

○ ○ ○

عَـادَ لِـلْأَوْصَـالِ يَـفْـرِيـهَـا لِأَجْـزَاءٍ ضَـنِـيَّـةْ[٣]

○ ○ ○

أَنْـتِ فِـرْعَـوْنِـيَّـةُ الْأَصْـلِ وَذَاتُ الْأَقْـدَمِـيَّـةْ
أَنْـتِ أُمُّ الْأَرْضِ فِـي الـتَّـارِيـخِ عُـظْمَـىٰ هَـرَمِـيَّـةْ
أَنْـتِ تَـاجُ الـشَّـرْقِ سُـورِيَّـةُ كُـبْـرَىٰ أَلْـمَـعِـيَّـةْ
أَنْـتِ فَـخْـرُ الـشَّـرْقِ يَـا شَـامُ. وَأَنْـتِ فِـينِـيـقِـيَّـةْ
أَنْـتِ أَصْـلُ الْـعَـرَبِ الْأَقْـحَـاحُ أَنْـتِ يَـمَـنِـيَّـةْ
أَنْـتِ آرَامِـيَّـةُ الْأَعْـرَاقِ عُـلْـيَـا وَقَـوِيَّـةْ
أَنْـتِ ذَاتُ الْـبَـأْسِ والـشِّـدَّةِ وَالـنَّـفْـسِ الْأَبِـيَّـةْ
أَنْـتِ لِـيـبِـيَّـةُ عِـرْقٍ أَنْـتِ فُـضْـلَىٰ تُـونُـسِـيَّـةْ
أَنْـتِ ذَاتُ الْـعِـلْمِ والْأَمْـجَـادِ فُـضْـلَىٰ مَـغْـرِبِـيَّـةْ
أَنْـتِ مِـنْ أَعْـرَاقِ نَـجْـدٍ أَنْـتِ عُـلْـيَـا قُـرَشِـيَّـةْ
أَنْـتِ بَـحْـرَانِـيَّـةُ الْـعِـرْ قِ. وأَنْـتِ قَـطَرِيَّـةْ
أَنْتِ فُضْلَىٰ مِنْ عُـمَـانٍ أَنْتِ فُضْلَىٰ حَـضْـرَمِـيَّـةْ
أَنْـتِ فُـضْـلَىٰ بَـدَوِيَّـةْ أَنْتِ عُـظْمَـىٰ حَـضَـرِيَّـةْ

○ ○ ○

أَنْـتِ إِلْـحَـادِيَّـةُ الْـفِـكْـرِ. وَأَنْـتِ اشْـتِـرَاكِـيَّـةْ
أَنْـتِ سِـيـرِي لِـيَـمِـيـنٍ أَنْـتِ سِـيـرِي يُـسْـرَوِيَّـةْ
أَنْـتِ قُـومِي بِـانْـفِـصَـالٍ أَنْـتِ كُـونِـي وَحْـدَوِيَّـةْ
أَنْـتِ فِي الـسَّـلْبِ تَـمَـادَيْ أَنْتِ زِيـدِي فِي الْـعَـطِيَّـةْ

---

(٣) ضنية: أي مريضة.

أَنْتِ بِالْقُوَّةِ وَالْعُنْفِ احْكُمِي والْعُنْجُهِيَّةْ[1]
أَنْتِ مِنْ أَجْلِ رَخَاءِ الشَّعْبِ كُونِي فَوْضَوِيَّةْ
لَا يَكُنْ فِيكُمْ تَقِيٌّ كَيْفَ كُنْتُمْ أَوْ تَقِيَّةْ
لَا تَكُونُوا أُمَّةً مُسْلِمَةً بَيْنَ الْبَرِيَّةْ
ثُمَّ كُونُوا بَعْدَهَا أَيَّ وُحُوشٍ بَشَرِيَّةْ

○ ○ ○

ضَحِكَ الْبَاغِي عَلَيْهَا بِأَخَادِيعَ ذَكِيَّةْ
فَاسْتَجَابَتْ بِغَبَاءٍ عَمَلَ الشَّاةِ الضَّحِيَّةْ
سَاقَهَا الْجَزَّارُ لِلذَّبْحِ إِلَىٰ أَرْضٍ قَصِيَّةْ
وَشَقِيقَاتٌ لَهَا أَمْسَيْنَ لِلْبَاغِي مَطِيَّةْ
وَلَدَىٰ الْمَذْبَحِ نَادَىٰ لِلْمَطَايَا هَيَّا. هَيَّهْ
فَالْتَقَىٰ الْجَمْعَانِ فِي حَرْبٍ غَبِيٌّ وَغَبِيَّةْ
وارْتَمَىٰ حَشْدُ الضَّحَايَا مِنْ أَيَادٍ أَخَوِيَّةْ
وَغَدَتْ أَشْلَاؤُهَا تَمْضَغُ آلَامَ الْمَنِيَّةْ

○ ○ ○

وَقَفَ الْبَاغِي يُنَادِي الْقَوْمَ: هَلْ ثَمَّ بَقِيَّةْ؟
أَنْتُمُو الْأَعْدَاءُ لَا غَيْرُكُمُو: هَيَّا إِلَيَّهْ
سَوْفَ لَا أَتْرُكُ مِنْكُمْ أَيَّ دَاعٍ لِلْقَضِيَّةْ
سَوْفَ لَا أَتْرُكُ فِي أَرْضِكُمُو أَرْضاً غَنِيَّةْ
سَوْفَ لَا أُبْقِي لِأَحْفَادِكُمُو فُرْشاً طَرِيَّةْ
أَوْ بَسَاتِينَ وأَنْهَاراً وَآبَاراً ثَرِيَّةْ
سَوْفَ لَا أَتْرُكُكُمْ إِلَّا شَقِيّاً وَشَقِيَّةْ

---

(١) العُنْجهيّة: الكبر والعظمة، والجهلُ والحمق.

سَــوْفَ أَرْضَــاكُمْ عَبِيــدِي إِنْ رَضِيتُــمْ بِــالــدَّنِيَّــةْ
أَوْ فَمُــوتُوا وَاتْــرُكُــوا لِي كُــلَّ خَــيْـرَاتِ الْبَــرِيَّــةْ

○ ○ ○

هــذِهِ رُوحُ الْـقَــضِـيَّــةْ نَحْنُ ـ وَاللَّهِ ـ الضَّحِيَّةْ
هَــلْ وَعَيْنَــا؟. هَــلْ رَأَيْنَــا؟ هَــلْ سَنَصْحُــو لِلْبَــلِيَّــةْ؟
هَــلْ سَــيَــأْتِينَــا رَشِيــدُ الْـفِـعْــلِ ذُو نَــفْسٍ أَبِــيَّــةْ
زَانَــهُ الْإِيــمَــانُ بِــالــلَّــهِ وَأَخْــلَاقٌ زَكِــيَّــةْ
قَــائِــدٌ يُــرْجِــعُ مَجْـدَ الْأُمَّــةِ الْـكُـبْـرَىٰ الْـعَـلِيَّــةْ
بِــكِــتَــابِ الــلَّــهِ والــسُّــنَّــةِ وَالْأَيْــدِي الْـقَــوِيَّــةْ
بِـجُـيُــوشٍ تَــهْــزِمُ الْبَــا غِي وَتَسْقِيــهِ الْـمَـنِيَّــةْ
هَــلْ؟؟ نَعَمْ فَــالصُّبْــحُ آتٍ والْــبَــلَايَــا زَمَــنِــيَّــةْ

مكة المكرمة في شهر جمادى الثانية ١٣٩٦ هجرية (١٠٠ بيت)





في أوّل شهر محرم من سنة (١٤٠٠هـ) احتلّ الحرم المكّيّ مجموعة مسلحة، كانت قد أعدت عدتها، ودبّرت مؤامرتها للقيام بفتنة أو ثورة ضد حكم المملكة العربية السعودية، تنطلق من الحرم المكّيّ الشريف، وكانت قد سربت ما تحتاج إليه من أسلحة وذخيرة وغذاء خفية إلى داخل الحرم، وأخفتها في غرف طابق القبو المسماة «خلاوي» أي: لخلوة المتعبدين المعتكفين في الحرم، من ذوي العلم والفضل.

وكان لهذه الحركة ذيول وجذور، ورأى المخططون لها من أعداء الإسلام استغلال الدين لتحريكها وإثارتها، فاستغلوا بعض الناقمين من متدينين حقّاً، واستغلوا حاقدين ممن لهم مطامع بالحكم والسلطان، وأغراراً كثيرين، وجنّدوهم ليستخدموهم وقوداً.

وصلىّ إمام الحرم المكي بالناس صلاة الفجر، وفيهم وافدون كثيرون للحج، لم ينصرفوا بعد إلى بلدانهم، وقام الثائرون فاستلم بعضهم جهاز الإذاعة، ليذيع خطاب الثورة، وأسرع أكثرهم إلى أبواب الحرم لإقفالها، واحتجاز الناس رهائن داخل الحرم، ثم رأى الثائرون أن يفرجوا عن الوافدين من الحجاج والوافدات، وأن يحتفظوا بالسعوديين والمقيمين في المملكة للعمل، وكان بين المحتجزين نساء وفتيات.

وتوزع الثائرون داخل الحرم الذي هو بمثابة قلعة محصنة لا نظير لها، وصاروا يتصيّدون برصاص بنادقهم من النوافذ والمآذن كل من يشاهدونه خارج الحرم من جنود وعساكر ورجال أمن وغيرهم.

وقتل على أيديهم خلق كثير، واستمرت فتنتهم أكثر من أسبوعين، وهم محتلون الحرم المكي، وينتظرون قيام الثورة العارمة في كل أنحاء البلاد.

وأَطلَقُوا مزاعم، زعموا فيها أن بينهم المهديّ المنتظر، وجمعوا أحاديث عن المهدي، أوهموا بها أتباعهم أن الجيش الذي يأتي لمحاربتهم يخسف به، وأنهم لا محالة منتصرون، أما أدلة انطباق المهدي المنتظر على رجلهم القحطاني فقد كانت فيما زعموا رؤى منامية شهدها عدد منهم، وهي جميعها متطابقة، وتحدّد أنه هو رجلهم.

وكان على الحكومة السعودية الرشيدة أن تأخذ الأمر بالحكمة، وأن تتفادى اقتحام الحرم بالأسلحة الآلية، وصبرت صبراً كبيراً كان محل تقدير الجميع.

ولما نفد صبرها، وطالت عليها المدة، وجدت أنه لا سبيل لقمع هذه الفتنة، إلا باقتحام جزئيّ محدود، واستفتت العلماء فأفتوها، واستخدمت القوة الآلية بقدر محدود جداً، وتم لها القضاء على الفتنة.

وفي رأيي ـ استناداً إلى أمارات كثيرة ـ أن هذه الفتنة قد كانت مؤامرة كبيرة جداً، ذات صلة بمخططين من خارج البلاد، هدفها استخدام حاقدين ومهووسين أغرار، للقيام بثورة غايتها اتخاذ الدين جسراً مرحلياً، يدمّر تماماً عند نجاح الثورة، وعندئذٍ يجري في البلاد نظير ما جرى في بعض البلاد العربية التي قامت فيها الانقلابات العسكرية، فالثورات الاشتراكية. ثم يجرّ ذلك ما يجر من بلايا ونكبات، منها التجزئات والتقسيمات والإفقار، وتبديد الطاقات والثروات، وهدم الصناعات، ومطاردة ذوي العقول الحصيفة، وتهجير الخبرات.

وإذا لم تنجح الثورة قامت الفجوة والجفوة، بين الدولة وبين علماء المسلمين والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، ويتصور المخططون أن الدولة ستأخذ منعطفاً آخر مجافياً للدين، ولدعاته وحماته، وهو الأمر الذي لم يحدث بحمد الله رغم فشل الثورة، لأن الحكومة السعودية كانت على بصيرة، فلم

تستدرج لهذا الأمر، ففصلت ما بين الفتنة والقيادات الدينية الحكيمة، وظلّت حامية لقاعدتها الدينية، ومحافظة على العقيدة الإسلامية.

لقد تأكد عندي أن هدف المخططين من وراء الحدود لتحريك هذه الفتنة، هو الإجهاز على بقايا القاعدة الإسلامية التي حافظت عليها المملكة العربية السعودية، وتحطيمها وتجزئتها وتقسيمها. وأن المستثمر لذلك هم أعداء الإسلام، وفي مقدمتهم دولة إسرائيل واليهودية العالمية.

وبهذه المناسبة نظمت هذه القصيدة ونشرتها في حينها بجريدة «الندوة»، وهي بعنوان:

«فتنة الحرم وعظاتها»

فِتْنَةُ الْحَرَمِ وَعِظَاتُها

فِتْنَـةٌ قَـدْ دُبِّـرَتْ فِي الـظُّلُمَـاتْ   لِانْتِهَـاكِ الْحُـرُمَـاتِ الْكُبْـرَيَـاتْ
حُرُمَاتِ الْبَيْتِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامْ   فِي رِحَـابِ الْأَمْنِ بُسْتَـانِ التُّقَـاةْ
فِي رِحَـابِ الـطَّائِفِينَ الْعَـاكِفِينْ   وَرِحَـابِ الـطَّائِفَـاتِ الْعَـاكِفَـاتْ
فِي رِيَـاضِ الرَّاكِعِينَ السَّـاجِـدِينْ   وَرِيَـاضِ الـراكِعَـاتِ السَّـاجِـدَاتْ
فِي جِنَـانِ الْمُخْبِتِينَ[1] الْعَـابِـدِينْ   وجِنَـانِ الْمُخْبِتَـاتِ الْعَـابِـدَاتْ

○ ○ ○

فِتْنَـةٌ قَـدْ دُبِّـرَتْ خَلْفَ الْحُـدُودْ   حَيْثُ يَغْلِي بالْخَنَىٰ[2] مَكْرُ الْيَهُودْ
فِـي جَحِيمٍ يَـتَلَظَّىٰ حِـقْـدُهـا   وَعَـلَىٰ أَبْـوَابِـهَـا كُـلُّ حَـقُـودْ
تَقْـذِفُ الشَّـرَّ شُـوَاظاً لَا يُـرَىٰ   مِـثْلَمَـا تَـقْـذِفُـهُ عَيْـنُ حَسُـودْ
سَـاقَ شَـيْـطَانُ يَـهُـودٍ بَـقَـراً   حَمَلَتْ أَنْفُسُهَـا حِقْـدَ الْـجُـدُودْ
وَعَـلَىٰ أَرْؤُسِـهَـا أَثْـقَـالُـهَـا   مِنْ عَتَادِ الْحَرْبِ والْبَأْسِ الشَّدِيدْ

○ ○ ○

فِـتْنَـةٌ قَـدْ دُبِّـرَتْ لِـلْمُسْلِمِينْ   لاصْطِيَادِ الْأَمْنِ فِي البيت الْأَمِينْ
أُطْـلِقَـتْ نِـيـرَانُـهَـا آثِـمَـةً   فِي رِحَابِ الطُّهْرِ فِي الصَّرْحِ الْحَصِينْ
مِـنْ مَنَـاراتٍ سَـمَـتْ شَـاهِـقَـةً   تَتَحَـدَّىٰ الكُفْـرَ بَيْنَ الْعَـالَمِينْ
كَـمْ عَـلاَ مِـنْـهَـا أَذَانٌ وسَـرَىٰ   لِلْوَرَىٰ: كالشَّمْسِ كالنُّورِ الْمُبِينْ

---

(١) الْمُخْبِت: هو الخاشع المتواضع لله، أخذاً من الْخَبْت: وهو المُتَّسعُ من بطون الأرض.
(٢) الخنىٰ: آفات الدهر ومصائبه.

أَطْلَقَ الْبَاغُونَ مِنْهَا نَارَهُمْ مِنْ فَسَادِ الرَّأْيِ والْحِقْدِ الدَّفِينْ

○ ○ ○

فِتْنَةٌ قَدْ وُضِعَتْ خِطَّتُهَا حَيْثُ مَثْوىٰ الكُفْرِ حَيْثُ الْمُفْسِدُونْ

نَفَّذَتْهَا فِئَةٌ بَاغِيَةٌ طَمَسَ الْجَهْلُ بِهَا نُورَ الْعُيُونْ

زَعَمُوا الْمَهْدِيَّ فِيهِمْ قَائِماً وارْتَدَىٰ كَذَّابُهُمْ حُلَّةَ دِينْ

كِذْبَةٌ مَا فَتِئَتْ أَنْ فُضِحَتْ إِذْ دَهَىٰ مَهْدِيَّهُمْ رَيْبُ الْمَنُونْ

قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ مَخْبَئِهِ وَكَذَا تُفْضَحُ كِذْبَاتُ الْجُنُونْ

○ ○ ○

لَا تَظُنُّوا أَنَّ مَا قَدْ كَانَ مِنْ فِتْنَةٍ شَرٌّ بَلِ الْخَيْرُ بِهَا

أَيْقَظَتْ مَنْ كَانَ مِنَّا قَدْ غَفَا عَنْ دُهَاةِ الْمَكْرِ أَوْ كَانَ سَهَا

أَثْبَتَتْ قُوَّةَ جُنْدِ اللَّهِ فِي قَمْعِ بَاغِي الشَّرِّ لَمَّا سَفِهَا

ذَكَّرَتْنَا أَنَّ مَا فِينَا فَشَىٰ مِنْ ذُنُوبٍ سَبَبٌ فِيما دَهَىٰ

أَنَّ دِينَ اللَّهِ مَبْدَانَا فَإِنْ لَمْ نَصُنْهُ حَلَّ سُوءُ الْمُنْتَهَىٰ

○ ○ ○

وَاضِعُ الْخِطَّةِ قَدْ رَتَّبَهَا بِدَهَاءٍ بَالِغِ الْكَيْدِ خَبِيرْ

قَدْ بَنَىٰ الْجِسْرَ إِلىٰ غَايَتِهِ مِنْ غُلَاةٍ وذَوِي حِقْدٍ كَبِيرْ

قَصْدُهُ أَنْ يَطْعَنَ الإِسْلَامَ فِي صَدْرِه لِلْقَلْبِ مِنْهُ للضَّمِيرْ

قَصْدُهُ أَنْ يَهْدِمَ الْبُرْجَ الَّذي لَمْ تَزَلْ فِيهِ مَصَابِيحُ تُنِيرْ

لَمْ يَزَلْ يَرْفَعُ فِي هَامَتِهِ كِلْمَةَ التَّوْحِيدِ والْحَقِّ الْمُنِيرْ

○ ○ ○

رُبَّ جِسْرٍ مِنْ رِجَالٍ زَعَمُوا أَنَّهُمْ بِالْحَقِّ قَامُوا لِلْهِدَايَةْ

فَإِذَا مَرَّ عَلىٰ أَكْتَافِهِمْ وَاضِعُ الْخِطَّةِ شَيْطَانُ الْغِوَايَةْ

دَمَّرَ الشَّيْطَانُ مِنْهُمْ جِسْرَهُ ورَمَاهُمْ عَنْ دَهَاءٍ وَدِرَايَةْ

هُمْ وَمَنْ قَامُوا عَلَيْهِ هَمُّهُ أَنْ يَرَاهُمْ سَقَطُوا صَرْعَىٰ الْعَمَايَةْ

أَيُّهَا الْأَغْرَارُ لَا تَنْخَدِعُوا ... بِبِدَايَاتٍ لَهَا هٰذِي النِّهَايَةْ

○ ○ ○

قَصْدُهُ أَنْ يَقْتُلَ الْإِيمَانَ فِي ... دَاخِلِ الصَّرْحِ بِنَارٍ وحَدِيدْ

قَصْدُهُ أَنْ يُحْدِثَ الثَّوْراتِ فِي ... دَاخِلِ الصَّرْحِ بِأَوْبَاشٍ عَبِيدْ

قَصْدُهُ أَنْ يُحْدِثَ الْفَجْوَةَ مَا ... بَيْنَ مَبْنَى الْبُرْجِ والرُّكْنِ الشَّدِيدْ

فَإِذَا مَا انْفَصَلَ الْبُرْجُ وَهَى ... وَارْتَمَى فِي كَفِّ ذِي كَيْدٍ مَرِيدْ

إِنَّ رُكْنَ الدِّينِ في الصَّرْحِ هو الرُّ ... كْنُ لِلْبُرْجِ لَدَى الرَّأْيِ السَّدِيدْ

○ ○ ○

لُعْبَةُ الشَّيْطَانِ مَا أَخْبَثَهَا ... تَقْطَعُ الْقَادَةَ عَنْ أَوْفَى الْجُنُودْ

تُفْسِدُ الْوُدَّ لِيَزْوَرَّ هَوَى ... سَيِّدِ الْغَابَةِ عَنْ حُبِّ الْأُسُودْ

فَإِذَا مَا انْقَطَعَ الْوُدُّ أَتَى ... يَخْدَعُ السَّيِّدَ ذُو مَكْرٍ حَقُودْ

وَمَعَ الْمَاكِرِ فَخٌّ قَاتِلٌ ... لِحُمَاةِ الصَّرْحِ ما اشْتَدَّ الصُّمُودْ

خَيَّبَ الْجَبَّارُ مَسْعَاهُ بِنَا ... وحَمَى الصَّرْحَ بِذي بَأْسٍ رَشِيدْ

○ ○ ○

قِيلَ: أَيْنَ الطَّيْرُ تَحْمِي الْحَرَمَا ... وَتُذِيقُ الْخَارِجِينَ الْحُمَمَا؟

قُلْتُ: لَا حَاجَةَ لِلطَّيْرِ إِذَا ... جَاءَ جُنْدُ الْحَقِّ يَحْمُونَ الْحِمَى

حِينَ أَمَّ الْبَيْتَ بَاغٍ كَافِرٌ ... يَقْصِدُ الْهَدْمَ مُبِيناً مُعْلِمَا

لَا لِأَمْرٍ غُلِّفَتْ غَايَاتُهُ ... بِدَعَاوَى تَسْتَبِيحُ الْحُرَمَا

وَوَهَى حُرَّاسُ هَذَا الْبَيْتِ عَنْ ... حِفْظِهِ جَاءَتْ تَدَابِيرُ السَّمَا

○ ○ ○

يَا حُمَاةَ الدِّينِ مِنْ أُمَّتِنَا ... أَبْصِرُوا لَا تَغْفُلُوا عَمَّا يُكَادْ

إِنَّكُمْ بَيْنَ الْبَرَايَا هَدَفٌ ... إِنَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ أَمْرٍ يُرَادْ

رُبَّ مَنْ آلَمَهُ الْفِعْلُ أَتَى ... مِنْ رُدُودِ الْفِعْلِ مَا دَكَّ الْبِلَادْ

فَغَدا مِنْ حُمْقِهِ فِيما أَتَى ... ضِمْنَ أَكْوَامِ حُطَامٍ ورَمَادْ

وَبِـهِ حَـقَّـقَ مَـنْ قَـدْ كـادَهُ كُـلَّ أَوْ بَعْضَ الَّـذِي مِنْـهُ أَرَادْ

○ ○ ○

يَـا رُعَـاةَ الْأَمْـرِ زِيـدُوا الْحَـرَسَـا مِنْ حُمَاةِ الدِّينِ أَهْلِ الْمَكْرُمَـاتْ
مَـا أصَـابُـوا مِنْ قَبِيـحٍ دَنَسَـا لَمْ تُخَـرِّبْـهُمْ مَـفَـاهِيـمُ الْغُـلاَة
لَمْ يَمَسَّ الكَيْـدُ مِنْهُـمْ أَنْفُسَـا فِي بِـلَادِ الكُفْرِ أَرْضِ الْمُـوبِقَاتْ
خَيْـرُ من نَجْعَـلُ مِنْهُمْ عَسَسـاً يَحْفَـظُونَ الْأَمْنَ مِنْ بَغْيِ الطُّغَـاةْ
حِينَمـا نَبْحَثُ عَنْهُمْ غَلَسَـا نَـلْقَـهُـمْ بَـيْـنَ دُعَـاءٍ وصَـلَاةْ

مكة المكرمة في ١٤٠٠/١/٢٢ هجرية (٦٠ بيتاً)

٣٤

في شهر ربيع الأول من سنة ١٤٠١ هجرية مطلع القرن الخامس عشر الهجري، تمَّ انعقاد مؤتمر القمة الإسلامي الثالث بمكة المكرمة، وكان ذلك في عهد الملك خالد بن عبدالعزيز رحمة الله عليه.

ورأت القيادة السعودية يومئذٍ أن تفتتح الجلسة الأولى من جلسات هذا المؤتمر في الحرم المكّيّ الشريف، عند الكعبة المعظمة بيت الله الحرام، أوَّل بيت وضع للناس. استعطافاً لقلوب قادة المسلمين وزعمائهم، من أجل إنقاذ القدس الشريف، من تسلّط الصهيونيَةَ الآثمة.

وكان لا بدّ أن يسهم أدب الدعوة إسهاماً ما في هذه المناسبة.

فكتبت هذه القصيدة بعنوان:

«عِنْدَ المنصةِ فِي الحرمْ أقطابُ مُسْلِمَةِ الأممْ»

إذْ كانت الدولة السعودية قد أعدت منصة للمدعوّين لحضور جلسة الافتتاح، في مواجهة باب الكعبة، وقد نشرت في جريدة «الندوة» إبان انعقاد المؤتمر.

وهذا العنوان هو أحد أبيات هذه القصيدة.

ولا بد أن يلاحظ القارىء أن القصيدة فيها حكمة مواجهة الزعماء، مع ما فيها من جرأة، وبيان للمقصود، وهو الأسلوب الذي علّمه الله موسى عليه السلام.

عِنْدَ المنصة في الحرم أقطاب مسلمة الأمم

مَـرَّتْ قُـرُونٌ عَـشْـرَةٌ قُـرِنَـتْ بِـأَرْبَـعَـةٍ أُخَـرْ
مِنْ عَـامِ هِجْـرَةِ أَحْمَـدٍ خَـيْـرِ الـنَّـبِـيّـيـنَ الْأَبَـرّ
مَـنْ عِـنْـدَهُ انْـتَـهَـتِ الـرِّسَـالاَتُ الْـمُـنَـزَّلَـةُ الْـكُـثُـرْ
لَـمَّـا اصْـطَـفَـاهُ اللَّـهُ لِـلـدِّيـنِ الْـعَـظِـيـمِ الْـمُـدَّخَـرْ
دِيـنِ الْـهِـدَايَـةِ كُـلِّـهَـا لِجَمِيـعِ أَصْـنَـافِ الْـبَـشَـرْ

○ ○ ○

هَـذِي الْـقُـرُونُ الـسَّـالِـفَـاتُ بِـمَـا عَـلاَ وبِـمَـا انْـحَـدَرْ
فِـيمَـا صَـفَـا مِنْـهَـا لَنَـا أَوْ مَـسَّـنَـا مِـنْـهُ كَـدَرْ
فِـيـمَـا تَـقَـدَّمَ وَازْدَهَـى أَوْ مَـا تَـغَـيَّـرَ وانْـحَـسَـرْ
تَـارِيـخُـنَـا فِـيـهَـا سُـطِـرْ فِـيـهِ الْـمَـفَـاخِـرُ والْـعِـبَـرْ
فِـيـهِ الْـعِـظَـاتُ الـصَّـالِـحَـاتُ لِـمَـنْ تَـفَـكَّـرَ واعْـتَـبَـرْ
تَـارِيـخُـنَـا يَـرْوِي لَـنَـا فِـيمَـا تَـحَـقَّـقَ مِـنْ خَـبَـرْ
مَـهْـمَـا تَـمَـسَّـكْـنَـا بِـدِيـنِ الـلَّـهِ حَـالَـفَـنَـا الْـقَـدَرْ
وَإِذَا تَـنَـكَّـبْـنَـا صِـرَاطَ الـلَّـهِ دَاهَـمَـنَـا الْـخَـطَـرْ
وَعَـدَتْ عَـلَـيْـنَـا الْـعَـادِيَـاتُ وَأَنْـزَلَـتْ فِـيـنَـا الـضَّـرَرْ
إِمَّـا بِـمَـسٍّ مِـنْ شَـرَرْ أَوْ بِـالْـقَـذَائِـفِ مِـنْ سَـقَـرْ
وَلَـرُبَّـمَـا اسْـتَـوْلَـىٰ عَـلَـىٰ بُـلْـدَانِـنَـا الـنَّـذْلُ الْأَشِـرْ

○ ○ ○

وَالْـيَـوْمَ مِـنْ بَـعْـدِ الْـقُـرونِ الـسَّـالِـفَـاتِ بِـمَـا غَـبَـرْ

فِي مَـطْلِعِ الْقَرْنِ الْمُضِي ... ءِ بِمَـا يُبَشِّـرُ بِـالـظَّفَـرْ
فِـي رَجْـعَـةٍ مَـبْـرُورَةٍ ... لِصِـرَاطِنَـا بَيْنَ الْـبَشَـرْ
فِي صَـحْـوَةٍ مَـشْـكُـورَةٍ ... فِيهَـا الْـبَصِـيـرَةُ والْحَـذَرْ
هٰـذِي أَمَـارَاتٌ بِـهَـا ... بُشْـرَىٰ بِغَيْـثٍ مُنْهَـمِـرْ
يَـأْتِي لَنَـا بَعْـدَ الْجَـفَـا ... فِ فَـنَسْـتَمِـدُّ وَنَـزْدَهِـرْ

○ ○ ○

الْـيَـوْمَ مِنْ بَعْـدِ الْقُـرُو ... نِ السَّـالِفَـاتِ بِمَـا غَبَـرْ
يَـدْعُـو حُـمَـاةُ الْـبَـيْـتِ لـلْإِسْـلَامِ وَالْـمَـجْـدِ الْأَغَـرّ
وَإِلَىٰ الْجِهَـادِ وَكُـلِّ تَـدْ ... بِـيـرٍ بِـهِ خَـيْـرٌ وَبِـرّ

○ ○ ○

رَفَـعُـوا الْـمِـنَـصَّـةَ فِـي الْـحَـرَمْ
بَـيْـنَ الـصَّـفَـا والْـمُـلْتَـزَمْ
عِـنْـدَ الْـمَـقَـامِ الْـمُـحْـتَـرَمْ
والـرُّكْـنِ ذِي الْـمَـجْـدِ الْأَشَـمّ
وَدَعَـوْا لِأَمْـرٍ ذِي عِـظَمْ

○ ○ ○

عِـنْـدَ الْـمِـنَـصَّـةِ فِـي الْـحَـرَمْ
أَقْـطَابُ . مُـسْـلِمَـةِ الْأُمَـمْ
مِـنْ كُـلِّ عُـرْبٍ أَوْ عَـجَـمْ
واسْـتَـوْثَـقُـوا بِـعُـرَىٰ الـذِّمَـمْ
وَأَجَـلِّ أَقْـدَاسِ الْـحُـرَمْ

وَتَعَـاطَفُوا . وَتَـدَالَفُوا . وتَـآلفـوا . وتَكَـاتَفُـوا . وتَحَـالَفُـوا
وَتَـوَادَدُوا . وَتَسَانَـدُوا . وتواعَـدُوا . وتَعَاقَـدُوا . وتَعَاهَـدُوا

١ ـ أَنْ يَنْصُرُوا الْأَقْصَىٰ السَّلِيبْ
مِنْ ظُلْمِ ذِي كَيْدٍ عَجِيبْ
خُدِعَتْ بِهِ دُوَلُ الصَّلِيبْ

٢ ـ أَنْ يَغْسِلُوا الْقُدْسَ الْحَبِيبْ
والتَّابِعَاتِ مِنَ الدُّرُوبْ
مِنْ رِجْسِ فَاجِرَةِ الشُّعُوبْ

٣ ـ أَنْ يَدْعَمُوا الشَّعْبَ الشَّرِيدْ
مِنْ بَغْيِ رُوسٍ أو يَهُودْ
أَوْ أَيِّ جَبَّارٍ عَنِيدْ

٤ ـ أَنْ يَلْزَمُوا الرَّأيَ السَّدِيدْ
أَنْ يَسْلُكُوا النَّهْجَ الرَّشِيدْ
وَيُبَاشِرُوا الْعَمَلَ الْمَجِيدْ

٥ ـ أَنْ يَبْرَؤوا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَرِيدْ

○ ○ ○

• يَا رَبِّ . مَاذَا بَعْدَ هَذَا يَفْعَلُونْ؟
أَفَهُمْ بِحَقٍّ يَصْدُقُونَ وَيُخْلِصُونْ؟
يَا رَبِّ . هَذا المرتَجَىٰ مِنْ جَمْعِهِمْ

• هَلْ هُمْ يَفُونَ بِعَهْدِهِمْ؟
هَلْ يَصْدُقُونَ بِوَعْدِهِمْ؟
هَلْ يُخْلِصُونَ بِوُدِّهِمْ؟

وَيُجَاهِدُونَ لِرَبِّهِمْ؟
لاَ يَبْخَلُونَ بِجَهْدِهِمْ؟
وشُعُوبُهُمْ جُنْدٌ لَهُمْ؟
يَا رَبِّ . هٰذَا الْمُرْتَجَىٰ مِنْ جَمْعِهِمْ

○ ○ ○

إِنْ يُؤْمِنُوا:
إِنْ يَصْدُقُوا:
إِنْ يُخْلِصُوا:
إِنْ يَعْمَلُوا:
إِنْ يَبْذُلوا:
فَاللَّهُ مُوثِقُ عَهْدِهِمْ
وَهْوَ الْحَلِيفُ لِحِلْفِهِمْ
وَهْوَ النَّصِيرُ لِجَمْعِهِمْ
وَسَيَبْلُغُونَ لِقَصْدِهِمْ

○ ○ ○

وَإِذَنْ . فَيَا بُشْرَىٰ لَهُمْ
بِفَخَارِهِمْ وَبِمَجْدِهِمْ
وَمَثُوبَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ
وَلَهُمْ بِنَا . وَلَنَا بِهِمْ

مكة المكرمة في ١٤٠١/٣/١٩ هجرية (٦٩ بيتاً)



٣٥ و ٣٦

بعد النزعة القومية، والتبعيّات العمياء في استيراد المبادىء الزيوف من الغرب والشرق، التي صنعت الهزائم، والانهيارات الاجتماعية، وألوان التجزئة والتمزيق في شعوب الأمة الإسلامية، قَامَت نزوات انفعالية تسخر من ميراث أمتها، لأنهّا أمست لا تُشاهد من هذا الميراث جوهره الحقيقي، بعد أن عزلته عن الفكر والسلوك، إنّما تشاهد تقاليد شكلية، ليست هي في حقيقتها من جوهر هذا الميراث، بل هي عوالق زمنية، لها سيما الأزياء التي تتغيّر مع الزمن، ولها طبيعة الآثار المتحفية المادّية.

ورأيت هذه النزوات الساخرة المحتقرة لهذا الميراث، مشيرة بأصابعها إلى هذه المادّيات المتحفية، ومطلقة عبارات التعميم الشاملة لجوهر الميراث الذي هو ميراث علم وخلق ونظام وتشريع، وميراث بناء أُمَّةٍ قوية قائدة رائدة.

ومن هؤلاء الساخرين فسّاق وملاحدة مرتمون في أحضان مواخير الغرب يَجْتَرّون الأوبئة، ومنهم ملاحدة مجرمون، مسوقون على زحّافات كلاب ثليج الشرق البارد، إلى حتوفهم وحتوف أمتهم.

وهؤلاء وهؤلاء يشتمون ميراث أمتهم، ويتبرؤون منه ومن أمجاد أجدادهم الذين صنعوا أو حملوا هذا الميراث العظيم.

وهاتان القصيدتان تعالجان نزوات هذا الصنف الساخر من ميراثنا العظيم.

الأولى: بعنوان «التراث العظيم».

الثانية: بعنوان «الجدّ يتبرأ».

التراث العظيم

إنّ مَجْـدِيَ كَنْزٌ مَلِيءُ الْبُـطُونِ ... بِـنَفِيسِ الْمَكِيـلِ والْـمَـوْزُونِ
بِفَـرِيـدِ الْهُـدَىٰ. بِكُـلِّ جَلِيـلٍ ... مُسْعِـدٍ لِلْوَرَىٰ. عَـزِيـزٍ مَصُـونِ
بِبَـدِيـعِ الْعُلُومِ مِنْ كُـلِّ حَقٍّ ... عَـبْقَـرِيٍّ. يَـبُـزُّ كُـلَّ الْفُنُـونِ
لَيْسَ إِرْثِي مَأْكُولَ عَصْفٍ قَدِيمٍ[1] ... مِثْـلَ غَيْـرِي. وَلَا هُـرَاءَ مُجُـونِ

○ ○ ○

يَا فَخَارِي. لَا تَأْسَ إِنَ هَرَّ كَلْبٌ[2] ... مِنْ بِـلَادِي عَلَيْـكَ بَعْـدَ قُـرونِ
فَـبِـلَادِي كِـلَابُـهَـا مِـنْ قُـرُونٍ ... هُجِّنَتْ مِنْ لِقَـاحِ بَـاغٍ خَـؤُونِ
لَا يَـرَىٰ فِيكَ أَحْـوَلُ الْـفِـكْـرِ إِلَّا ... لَمْلَمَـاتٍ مِنَ التَّقَـالِيـدِ جُـونِ[1]
عَلِقَتْ فِيَّ. حَـظُّهَـا مِنْ تُـرَاثِي ... كَبَقَـايَا الْقَتَـامِ[2] فَوْقَ الْـحُصُونِ
جَلَبَتْهَـا الـرِّيَـاحُ مِنْ كُـلِّ قَفْـرٍ ... وَرَمَاهَا الْإِهْمَـالُ فَوْقَ الْجُفُـونِ[3]

○ ○ ○

مَنْ لِهَـذَا الْقَتَـامِ يَنْفِيـهِ عَنِـي ... بِـطَهُـورٍ غَيْثٍ مُغِيْثٍ هَتُـونِ؟
لِتَـرَىٰ هَـدْيِـيَ الْمُضِيءَ بِمَجْـدِي ... وشُمُوخِي فِي الدَّهْـرِ كُلُّ الْعُيُـونِ

مكة المكرمة في ١٤٠٥/٤/٩ هجرية ... (١١ بيتاً)

---

(١) العصف: بقل الزرع، والمأكول منه هو ما أكل حبّه وبَقي تبنه، وداسته الأنعام بأرجلها.
(٢) هَرَّ الكلب: صاح صياحاً ضَعيفاً دون النباح.
(١) جُون: بضم الجيم جمع مفرده «جَوْن» بفتح الجيم، وهو الأسود. وقد يطلق على الأبيض فهو من الأضداد.
(٢) القتام: الغبار الضارب إلى سواد.
(٣) أي فوق المشرفات من الحصن التي تشبه الجفون.

الجدُّ يتبرأ

إِنَّــهُ لَــيْسَ حَــفِــيــدِي
هُــوَ فِــكْــرٌ غَــيْــرُ صَــالِــحْ
وَاعْــتِــقَــادُ غَــيْــرُ صَــالِــحْ
وَسُــلُوكُ غَــيْــرُ صَــالِــحْ
فَــأَنَــا مِــنْــهُ بَــرِيءْ

○ ○ ○

إِنَّــهُ لَــيْسَ حَــفِــيــدِي
إِنَّــنِــي لِــلَّــهِ مُــسْــلِمْ
وَهْــوَ بَــيْــنَ الــنَّــاسِ مُــجْــرِمْ
قَــلْبُــهُ بِــالــكُــفْــرِ مُــظْلِمْ
وأَنَــا قَــلْبِــي وَضِــيءْ

○ ○ ○

إِنَّــهُ لَــيْسَ حَــفِــيــدِي
أَنَــا بَــانٍ فــي حَــضَــارَةْ
ذَاتِ عِــزٍّ وَنَــضَــارَةْ
ذَاتِ عِــلْمٍ وَطَــهَــارَهْ
كَــنْــزُهَــا طَــوْدٌ مَــلِيءْ

○ ○ ○

أَنَــا مِنْ قَــوْمٍ بَنَــوْ عِــزّاً وَمَجْــدا
نَشَــرُوا فِي النَّــاسِ أَخْــلَاقَــاً وَرِفْــدا

وَبِنُـورِ اللَّهِ مَـدُّوا الْـعِلْمَ مَـدًّا
وأَقَـامُـوا الْـعَـدْلَ إِيعَـاداً وَوَعْـدا
وَبَنَـوْا مِنْ دُونِ جُنْـدِ الشَّـرِّ سَـدًّا

○ ○ ○

إِنَّـهُ لَـيْسَ حَـفِـيـدِي
هُـوَ بِـالْـهَـدْمِ شَـغُـوفُ
وَعَـنْ الْـخَـيْـرِ عَـزُوفُ
وَلِأَعْـدَائِـي حَـلِيـفُ
وَعَـلَىٰ الْإِثْـمِ جَـرِيءْ

○ ○ ○

إِنَّـهُ لَـيْسَ حَـفِـيـدِي
مُـنْـذُ صَـادَتْـهُ الْـقُـرُودْ
وَنَـأَىٰ خَـلْفَ الْـحُـدُودْ
بَـرِئَـتْ مِـنْـهُ الْـجُـدُودْ
فَـهْـوَ فِـي الـنَّـاسِ قَـمِـيءْ

○ ○ ○

هُـوَ مِمَّنْ قَـدْ أَتَىٰ الْمَجْـدَ فَهَـدَّمْ
وَعَـلَىٰ الْأَنْـقَـاضِ غَـنَّـىٰ وَتَـرَنَّـمْ
سَـاءَه الْإِسْـلَامُ إِذْ لِلْفِسْقِ أَسْلَمْ
غَـيْـرَ إِغْـوَاءٍ وَفُـحْشٍ مَـا تَـعَـلَّمْ
هُـوَ يَـهْـذِي أَوْ بِـفُـحْشٍ يَـتَـكَـلَّمْ

○ ○ ○

إِنَّـهُ لَـيْسَ حَـفِـيـدِي
قَـاطِـعُـوهُ يَـا بُـنَـيَّـهْ
إِنَّـهُ خَـالِـي الْـهُـوِيَّـةْ
إِنَّـهُ عَـبْـدُ الْـغَـوِيَّـةْ
طَـالِـبٌ كُـلَّ دَنِـيءْ

○ ○ ○

إِنَّـهُ لَـيْسَ حَـفِـيـدِي
قَـاطِـعُـوهُ وَذَرُوهُ
وَانْـبِـذُوهُ واحْـقِـرُوهُ
وَبِـجُـحْـرٍ فَـاحْـصِـرُوهُ
فَـأَنَـا مِـنْـهُ بَـرِيءْ

○ ○ ○

قُـوتُـهُ الْخِنْـزِيـرُ والْخَمْـرُ شَـرَابُـهْ
طَارَ «بِالـوِيسْكِي وَبِالفُـودْكَا» صَـوَابُهْ
وَصَبَـايَـا الْغَـرْبِ وَالشَّـرْقِ طِـلاَبُـهْ
فَـأَغَـانِـيـهِ لَـهُـنَّـهْ
وَكِـلاَب عِـنْـدَهُـنَّـهْ
بَـلْهَ نَـاسٍ أَهْـلِهِـنَّـهْ
ولِقَبْـرِي وتُـرَاثِي. بَعْـدَ أَجْيالٍ سِبَـابُـهْ
مِثْلُ هَذَا فَلْتُجَـرْجِرْهُ إِلَى الْخِزْيِ كِـلاَبُـهْ
فَـأَنَـا مِـنْـهُ بَـرِيءْ

○ ○ ○

هَمُّـهُ الأَكْبَـرُ بَيْنَ النَّـاسِ خَمْـرٌ ونِسَـاءْ
واللَّيَـالِي الْحُمْرُ وَالسُّـودُ وتَـرْنِيمٌ غُثَـاءْ

هَجَرَ الزَّيْتُونَ لاَ يَدْرِي لِمَنْ يُعْطِي الْوَلاَءْ
رَكِبَ الْأُرْجُوحَةَ الكُبْرَىٰ عَلَىٰ غَيْرِ حَيَاءْ
فِي أَقَاصِي الشَّرْقِ لَيْلاً عِنْدَ أَحْضَانِ الشَّقَاءْ
وَهْوَ فِي الْغَرْبِ عَلَىٰ حَانَاتِهِ عِنْدَ الْمَسَاءْ
وَلِسَانٌ مُقْذِعٌ يَحْلُو لَهُ شَتْمُ الْعَلاَءْ
وَسِبَابُ الطُّهْرِ فِي النَّاسِ وَطَعْنُ الْأَتْقِيَاءْ

○ ○ ○

فَدَعُوهُ هُوَ فِيكُمْ. إِنْ أَتَىٰ السَّيْلُ جُفَاءْ

○ ○ ○

إِنَّهُ لَيْسَ حَفِيدِي
لَسْتُ مِنْهُ لَيْسَ مِنِّي
هَانَ فِيكُمْ إِنْ يُهِنِّي
أَبْعِدُوا الشَّيْطَانَ عَنِّي
فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءْ

○ ○ ○

أَوَ حَقاً يَا خَبَاثِ
لَسْتَ تَدْرِي مِنْ تُرَاثِي
غَيْرَ عُكَّازٍ وَسُبْحَةْ؟!
حِينَ وَزَّعْتَ أَثَاثِي
بَعْدَ أَنْ هَدَّمْتَ صَرْحَهْ
لَمْ تُصَادِفْ من تُرَاثِي
غَيْرَ مَا أُوثِرُ طَرْحَهْ

○ ○ ○

قَـاطِـعُـوهُ يَـا بَـنِـيَّـهْ
إِنَّــهُ خَـالِـي الْـهُـوِيَّـهْ
إِنَّــهُ عَـبْـدُ الْـغَـوِيَّـةْ
طَـالِـبٌ كُـلَّ دَنِـيءْ

○ ○ ○

شَـأْنُـهُ إِذْ رَامَ كَـيْـداً
شَـأْنُ مَـنْ أَوْقَـدَ وَقْـداً
أَحْـرَقَ الْـمُـصْـحَـفَ عَـمْـداً
وَسَـعَـىٰ يَـبْـحَـثُ كَـدًّا
عَـنْ كِـتَـابٍ كَـانَ مَـجْـداً

○ ○ ○

فَـرَأَىٰ الْـكِـيسَ الْـمُـطَرَّزْ
فَـاحْـتَـواهُ وَتَـحَـرَّزْ
ثُـمَّ قَـالَ الْـكِـيسُ خَـالٍ
هُـوَ شَـيْءٌ لَـيْـسَ يُـحْـرَزْ
فَـاطْـرَحُـوا عَـنِّـي تُـراثِـي
أَنَـا مِـنْـهُ أَتَـقَـزَّزْ

○ ○ ○

قَاطِعُوهُ يَا بَنِيَّهْ.
قَاطِعُوهُ ـ هُو لِلطُّوفَانِ ـ فِي الْكُفْرِ مُقِيمْ
وأَثِـيـمٌ وأَشِـرْ
وَوَرَاءَ الْهُلْكِ بالطُّوفَانِ خِزْيٌ فِي الْجَحِيمْ
وَعَـذَابٌ مُـسْـتَـمِـرّ

وَإِذَا الطُّوفَانُ لَمْ يَأْتِ أَتَىٰ الْوَعْـدُ الْعَظِيمْ
وَلَـبِئْسَ الْـمُـسْـتَـقَـرّ
فِـي جَـحِـيـمٍ وَسُـعُـرْ

○ ○ ○

وَإِذَا اسْتَغْفَرَ وَاطَّهَّرَ بِـالْفِعْلِ الكَـرِيمْ
وَجَفَا مَا كَانَ فِيهِ مَـعَ شَيْطَانٍ رَجِيمْ
واسْتَعَادَ الْأَصْلَ لَا يَعْدُوعَنِ النَّهْجِ القَوِيمْ
وأَتَى يَسْتَعْطِفُ الرَّحْمَنَ ذَا الْفَضْلِ الرَّحِيمْ
وَعَـنِ الآثَـامِ كَـفَّـرْ
فَـأَخُـوكُمْ قَـدْ تَـطَهَّـرْ
غَـسَـلَ الْقَـلْبَ وَأَبْصَـرْ
وَرَأَىٰ الـرَّحْـمَنَ يَـغْفِـرْ
مَـرْحَبـا. وَاللَّهُ أَكْـبَـرْ
وَهْـوَ مِنْـكُـمْ وَحَفِـيـدِي

تركيا ـ شوك شدرة غرّة شوال ١٤٠٢ هجرية (٥١ بيتاً)

٣٧

على الداعي الصادق في دعوته أن يعظ نفسه أوّلاً قبل أن يعظ الآخرين، وحين يعظ الآخرين فعليه أن يتصوّر نفسه واحداً من الذين يدعوهم.

عندئذٍ يكون كلامه بمثابةِ سلاحٍ ذي حدّين يؤثرّ في السّامع والمتكلم معاً، لأنه عندئذٍ يكون صادراً من القلب، وما كان صادراً من القلب وصل إلى القلوب.

وهذه القصيدة أخاطب بها نفسي بعنوان:

« يــا أنــا »

واعظاً ناصحاً موجّهاً لها، ولعلّ المطلع عليها يخاطب بها نفسه كما خاطبت بها نفسي.

وعسى أن يكون هذا الأسلوب أسلوباً حسناً غير مباشر من أساليب الدعوة.

وهذه القصيدة نشرت في جريدة المدينة المنورة في شهر محرم ١٤٠٥ هجرية، وفيها هنا بعض التعديل والإضافة.

يــا أنــا

لَـكَ الـنِّـدَاءُ يَـا «أَنَـا» تُـرَاكَ مَـنْ أَنْتَ هُـنَـا؟
هَـلْ أَنْـتَ إِلاَّ عَـابِـرٌ مِـنَ الْفَنَـا إِلىٰ الْفَنَـا؟
وأَنْـتَ مَـا بَـيْـنَـهُـمَـا صَـيْـدُ غُـرُورٍ بـالـدُّنَى
هَـلاَّ عَـمِـلْتَ لِـلْبَقَـا ءِ فِي النَّعِيمِ والْهَنَـا
ولِـلنَّـجَـاةِ مِـنْ شَـقَـاءٍ وَعَـذَابٍ وَعَـنَـا
أَلَـسْـتَ بِـالـلَّـهِ وَيَـوْمِ الـدِّيـنِ عَـبْـدَاً مُـؤْمِـنَـا؟
أَلَـيْسَ فِـي الْـقُـرْآنِ مَـا يَـطْرُدُ عَـنْـكَ الْـوَسَـنَـا؟
أَلاَ تَـرَىٰ فِـي سُـنَّـةِ الْـمُـخْـتَـارِ هَـدْيـاً بَـيِّـنَـا؟

○ ○ ○

هــذا صِــرَاطُـكَ الْـقَـوِيـمُ كُـلُّهُ فَـيْضُ سَـنَـىٰ
فَـامْشِ عَـلَىٰ هُـداهُ واحْـذَرْ أَنْ تَـزِلَّ فِـي الْخَـنَىٰ
أَوْ أَنْ تَـتِـيـهَ فِـي الـضَّـلاَلِ واتِّـبـاعِ مَـنْ جَـنَـىٰ

○ ○ ○

إِيَّـاكَ والـنَّـفْـسَ وشَـيْـطَانَ الْـهَـوَىٰ والْـوَهَـنَـا
إِيَّـاكَ أَنْ تَـطْغَـىٰ وأَنْ تَـشْـعُـرَ يَـوْمـاً بـالْـغِـنَىٰ

○ ○ ○

مَـنْ يَـهْـجُـرُ الـصِّـرَاطَ يَـقْـفُـو وَثَـنـاً فَـوَثَـنَـا
كَـمْ خُـطْوَةٍ فَـخُـطْوَةٍ لَـفَّتْ عَـلَيْـكَ الـكَـفَـنَـا
أَوْ جَـلَبَـتْ لَـكَ الْـعَـذَابَ والـشَّـقَـا وَالْـحَـزَنَـا

○ ○ ○

تُـرَاكَ: هَـلْ حَـاسَبْتَ نَـفْسَـكَ الَّتِي تَـقْـفُـو الْـمُـنَىٰ
كَـمْ تُـنْـفِـقُ الـسِّـنِـيـنَ لِـلْآمَـالِ تَـنْـشُـدُ الْـهَـنَـا
تَـجْـرَعُ كَـدّاً دَائِـبـاً وَأَلَـمـاً مُـزَيَّـنَـا
وَبَـعْـدَ طُـولِ الـكَـدِّ لَا تَـمْـضَـغُ إلَّا الـشَّـجَـنَـا
وَلَا تَـرَىٰ إلَّا سَـرَا بـاً بَـعْـدَ كَـدٍّ وَضَـنَـىٰ
وَتَـجِـدُ الـلَّـهَ لَـدَيْـهِ كُـلَّ عَـدْلٍ يَـا «أَنَـا»

مكة المكرمة في ٣ محرم ١٤٠٥ هجرية (٢٢ بيتاً)



٣٨

خرجنا إلى نزهة بجبل «الشَّفَا» قرب الطائف وهوجبل مرتفع كثير المتنزهات الطبيعية ذات أشجار السرو، بصحبة لفيف من أساتذة «كلية الشريعة والدراسات الإسلامية» بمكة المكرمة، فيهم سعوديون ومصريون وسوريون.

وكان ذلك يوم الثلاثاء في ١٣٩٥/٦/١ هجرية، وقد كتبت في هذه النزهة قصيدة أنشدتها على زملاء رحلة هذه النزهة، وكان في ضيافتنا ذلك اليوم فضيلة الشيخ محمد محمود الصواف حفظه الله.

في هذه القصيدة خاطبت فيها بعد الترحيب بالضيوف نفسي واعظاً ناصحاً، رجاء أن يعظ بها نفسه كلُّ زميلٍ من الأخوة المشاركين في هذه النزهة، وهي من أساليب التوجيه غير المباشر، وهي بعنوان:

«ذكريات في الشفا»

ذكريات في الشَّفا

يَـا ضُيُـوفـاً فِي الـشَّفَـا زِدْتُـمـونَـا شَـرَفَـا
لَـكُـمـو مِـنَّـا دُعَـاءٌ بِــهَـنَـاءٍ وَشِـفَـا
قَـدْ سُـرِرْنَـا وَسَـعِـدْنَـا بِـصِـحَـابٍ شُـرَفَـا
أَوَلَـسْـتُـمْ عُـصْـبَـةَ الْـحَـقِّ وَإِخْـوَانَ صَـفَـا
نَـحْنُ فِـي مَجْـمَـعِ أُنْسٍ وَإِخَـاءٍ ووفَـا
هَـلْ وَجَـدْتُـمْ هٰـهُـنَـا إلَّا فُـؤاداً قـد هَـفَـا
وَجَـنَـاحـاً مِـنْ سُـرورٍ بـالـتَّـلاَقِـي رَفْـرَفَـا

○ ○ ○

إنَّ لِـي مِـنْ بَـعْـدِ تَـرْحِـيـبِي لَـدَيـكُـمْ مَـوْقِـفَـا

○ ○ ○

قِـصَّـةٌ أَعْـرِضُـهَـا عَـرْضَ إخَـاءٍ عُـرِفَـا
قِصَّـةٌ فِي بَحْـرِ عُمْـرِي جَـعَـلَتْـنِـي مُـرْهَـفَـا
كَـمْ بِهَـا مِنْ تَـافِهَـاتٍ تَـتَـرَاءَىٰ طُـرَفَـا
إِنَّـهَـا لِـي مُـبْـكِـيَـاتٌ مُـضْـنِـيَـاتٌ أَسَـفَـا
بِـتُّ لَـيْـلِـي أَتَـلَوَّىٰ فِـي فِـرَاشِـي مُـدْنَـفَـا

○ ○ ○

عَـاصِـفٌ مِـنْ ذِكْـرَيَـاتٍ وَعِـظَاتٍ . عَـصَـفَـا
هَـاتِـفٌ فِـي عُـمْـقِ صَـدْري بِـحَـنَـانٍ هَـتَـفَـا
قَـالَ لـي: يَـا شَـيْـخُ أَكْـثَـرْتَ بِـجَـهْـلٍ سَـرَفَـا

مَـنْ يُـجَـازِفْ فَـيُـقَـارِفْ فَـلْيُـحَـاذِرْ تَـلَفَـا

○ ○ ○

أَوَ مَـا يَـكْـفِـيـكَ أَنَّ الْـقَـرْنَ فِـيـكَ انْـتَـصَـفَـا
مَـرْكَـبُ الْـعُـمْـرِ إلـى سَـاحِـلِهِ قَـدْ أَزِفَـا

○ ○ ○

بَيْـنَ عَـيْـنَيْـكَ ـ إِذَا أَبْـصَـرْتَ ـ نَـهْـجُ الْـمُـصْـطَفَىٰ
لِـمَ تَـمْـشِـي فِـي الـزَّوايَـا مَـائِـلاً مُـنْـعَـطِفَـا؟
إِنْ تَـجِـدْ فِـي الْـحَـرْفِ مَـا تَـهْـوَىٰ تَـكُـنْ مُـنْـحَـرِفَـا
أَوْ يُـصَـادِمْـكَ هَـوىٰ الـنَّـفْسِ تَـكُـنْ مُـنْـجَـرِفَـا
هَـمُّـكَ الـدُّنْـيَـا وَأَهْـوَاءٌ بِـهَـا لَـنْ تَـقِـفَـا
كُـلَّمَـا أَعْـطَيْـتَـهَـا جَـدَّ بِـهَـا مَـا أَلْـحَـفَـا
تُـهْـمِـلُ الْـجَـيِّـدَ إِذْ تَـعْـلَقُ مِـنْـهَـا الْـحَـشَـفَـا
تَـحْـسَـبُ الْـمُـسْـعِـدَ أَنْ تُـكْـثِـرَ مِـنْـهَـا الـتَّـرَفَـا

○ ○ ○

أَيْـنَ أُخْـرَاكَ وَمَـا قَـدَّمْـتَـهُ مُـسْـتَـعْـطِفَـا
ثَـمَـنُ الْـجَـنَّـةِ لَا يُـدْفَـعُ إِلَّا سَـلَفَـا
كُـلُّ مَـا تَـجْـمَـعُ تَـمْـضِـي عَـنْ ثَـرَاهُ أَسِـفَـا
سَـوْفَ لَا تَـلْقَـىٰ لَـهُ يَـوْمَ الْـحِـسَـابِ مَـصْـرِفَـا
سَـتَـرَىٰ أَنَّـكَ قَـدْ أَدْرَكْـتَ فِـيـهِ الْـخَـرَفَـا
حِـيـنَ عَـلَّقْـتَ بِـهِ الْـقَـلْبَ وَزِدْتَ الـشَّـغَـفَـا
إِنَّ مَـنْ أَهْـمَـلَ أُخْـرَىٰ عُـمْـرِهِ مَـا أَنْـصَـفَـا
خَـاسِـرُ الْـعُـمْـرِ الَّـذِي ضَـيَّـعَـهُ أَوْ أَتْـلَفَـا
دُونَ أَنْ يَـغْـرِفَ فِـيـه مِـنْ جِـنَـانٍ غُـرَفَـا

○ ○ ○

عِنْدَهَا أَدْرَكْتُ تَقْصِيرِي . وَدَمْعِي وَكَفَا
عِنْدَهَا نَادَيْتُ رَبِّي يَا لَطِيفاً لَطَفَا
عَوْنَكَ اللَّهُمَّ رَبِّي أَنْتَ حَسْبِي وَكَفَىٰ

○ ○ ○

قَالَ لِي الْهَاتِفُ: جِدَّ السَّعْيِ يَا مَنْ أَسْرَفَا
رُبَّمَا عَوَّضْتَ مَا ضَيَّعْتَ فِيمَا سَلَفَا
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُ مَنْ إِنْ خَرَقَ الثَّوْبَ رَفَا
وعَنِ التَّقْصِيرِ والآثَامِ خَوْفاً عَزَفَا
ولِفِعْلِ الْخَيْرِ والْإِخْلَاصِ فِيهِ انْعَطَفَا

○ ○ ○

إِنَّ رَبِّي عَرَّفَ الْجَنَّةَ لَمَّا عَرَّفَا
وَدَعَانَا مِنْ طَرِيقِ الصَّبْرِ حتَّىٰ نَشْرُفَا

○ ○ ○

هٰذِهِ قِصَّةُ نَفْسِي يَا صِحَابِي الْحُنَفَا
هَلْ أَرَىٰ فِيكُمْ لِنَفْسِي فِي حَيَاتِي مُسْعِفَا
قِصَّتِي قِصَّةُ جُلِّ النَّاسِ يَا مَنْ عَرَفَا

الشفا ـ في غرة جمادى الثانية ١٣٩٥ هجرية (٤٩ بيتاً)

٣٩

بمناسبة المجاعة العظيمة التي حدثت في إفريقية القارة السوداء هذه الأيام، وقيام لجان جمع التبرعات، لمساعدة المنكوبين والمتضررين، في هذه المجاعة التي يتساقط فيها عشرات الألوف موتى من الجوع، كتبت هذه القصيدة، ودفعت بها إلى جريدة «الندوة» عن طريق الصحفي الأديب الأستاذ محمد أحمد الحساني، ثم نشرت في جريدة «رابطة العالم الإسلامي»، وهي بعنوان:

«المجاعة والواجب»

المجاعة والواجب

الـرُّزُّ وَالـلَّحْمُ فِي الْقُمَـامَـةْ　وَأُمَّـةٌ لَا تَـرَىٰ الْـقُـمَـامَـةْ
تَـمُـرُّ أَرْتَـالُ جَـائِـعِـيـهِـمْ　يَـجُـرُّ كُـلٌّ مِـنْـهُـمْ حُـطَامَـهْ
يَشْتَـدُّ فِي الْبَحْثِ عَنْ طَعَـامٍ　يُـقِـيـمُ فِـي سَـفِّـهِ قِـوَامَـهْ
يَـعْبُـرُ مِـنْ جُـوعِـهِ الْفَيَـافِي　يَـرْقُبُ فِي زَحْـفِـهِ حِمَـامَـهْ[1]
وأُمِّ طِـفْـلٍ مَـاتَـتْ تَـرَاهُ　شَـدَّ عَـلَىٰ ثَـدْيِهَـا خِـصَـامَـهْ
وآكِـلٍ لَـحْـمَـهُ تَـرَاهُ　يَجُـرُّ فَـوْقَ الـثَّـرَىٰ عِـظَامَـهْ
يَـقْـضَـمُ أَظْـفَـارَهُ عَـسَـاهَـا　تَـسُـدُّ مِـنْ جُـوعِـهِ قُـلَامَـهْ
وَوَاهِـنٍ خَـلْـفَـهُ تَـهَـاوَىٰ　رِتْـلٌ . وَرِتْـلٌ هَـوَىٰ أَمَـامَـهْ
أُلُـوفُـهُـمْ يَـسْـقُـطُونَ مَـوْتَـىٰ　فَـأَيْـنَ يَـا عَـالَـمُ الـشَّـهَـامَـةْ

○ ○ ○

لَا لَـوْمَ فِـي الـرِّزْقِ فَـهْـوَ جَـمٌّ　لَـكِنْ على فِـعْـلِنَـا الْـمَـلَامَـةْ
الـرِّزْقُ فِـي أَرْضِـنَـا وَفِـيـرٌ　وفِـعْـلُنَـا يُـفْـسِـدُ اغْـتِـنَـامَـهْ
وشُـحُّـنَـا يَـصْـنَـعُ الـتَّـجَـنِّـي　وظُـلْـمُـنَـا يُـفْـسِـدُ اقْـتِـسَـامَـهْ
يَـا أَيُّـهَـا الـنَّـاسُ أَيْـنَ أَنْـتُـمْ　مِنْ ذا؟. فَهَـلْ قَـامَتِ القِيـامَةْ؟
كَـمْ أَتْلَفَ الْـغَـرْبُ مِـنْ ثِـمَـارٍ　وَكَـانَ شَـيْـطَانُـهُ إِمَـامَـهْ
ضَـنُّـوا بِـهِ أَنْ يَـقِـلَّ سِـعْـراً　إِذَا هُـمُـو أَفْـلَـتُـوا زِمَـامَـهْ
يُـفِـيـضُ رَبِّـي وَيَـبْـتَـلِـيـهِـمْ　لَـكِـنَّـهُـمْ حَـلَّـلُوا حَـرَامَـهْ
وَمَـا اسْتَـجَـابُـوا لِمَـا هَـدَاهُـمْ　لَـهُ. وَلَـمْ يَـسْـمَـعُـوا كَـلَامَـهْ

---

(١) حِمامه: الحِمامُ الموت.

كَمْ بَـدَّدَ الشَّـرْقُ جُهْـدَ شَعْـبٍ   كَيْ يَصْنَـعَ الْمَوْتَ بَـلْ زُؤَامَـهْ[1]
واسْتَـورَدَ الْقَـمْـحَ مِـنْ بِـلَادٍ   قَـدْ حَـارَبَتْ فِي الْـوَرَىٰ نِـظَامَـهْ
فِي الشَّـرْقِ وَفْـرٌ. لَـكِنْ نِـظَامٌ   شَـدَّ عَـلىٰ شَـعْـبِـهِ لِجَـامَـهْ
الشَّـرْقُ أَضْنَىٰ الْحَـيَـاةَ بَـأْسـاً   فَـالْبُـؤْسُ فِيـهِ أَرْخَـىٰ ظَـلَامَـهْ

○ ○ ○

يَـا قَـوْمَـنَـا رَاقِـبُـوا إِلَـهـاً   حَـبَـاكُـمُـو الْخَيْـرَ والكَـرَامَـةْ
مِنْ فَضْـلِ أَفْـرَاحِكُمْ أَفِـيضُـوا   عَـلىٰ أَخٍ لَـمْ يَـجِـدْ طَـعَـامَـهْ
بَـعْضُ الَّـذِي تُهْـرِقُـونَ كِـبْـراً   إِنْ تَـبْـذُلُـوهُ يُـرْوِي أُوامَـهْ[2]
بَـعْضُ الَّـذِي تُـسْـرِفُـونَ فِيـهِ   يُشْبِـعُ شَعْبـاً. يَشْفِي ارْتِـطَامَـهْ
إِنْ تَـبْـذُلُـوهُ تُحْـيُـوا نُـفُـوسـاً   وتَـغْـنَـمُـوا بَـعْـدَهُ الـسَّـلَامَـةْ
تَـذَكَّـرُوا غَـابِـرَ الـلَّيَـالِـي   وَرَاقِـبُـوا الـلَّـهَ وانْـتِـقَـامَـهْ
أَلَا ارْحَمُـوا تُـرْحَمُـوا. وأَرْضُـوا   رَبَّ الْـبَـرَايَـا بِـالاسْـتِـقَـامَـةْ
وَحَـاذِرُوا قَـوْمَـنَـا عِـقَـابـاً   فِـي يَـوْمٍ لا تَـنْـفَـعُ النـدامَـةْ
وَحَـاذِرُوا دَوْرَةَ الـلَّيَـالِـي   وَلَا تَـظُنُّـوا الـدُّنْـيَـا سَـلَامَـةْ

مكة المكرمة في ٢٢ ربيع الأول ١٤٠٥ هجرية   **(٣٠ بيتاً)**

---

(١) زُؤامه: الموت الزؤام هو الموت الكريه.
(٢) أوامه: الأُوام العطش.



٤٠

طلبت مني زوجتي السيدة عائدة الجراح أستاذة الثقافة الإسلامية والغزو الفكري بقسم الطالبات في جامعة «أم القرى» قصيدة تصلح للإلقاء في احتفال نسائي بقسم الطالبات في الجامعة، لترغيب المدعوات إلى هذا الحفل وهنّ فضليات نساء مكة، للتبرع لصندوق البرّ، وهو صندوق خيـري أسس في القسم، تشرف عليه «جمعية البرّ» وهي جمعية من عضوات هيئة التدريس والإداريّات، وزوجتي إحداهن، لمساعدة الطالبات الفقيرات وأسرهن، وسائر منسوبات الجامعة من ذوات الحاجة، وغيرهن من خارج الجامعة.

فكتبت لها هذه القصيدة في السادس من شهر جمادى الأولى سنة ١٤٠٣ هجرية، وألقتها في الحفل الذي أقيم لهذه المناسبة، وكان لها تأثيرها الحسن في اللواتي حضرن هذا الحفل الخيري الميمون، وهي بعنوان:

«صندوق البرّ»

صندوق البرّ

لَنَا أَرْضٌ بِرَابِيَةٍ خَصِيبَةْ   حِسَانٌ ثِمَارِهَا مِنَّا قَرِيبَةْ
فَمَنْ يَزْرَعْ بِهَا شَجَراً يُصِبْهَا   جِنَاناً ذَاتَ فَاكِهَةٍ عَجِيبَةْ
وَمَنْ يَزْرَعْ بِهَا حَبّاً وعُشْباً   يَجِدْ وَفْرَ الْحَصَادِ بِهَا نَصِيبَهْ
يُضَاعِفْ حَبَّهُ سَبْعِينَ ضِعْفاً   بِعَشْرٍ قَدْ ضُرِبْنَ عَدا الرَّطِيبَةْ
هَلُمَّ ادْخُلْنَ جنَّتَكُنَّ فِيهَا   تَرَيْنَ ثَوابَكُنَّ بِهَا. وَطِيبَهْ
وَبَابُ الْبِرِّ مَدْخَلُكُنَّ فِيهَا   وَمَا تَبْذُلْنَ مِنْ دُنْيَا قَشِيبَةْ(1)
وَفِي يَدِكُنَّ مِفْتَاحٌ صَغِيرٌ   بِهِ تَمْلِكْنَ خَيْرَاتٍ خَبِيبَةْ
بِهِ تَسْعَدْنَ فِي جَنَّاتِ خُلْدٍ   بِمَا تَطْلُبْنَ مِنْ مُتَعٍ رَغِيبَةْ
وَمَا مِفْتَاحُهَا السِّحْرِيُّ إِلَّا   عَطَاءٌ يُسْعِدُ الْكَفَّ الْجَدِيبَةْ
عَطَاءٌ يَجْعَلُ الْمَكْرُوبَ فَقْراً   يُدَاوِي مِنْ بَلَاسِمِهِ كُرُوبَهْ

○ ○ ○

لَنَا أَرْضٌ بِرَابِيَةٍ خَصِيبَةْ   حِسَانٌ ثِمَارِهَا مِنَّا قَرِيبَةْ
فَتَحْنَا «بَنْكَ» الاسْتِثْمَارِ فِيهَا   فَمَنْ يُسْهِمْ بِهِ يَمْلأْ جُيُوبَهْ
وَيَمْلِكْ فَارِهاً ثَمَراً وَظِلّاً   وَيَبْنِي كُلَّ شَامِخَةٍ رَحِيبَةْ
أَيَا أَخَوَاتِنَا اسْتَثْمِرْنَ فِيهَا   فَخَيْرَاتُ السَّمَاءِ بِهَا صَبِيبَةْ(2)

○ ○ ○

يَدُ الْمِسْكِينِ سَائِلَةٌ فَهَلَّا   مَسَحْتُمْ بُؤْسَهَا بِيَدٍ مُجِيبَةْ

---

(1) القشيب: الجديد، ثوب قشيب: أي جديد، وقديم خَلَق فهو من الأضداد.

(2) صبيبة: الصبيب العسلُ الجيد.

فَمَنْ يَمْسَحْ دُمُوعاً سَاخِنَاتٍ وَقَاهُ اللَّهُ أَيَّاماً عَصِيبَةْ

وَمَنْ يَبْخَلْ وَيَقْبِضْ راحَتَيْهِ فَوَجْهُ الدَّهْرِ يُعْطِيهِ قُطُوبَهْ

وَإِنْ تَمْسَسْهُ فِي يَوْمٍ خُطُوبٌ فَمَا أَحَدٌ يُزِيلُ لَهُ خُطُوبَهْ

وَمَنْ لَمْ يَدَّخِرْ لِغَدٍ ثَوَاباً أَتَتْهُ مِنْ يَدِ الْعَدْلِ الْعُقُوبَةْ

○ ○ ○

وَلِلْفِرْدَوْسِ مِنْ جَنَّاتِ خُلْدٍ دُرُوبٌ فَاتَّخِذْنَ لَهُ دُرُوبَهْ

وَرَاحِلَةُ الْعَطَاءِ بِهَا رَكُوبٌ كَرِيمٌ. عَزَّ مَنْ أَغْنَى رَكُوبَهْ

○ ○ ○

هُنَا مَنْ شَاءَ الاسْتِثْمَارَ نَمَّىٰ «بِبَنْكِ» الْبِرِّ مِنْ رِبْحٍ نَصِيبَهْ

مكة المكرمة في ١٤٠٣/٥/٦ هجرية (٢٢ بيتاً)

٤١

في هذه القصيدة بيان أنّ السّفيه ناقصَ العقل هو الذي يعرّض نفسه لعقوبة الله وهو يعلم، وذلك بارتكاب المعاصي وكبائر الإثم، اتباعاً لهواه أو شهوته، مهما كان في أمور دنياه ذكيّاً.

فإبليس بسفهاهته قال على الله شططاً كما ذكر عقلاء الجنّ، والمنافقون سفهاء ناقصو العقول، كما وصفهم الله بقوله في سورة (البقرة: ٢):
﴿ألا إنهّم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾ (الآية ١٣).

وعلماء اليهود في المدينة إبّان تحويل القبلة، وصفهم الله بأنهم سفهاء، فقال عز وجل في سورة (البقرة: ٢):

﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ (الآية ١٤٢).

والسبب في ذلك تجرّؤهم على الله بالمعاصي.

وإذْ كان المتجرّىء على الله بالمعاصي وارتكاب كبائر الإثم سفيهاً كان من المناسب أن يسهم الشعر في بيان هذه الحقيقة بصورة أدبية، مع تحليل يكشف سبب سفاهته، وقد وضعت لهذه القصيدة المشتملة على ذلك عنوان:

«سفاهة الأثيم»

سفاهة الأثيم

نَـطقَتْ نَـزْوَةُ الْأَثِيـمِ بِفِيـهِ ... فَـرَمَىٰ الْعَـاقِلِينَ بِـالتَّسْفِيـهِ
فِيـهِ دَاءُ الْهَـوَىٰ لِكُـلِّ شَهِيٍّ ... وَمُـبَـاحُ اللَّذَاتِ لَا يَـكْفِيـهِ
دَاؤُهُ سَـاقَـهُ إلـىٰ كُـلِّ إِثْـمٍ ... زَاعِـمـاً أَنَّ إِثْمَـهُ يَـشْفِيـهِ
هُـوَ هَيْمَـانُ ظَـامِئٌ لِلْمَعَـاصِي ... وَبُـحُـورُ الْآثَـامِ لَا تُـرْوِيـهِ

○ ○ ○

إنْ يَغِبْ عَنْكَ سَاعَـةً فَهْوَ لِصٌّ ... فِـي خَـوَافِـي آثَـامِـهِ تُـلْفِيـهِ
يَتَـوَارَىٰ عَنْ أَعْيُنِ النَّـاسِ ظَنّـاً ... مِنْـهُ أَنَّ اسْتِخْفَـاءَهُ يَحْمِيـهِ
زَيَّنَتْ نَفْسُـهُ إِلَيْـهِ الْمَعَـاصِي ... بِخِـدَاعِ التَّخْيِيـلِ والتَّمْـوِيـهِ
هُـوَ إِنْ لَمْ يَشْهَدْ رَقِيبـاً عَلَيْـهِ ... ظَنَّ مَـا فِيـهِ مِنْ عَمىً يُخْفِيـهِ
يَـتَعَـدَّىٰ فِـي دَهْـرِهِ كُـلَّ حَـدٍّ ... دُونَ خَوْفٍ. أَنْ كَانَ مِنْ مُتْرَفِيهِ

○ ○ ○

أَيُّهَـا الآثِمُ الْجُهُـولُ تَبَـصَّـرْ ... كُـلُّ كَـسْـبٍ جَـزَاؤُه قَـافِـيـهِ
لَا تَقُـلْ غَفْلَةٌ مِنَ الدَّهْـرِ جَـاءَتْ ... لَـكِ يَـا نَفْسُ بِـالْهَنَـا فَـارْشُفِيهِ
غَفَـلَ الـدَّهْـرُ يَـا صَفِيَّـةُ عَنَّـا ... وَجَنَىٰ الْحُبِّ قَدْ دَنَـا فَـاقْـطِفِيـهِ
الْمَقَـادِيـرُ رَاصِـدَاتُـكَ مَهْمَـا ... أَسْكَـرَتْـكَ الْحَيَـاةُ بِـالتَّـرْفِيـهِ
وَلَئِنْ كُنْتَ صَـاحِيـاً تَتَخَفَّىٰ ... ضِمْنَ غَـارٍ فَراصِـدَاتُـك فِيـهِ
أَنْتَ فِي الْبَحْـرِ هَـارِبٌ فِيـهِ مِنْـهُ ... فِي سِجِـلِّ الْأَرْصَـادِ مَـا تُخْفِيـهِ
أَنْتَ فِي عَـالَمِ امْتِحَـانٍ وَمَهْمَـا ... تَجْنِ شَيْئـاً فَـرَاصِـدٌ يَقْتَفِيـهِ

○ ○ ○

فَاصْحُ وَاعْقِلْ وَاعْمَلْ لِأُخْرَاكَ واعْلَمْ أَنَّ زَادَ التَّقْـوَىٰ نَـعِيـمُـكَ فِيـهِ

عَمَـلٌ مِنْكَ تَـزْرَعُ الْخُلْدَ فِيـهِ بِـرِضَـا اللَّـهِ خَيْـرُ مَـا تَصْـطَفِيـهِ

○ ○ ○

وَمَتَـاعٌ تَجْنِي بِـهِ سُـوءَ عُـقْبَىٰ تَنْتَـقِي بِـاخْـتِيَـارِهِ اسْـمَ سَفِيـهِ

مكة المكرمة في ٢٧ ربيع الآخر ١٤٠٥ هجرية **(١٩ بيتاً)**



٤٢

قامت الخلافة الإسلامية التركية العثمانية أكثر من أربعة قرون، حاملة راية الجهاد والفتح الإسلامي، بقوة أرهبت الشرق والغرب.

ثم دبّ إليها الضعف بعوامل الشيخوخة، والبعد عن جوهر الإسلام، والاكتفاء بالمظاهر. وتسلل اليهود والنصارى إلى داخلها بأشكالٍ كثيرة من المكر والكيد والنفاق، حتى بلغ شياطين منهم مبلغ البطانة المستأمنة، العالمة بالأسرار وخفايا القوى، وبلغ آخرون منهم إلى احتلال مراكز خطيرة في الأجهزة العسكرية والسياسية، وفي المنظمات الاجتماعية والسياسية التي تتذرع بالديمقراطية، وصاروا في مواضع تسمح لهم بأن يكيدوا وهم آمنون.

وصدّر الغرب إلى شعوب الأمة الإسلامية فكرة القوميّات التي مزّقت الوحدة الإسلامية، وأخذ الترك والعرب منها نصيباً كبيراً كافياً لهدم الخلافة الإسلامية وتمزيقها.

وتطلع المتنورون إلى الحضارة الغربية الحديثة مندفعين إلى استيرادها بخيرها وشرها، وغرق المستوردون لهذه الحضارة في استيراد فسقها وفجورها أكثر من استيراد علومها المادّية.

وتطورت الأحداث، وحقّق الأعداء مخطّطاتهم الكيديّة ضدّ المسلمين، فمزّقوا السلطنة العثمانية، واقتسموا تركتها، وأسقطوا الخلافة الإسلامية، واستعمروا معظم العرب.

واتجه الترك الكماليّون شطر العلمانية بعنفٍ وإسراف، ثم لم يجن الترك من هذه العلمانية بعد ستين سنة تقدّماً حضاريّاً، ولا قوة مادّية أو اقتصادية.

وأخذت الصحوة الإسلامية تنبعث رويداً رويداً، بعد ليلٍ شديد الظلمة.

وإذا قضى الله واستمرّ الترك يتابعون مسيرة الصحوة بوعي وأناة، استطاعوا بتوفيق الله ومعونته أن يستعيدوا مجدهم وقوتهم في العالم.

وهذه القصيدة بعنوان:

«اسطنبول» أو «إسلام بول»

تشتمل على ذكريات، وعظات، ودعوة إلى استعادة الإسلام بحق وصدق، فاستعادة الأمجاد، أثارتها إجازة صيف قضيتها في تركيا بشوال ١٤٠٤ هجرية.

نشرت في جريدة «الندوة» بعددها (٨٧١٠) يوم ٢١ صفر (١٤٠٥) هجرية محذوفاً منها المقاطع الأخيرة، مع الإشارة إلى أنني أضفت إليها بعض الأبيات هنا.

«اسطنبول»، أو «إسلام بول»

يَاذَا الْجَنَاحَيْنِ حُطَّ الرَّحلَ مُزْدَانَا إِذَا وَصَلْتَ إِلَىٰ «اسْطَنْبُولَ» نَشْوَانَا
قَـدْ كَانَ يَـوْماً هُنَـا عِـزٌّ وسَلْطَنَـةٌ لِلتُّرْكِ إِذْ نَصَرُوا الإِسْلَامَ فُرْسَانَا
قَـدْ كَانَ يَـوْماً هُنَـا قَصْـرٌ أَوَامِـرُهُ تُطَاعُ فِي الْأَرْضِ إِجْلَالاً وَإِذْعَانَا
الشَّرْقُ وَالْغَرْبُ كالْقِرْطَاسِ فِي يَدِهِ فَلَا يَرَىٰ فِيه مُمْلِي الْخَطِّ عِصْيَانَا

○ ○ ○

مِنْ هَـٰهُنَا انْطَلَقَ التَّكْبِيْرُ فِي حِقَبٍ فَكَـانَ فَتْحاً. وَإِصْلَاحاً. وتِبْيَـانَـا

○ ○ ○

مَآذِنُ الْعِزِّ فِي «الْبُسْفُـور» أَذْهَلَنِي شُمُوخُها فِي الرَّوَابِـي الْخُضْرِ مُرَّانَا[1]
أَهِيَ الرِّمَاحُ بِأَكْبَادِ الْعُدَاةِ قَذىً[2] أَمِ الْأَذَانُ بِهَـا قَـدْ شَـعَّ إِيمَـانَـا

○ ○ ○

جَوَامِعُ الْمَجْدِ حَوْلَ الْبَحْرِ قَدْ نُظِمَتْ كَـالتَّاجِ وَالْعِقْـدِ. إِيمَـانـاً وَبُنْيَـانَـا
دَلَّتْ عَلَىٰ عِزَّةِ الْإِسْلَامِ فِي بَلَـدٍ قَدْ كَانَ يَوْماً يُظِلُّ الكَوْنَ سُلْطَانـاً

○ ○ ○

تَسَمَّـعِ النُّطْقَ فِي الآثَـارِ تَلْقَ لَهُ أَصْـدَاءَ تَحْكِينَ أَحْـدَاثـاً وَأَزْمَـانَـا
كُـلُّ الْحِجَارَةِ فِيهَـا سُطِّرَتْ كُتُبٌ تَقُصُّ عَصْراً طَوىٰ صِيداً وشُجْعَانَا
تَـرْوِينَ قِصَّـةَ أَجْنَـادٍ مُجَنَّـدَةٍ قَامَتْ إِلى الْفَتْحِ أَشْيَاخاً وَمُـرْدَانَا
وَكَانَ بُشْرَىٰ رَسُولِ اللَّـهِ فَاتِحُهَـا نِعْمَ الْأَمِيرُ وَنِعْمَ الْجَيْشُ قَدْ كَانَا

---

(١) الْمُرَّان: الرِّماح اللَّدنة الصُّلبة، واحدتها مُرَّانة.
(٢) القذى: ما يقع في العين وفي الشراب مما يؤذي.

مُحمَّدُ الْفَاتِحُ الْمِغْوَارُ مَرَّ عَلَىٰ ... جِبَالِ أَسْوَارِهَا شَمْساً وَبُرْكَانَا
جَاءَت لَه «آيا صُوفِيَا» تَرْتَجِيهِ نَدىً ... فَكَانَ مِنْ خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ إِنْسَانَا
أَهْدىٰ لَهَا الْعَفْوَ والتَّأْمِينَ مَكْرُمَةً ... وَزَادَهَا دِينُهُ عَطْفاً وَإِحْسَانَا
وَخَرَّ لِلَّهِ إِذْ جَاءَتْهُ رَاكِعَةً ... فِي سَجْدَةٍ حَطَّمَتْ فِي الْقَوْمِ صُلْبَانَا
فِي سَجْدَةٍ كَتَبَتْ فِي الْأَرْضِ سِفْرَتُقىً ... وَلَمْ تَدَعْ فِي حَوَاشِي النَّفْسِ طُغْيَانَا
يَقُولُ لِلنَّاسِ فِيهَا: إِنَّنِي بَشَرٌ ... عَبْدٌ. أُقَدِّمُ لِلرَّحْمنِ شُكْرَانَا
فَهْوَ الَّذِي قَدْ حَبَانِي نَصْرَهُ كَرَماً ... وَهْوَ الَّذِي زَادَنِي بِالدِّينِ إِيقَانَا

○ ○ ○

هُنَا الْخِلَافَةُ كَانَتْ عِزَّةً وَهُدىً ... تَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ إِسْرَاراً وَإِعْلَانَا
هُنَا الْخِلَافَةُ كَانَ النَّاسُ يَرْهَبُهَا ... إِنْ تَرْضَ تَمْنَحْ لِأَهْلِ الْعَدْلِ تِيجَانَا
كَانَتْ قِلَاعاً وَأَجْنَاداً مُجَنَّدَةً ... وَحِكْمَةً وَتُقَىً تَحْمِي وَإِتْقَانَا
قَوَاعِدُ الْحَقِّ أَرْسَتْ مَجْدَهَا حِقَباً ... قُرُونُها قَبْضَةٌ لَمْ تَخْشَ أَقْرَانَا

○ ○ ○

ثُمَّ اسْتَكَانَتْ وَقَامَ السُّوسُ يَنْخَرُ فِي ... عِظَامِهَا. وَوَهَتْ رَأْساً وَأَرْكَانَا
وأَصْبَحَ الدِّينُ فِي أَرْجَائِهَا صُوَراً ... لَا رُوحَ فِيهَا. وَأَخْلَاطاً. وأَوْثَانَا
وَصَارَ لِلْفِسْقِ أَسْوَاقٌ تُبَاعُ بِهَا ... أَخْنَىٰ الرَّذَائِلِ عِصْيَانَا وكُفْرَانَا
وَسَارَ فِي جِسْمِهَا مَكْرَانِ ضَمَّهُمَا ... مِنْ دَاخِلِ الْجِسْمِ مَا قَدْ زَادَ خُسْرَانَا
مَكْرُ الْيَهُودِ وَمَكْرُ الْغَرْبِ قَدْ سَعَيَا ... لِنَسْفِهَا. إِذْ غَدَتْ ثَوْباً وَعِيدَانَا
والْفَاسِقُونَ الَّذِينَ اسْتَغْرَبُوا جَمَعُوا ... لِلْمَكْرِ قُوَّاتِهِمْ ظُلْماً وَعُدْوَانَا
وَانْسَاقَ فِي مَحْفِلِ «الْمَاسُونِ» ذُوبَلَهٍ ... أَعْمَىٰ. يُتَابِعُ زِنْدِيقاً وشَيْطَانَا
واسْتَجْمَعَ الْكَيْدُ أَسْبَاباً بِلَا عَدَدٍ ... كَيْمَا يُقَوِّضَ بُنْيَانَاً فَبُنْيَانَا

○ ○ ○

وَكَانَ عَبْدُ الْحَمِيدِ الشَّهْمُ خَصْمَهُمُو لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ فِي الْحَقِّ أَعْوَانَا

○ ○ ○

يَا تُرْكُ عُودُوا إلى الدِّينِ الْحَنِيفِ تَعُدْ إلى بَلِادِكُمُو أَمْجَادُ عُثْمَانَا

تركيا ــ شوك شدرة في ٣٠ شوال ١٤٠٤ هجرية (٣٤ بيتاً)



٤٣

بمناسبة أسبوع المساجد، وانعقاد المجلس الأعلى العالمي للمساجد، وإثر حفل التكريم لأعضاء هذا المجلس الذي أقامه النادي الأدبـي بمكة المكرمة في غرة ربيع الثاني ١٤٠٥ هجرية، ألهمني الله هذه القصيدة حول المسجد، وهي بعنوان:

«حوار مع المسجد»

حوارٌ مع المسجد

قَـادَنِي الْخَطْــوُ فَـانْعَـطَفْتُ لِبَيْتٍ
فَـاحْتَـوَانِي بِـرُوحِـهِ الْمُتَـوَقّـدْ

قُلْتُ: مَـا ذَلِـكَ الْجَـلاَلُ وَهَـذَا
السِّـرُّ والنُّورُ؟ قَـالَ: إِنِّيَ مَسْجِـدْ

قُلْتُ: يَا بَيْتُ. أَنْتَ بَيْتُ لِرَبِّـي؟
قَـالَ: إِنِّي لِلَّـهِ. فَـاعْبُـدْ وَوَحِّـدْ

أَدْعُـهُ وَحْـدَهُ. وَلاَ تَـدْعُ شَيْـئـاً
مَـعَـهُ دُونَـهُ. وَسَبِّـحْ وَمَـجِّـدْ

لاَ تَكُنْ مُشْـرِكـاً بِـهِ أَيَّ شَيْءٍ
أَهْـوَنُ الشِّـرْكِ لِلْعِبَـادَةِ مُفْسِـدْ

قُمْ لَـهُ عَـابِـداً. وَرَتِّـلْ كَـلاَمـاً
مِنْهُ. وَارْكَعْ مَعَ التَّضَرُّعِ واسْجُـدْ

وَتَـعَـهَّـدْ لِـقَـاءَهُ فِي رِحَـابِـي
وَمِنَ اللَّيْـلِ قُـمْ لَـهُ وَتَهَـجَّـدْ

وَاتَّـخِـذْ مَجْـلِـسـاً لَـدَيَّ لِتَـتْـلُو
فِـيـهِ آيَـاتِـهِ. وَرَتِّـلْ وَجَـوِّدْ

وَتَـدَبَّـرْ خِـطَابَـهُ. وَتَـفَـكَّـرْ
وَاشْغَلِ الْقَلْبَ فِي مَعَانِيهِ وَاحْشِدْ

حِينَ تَتْلُو الـذِّكْـرَ الْحَكِيمَ تُنَاجِي
مُنْزِلَ الذِّكْرِ. فَاسْتَـزِدْ مِنْهُ وَاسْعَـدْ

○ ○ ○

أَنَـا بَيْتٌ لِلَّـهِ يَـا عَبْـدَ رَبِّي
فَـأْتِنِي طَـاهِـراً. وَطِبْ. وَتَجَـرَّدْ

طَـهِّـرِ الثَّـوْبَ وَالْـفُـؤَادَ وَأَخْلِصْ
والْتَزِمْ شِرْعَـةَ الـرَّسُـولِ مُحَمَّـدْ

وتَـطَيَّـبْ حِسّـاً وَمَعْنًـى وَحَـاذِرْ
أَنْ تَسُوقَ الْأَذَىٰ إِلَىٰ أَيِّ مَسْجِدْ

وَتَـزَيَّـنْ. وَكُـنْ أَنِيـقـاً رَفِيقـاً
مَـوْرِدُ الْأَتْقِيَـاءِ أَشْـرَفُ مَـوْرِدْ

لاَ تَـرِدْهُ وَأَنْتَ تُـؤْذِي صِحَـابـاً
فِيـهِ جَاءُوا قُصَّـادَ أَفْضَلِ مَقْصِـدْ

وَتَـعَـهَّـدْ مَـوَاطِئِـي بِـطَـهُـورٍ
فَعَلَيْهَـا الْجِبَـاهُ بِـالـذُّلِّ تَسْجُـدْ

وَاجْتَنِبْ فِي جَـوَانِبِـي كُـلَّ لَغْـوٍ
أَنْتَ فِي سُـوقِ مَغْنَـمٍ فَتَـزَوَّدْ

○ ○ ○

فِي رِحَابِي تَرَىٰ الْجَمَاعَةَ جِسْماً وَاحِداً فِي الإِخَاءِ. لَمْ يَتَعَدَّدْ
وَتَرَىٰ كُلَّ وَاحِدٍ فِيَّ جَمْعاً بِالْهُدَىٰ. والْقُوَىٰ. وَرَأْيٍ مُسَدَّدْ
أُمَّتِي أُمَّةُ الإِخَاءِ وَعِنْدِي بَيْنَ أَفْرَادِهَا الْوَشَائِجُ تَشْتَدّ
قَادَةُ الْفَتْحِ مِنْ غِرَاسِ رِحَابِي وَنُجُومُ الْهُدَىٰ. وَأَجْنَادُ أَحْمَدْ
جَامِعَاتُ الْعُلُومِ هُنَّ بَنَاتِي ثُمَّ بَعْدَ الْبَنَاتِ كُلُّ مُوَلَّدْ
سَارِيَاتِي أَبْرَاجُ أَحْبَارِ عِلْمٍ وَرَشَادٍ تُسْدِي. وَتَهْدِي. وَتُرْشِدْ
وَعَلَىٰ مِنْبَرِي تَصُولُ أُسُودٌ رُبَّمَا تُرْهِبُ الْبُغَاةَ. وَتُخْمِدْ

○ ○ ○

أَذِنَ اللَّهُ فِي عُلاَهُ بِأَنْ أُرْ فَعَ مَا دَامَ فِي الدِّيَارِ مُوَحِّدْ
أَنَا بِالذِّكْرِ والصَّلاَةِ وَبِالْعِلْـ ـمِ وَكُلِّ الْهُدَىٰ بِنَائِي الْمُخَلَّدْ
لاَ بِنَقْشٍ وَزِينَةٍ وَرُسُومٍ وَعَقِيقٍ. وَعَسْجَدٍ. وَزَبَرْجَدْ
بَيْدَ أَنَّ الَّذِي يُوَسِّعُ أَرْضِي وَيَشِيدُ الْبِنَاءَ مِنِّيَ يُحْمَدْ
فَجَزَىٰ اللَّهُ كُلَّ خَيْرٍ بُنَاتِي وَحَبَاهُمْ نُعْمَىٰ الْحَيَاةِ وَسَدَّدْ

○ ○ ○

أَيُّهَا الْمُسْلِمُ الْمُطِيعُ لِمَوْلاَ كَ. تَجَرَّدْ. وَوَافِنِي وَتَعَبَّدْ
وابْتَغِ اللَّهَ وَحْدَهُ وَتَضَرَّعْ وَاغْسِلِ الذَّنْبَ. وابْتَدِىءْ. وَتَجَدَّدْ
أَصْغِ عِنْدِي لِمَنْ يُذَكِّرُ بِالْخَيْرِ وَيَهْدِي بِالْحَقِّ. واحْفَظْ. وارْشِدْ
وَإِذَا مَا انْصَرَفْتَ عَنِّيَ فَاذْكُرْ رَبَّكَ اللَّهَ فِي مَسَاعِيكَ تَرْشُدْ

○ ○ ○

هَهُنَا أُقْفِلَ الْحِوَارُ. وَأَرْخَىٰ بَيْتُ رَبِّي سِتْرَ الْكَلاَمِ الْمُسَدَّدْ
وَقَبِلْتُ النُّصْحَ الْجَلِيلَ وَإِنِّي سَأُنَادِي بِنُصْحِهِ. وَأُرَدِّدْ

مكة المكرمة في ٣ ربيع الأول ١٤٠٥ هجرية (٣٥ بيتاً)
وبعضها في ٢٨ منه.



خاتِمَة

هذا ما ألهمني الله جمعه في هذا الديوان، مما كتبتُ من شعر يتعلق بمنهاج الدعوة وتوجيه الدعاة.

وإني أعلم أنني لم أستوف كلّ ما ينبغي بيانه في منهاج الدعوة، لأنّ ذلك يتطلب سبراً مستقصياً كلّ التوجيه التربوي القرآني، الذي وجه الله به رسوله في مجال دعوته، وتبليغ رسالة ربّه منذ مراحل التنزيل الأولى، حتى آخر آية نزلت من القرآن، مع تدبرّ قواعد هذا المنهج، وضوابط حركة السير فيه، وسبراً مستقصياً لكل سيرة الرسول ﷺ، مع التأمل والتدبر لاستخلاص التطبيقات المتعلقة بمنهاج الدعوة وحركة السير فيه، وسبراً مستقصياً لأقواله التوجيهية في هذا المجال.

على أنّ ما نبهت عليه في القسم الأول من هذا الديوان يعتبر مهمًا جداً، وهو يشتمل على كبرى قواعد هذا المنهج، وأمّا ما جمعته من شعر في القسم الثاني من هذا الديوان فهو نماذج مما كتبت من شعر في موضوعات الدعوة، قد يرى فيها القارىء بعض التطبيقات المناسبة.

والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكان الفراغ منه في صباح يوم الأحد ٢٦ جمادى الآخرة من سنة ١٤٠٥ هجرية و ١٧/٣/١٩٨٥م.

عبدالرحمن حسن حبنّكة الميداني



فهـرس

مجموع أبيات الديوان ٢٢٦٣ بيتاً

من أدب الدعوة الاسلامية

سلسلة شعرية ونثرية في الأدب الإسلامي
كتبها جميعها الأستاذ الشاعر عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني

صدر منها

١ ـ آمنت بالله (شعر)

٢ ـ ترنيمات إسلامية (شعر)

٣ ـ مبادىء في الأدب والدعوة (نثر)

٤ ـ ديوان: أقباس في منهاج الدعوة وتوجيه الدعاة (شعر)

(بيان وشعر)

في سلسلة أعداد الاسلام

سلسلة ترصد خطط أعداد الإسلام، وتفضح مكايدهم ودسائسهم، وترسم منهج النجاة من مفاسدهم

كتبها جميعها الكاتب المفضال الأستاذ عبدالرحمن حبنكة الميداني، وصدر منها:

١ ـ مكايد يهودية عبر التاريخ.

٢ ـ صراع مع الملاحدة حتى العظم.

٣ ـ أجنحة المكر الثلاثة.

٤ ـ الكيد الأحمر.

٥ ـ غزو في الصميم.

٦ ـ كواشف زيوف المذاهب الفكرية المعاصرة.